(تمت)

الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

(وبهامشه تاريخ أبي نصر العتبي رحمه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

(ذكر حصر صلاح الدين كوكب)

في هذه السنة في المحرم حصر الشام... صلاح الدين من عكا... العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها وظن انه يملكها سهلا وان أخذها ... وهو في قلة من العسكر مسير فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان قد ... ومن ... والكرك الشوبك المعتلان البلاد الساحليين عكا الى جهة الجنوب كان للملك ... ما ذكرناه من هذه الحصون وكان مختارا أن لا يبقى في وسط بلاده ما يشغل قلبه ويقسم همه ... حفظه ولثلا يثقل الرعايا والمسافرين منهم ... فلما حصر كوكب ... ملكها وأخذها ... رحل عنها ... ملوا ... الحصار وكان رحيله عنها في ربيع الاول وأتاه رسل الملك قلج ارسلان ... ارسلان ... وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد ... باجتماع العساكر ... وأقام بها الى ان سار الى الساحل والبلاد الشامية

(ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج)

لما أراد صلاح الدين المسير من دمشق حضر عنده القاضي الفاضل ... من دمشق ... ربيع الاول الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربي حمص وجاءته العساكر وأول من أتاه من اصحاب الاطراف عماد الدين زنكي بن مودود بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور ولاحقه العساكر من الموصل وبلاد الجزيرة

(ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله الى أن مضى لسبيله) قد كان الوزير أبو العباس الفضل بن احمد ... خاص ... ومن كفاته ... الدولة واصحابه وكان على البريد ... عمر ... السلطان ... الدولة ... ناصر الدين ...

وغيرها فاجتمعت عليه وكثرت عدده فسار حتى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقي
وكنت معه حينئذ فأقام يومين وسار جريدة وترك أثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل
الى بلاد الفرنج فأغار على صافيثا والعريمة وعلى صور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى
قريب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين يأتيها واين يسلك منها ثم عاد الى معسكره سالما
وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف أنواعها ما لا حد له وأقام تحت حصن الاكراد الى
آخر ربيع الآخر

(ذكر فتح جبلة)

لما أقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد أتاه قاضي جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه
ليسلمها اليه وكان هذا القاضي عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة
الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته
الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح
الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فرأى الفرنج قد أخلوا المدينة واحتموا
في برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرب المسلمون دورهم ومساكنهم
وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية بأحد البرجين فحصرهما صلاح الدين
فنزل اليه من في احد البرجين بامان وسلموه فأمنهم وخرب البرج وألقى حجارته في البحر وبقي
الذي فيه الداوية لم يسلموه وكان معهم مقدمهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وكان قد
أطلقه لما ملك البيت المقدس فهو الذي حفظ هذا الحصن فخرب صلاح الدين ولاية انطرطوس
ورحل عنها وأتى مرقية وقد أخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم
التي لا ترام ولا يحدث أحدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون
الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد
الواحد فاتفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجدة الى فرنج الساحل في ستين قطعة من
الشواني وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في
شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بالطارقيات والجفتيات
فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج
من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثامن عشر
جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين
رفع أعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها بحصنها واحتموا بقلعتها فما
زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهائنهم يكونون
عنده الى أن يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من أهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد أخذ رهائن
القاضي ومسلمي جبلة وتركهم عنده بانطاكية فأخذ القاضي رهائن الفرنج وجاء رؤساء
أهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة أهله وهو من أمنع الجبال وأشقها مسلكا وفيه حصن
يعرف بيكسرائيل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق في هذا الوقت عليه من
بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين أحوال جبلة

قوته وأمانته فكتب الى
الرضي يستوجبه لوزارة
السلطان وكفاية
أعماله وتدبير أموره وأمواله
ورجاله فأوجب اجابته الى
ملتمسه وخوطب بالبدار
الى نيسابور على مقتضى
مثاله فاعتمده السلطان
للوزارة واستكفاه
مهمات الامارة بعد ان
كان يرى مقام الشيخ الجليل
شمس الكفاة أبي القاسم
أحمد بن الحسن كتابة وحسابة
واصالة واصابة وهداية
ودراية وحماية وجباية اذ لم
يسكن على طراءة شبابه بين
لداته أغنى منه غناء
وامضى مضاء واذكى ذكاء
وأدهى دهاء غير أن الامير
سبكتكين جنى عليه في أبيه
عند اعتماده لوزارة بست
وتدبير اعمالها واموالها
جناية سبق السيف فيها
العدل اعفاه منه الى
عداته فمياشقة وفيه من
رفيعة وافقوه عليه من
سعاية ووقيعة فاستوحش
منه استيحاشا من بادرة فعله
والمسيء نفور والقلوب
عن ذوي الاساءة صور وكره
السلطان الاستبداد على ابيه
في استصابه حسب ارتضائه

ورحل عنها وسلمها الامير ناصر الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وبارزها

●(ذكر فتح لاذقية)●

ثم سار السلطان من أنطرطوس وسار معه الى لاذقية فوصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا الحصنين اللذين فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار ستين ذراعا وعلقوه وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما أيقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضي جبلة فاخذ لهم من المسلمين الامان فامنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وكان ذلك اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية وأكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف انواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا كثيرا من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلمها الى ابن أخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى ادار آها اليوم من رآها ينكر حالها انحدث وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة

●(ذكر حال اسطول صقلية)●

لما كان صلاح الدين باللاذقية وصل اسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف قبالة مينا اللاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على أخذ من يخرج منها من أهلها غيظا وحنقا حيث سلموها سريعا فسمع بذلك أهل اللاذقية فأقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم أن مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه ان السلطان رحيم كريم وقد فعل بالفرنج ما فعل فذلوا فاتركهم يكونون غلمانك وعبيدك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا قبل لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجابه صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار القوة والاستهانة بكل من يجيء من البحر وانهم ان خرجوا أذاقهم ما أذاق أصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى أصحابه

●(ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون)●

ثم رحل صلاح الدين عن لاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا أن الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة أسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات أيضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والجرخ والزنبورك والزيار وجرح أكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثاني جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد أغفل الفرنج احكامها

فتسلقوا

واستكماله ومن الصدور
من وفائه طاعته فى اختتامه
واستلاك الفلك رأيه حتى
مداره وقصر القمان نكوث
مامله حتى يعرف سراسان
بأنه عدله المرجو وجدله
المحكك تتبع ما احدثه
العدو الاصطلاح ويستديك
ما أبرمته يد الاجتياح
ويداوى كل داء دواءه ويرد
ما ثار المال الى حاله فأجرى
أنوار الناس الامور مجاريها
على حال لم تعرف فيها عن
الحماية والاستدرار وقصد
التوفر دون الاستعمار
حتى حيى ما الاعتبار
فتقاد كانت سراسان عند
مكسوعه بأمارها لم تترف
مهاد واهى الفن ولم يترع
عنها كواس السمى فلما
احلبه التراقا واستنقذ
ما في صرعها اسراقا ومن
قبل ما قبلها بها رس
خصب المرائع ورد الموارد
والمشارع وصبر اسان
له ما على ظهورها من قصول
دسم وبحث عما وراء
عطامها من لين متشم
حتى ما رئتس فرط الهزال
والعصب كالاهله المبنية ول

نقبوا منها بين الصخور حتى لصقوا بالسور الاول فملكوا منه الثلاثة وغنموا ما فيها من أبقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فبادروا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرروا على أنفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى أمير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس لحصنه وجعله من أحصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا في تلك النواحي فملكوا حصن بلاطنوس كان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك ايضا حصن العيدو وحصن الجماهرتين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الاسلامية على عقبة بكسرائيل شاق شديد لان الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لان بعضها بيد الاسماعيلية وبعضها بيد الفرنج

(ذكر فتح حصن بكاس والشغر)

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التي افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من أحجاره الى القلعة شيء الا القليل الذي لا يؤذي فبقي المسلمون عليه اياما لا يرون فيه طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده أصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين أو يأتي الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم في هذا الحديث اذ قد أشرف عليهم فرنجي ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فاجابهم اليه وأخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم أرسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه أن يرحل عنهم المسلمين فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم أحد ولا يبلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى أمير يقال له قلج وأمره بعمارته ورحل عنه

(ذكر فتح سرمينية)

لما كان صلاح الدين مشغولا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمينية وضيق على اهله واستنزلهم على قطيعة قررها عليهم فلما انزلهم وأخذ منهم القطيعة هدم الحصن وعفى أثره وعالي بنيانه وكان فيه وفي هذه الحصون من أسارى المسلمين الجم الغفير فاطلقوا واعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينية مع كثرتها

الاخلة المرية وتداعى بالخراب معظم الضياع ووقفت القنى بين القصور والانقطاع وشرد في البلاد اكثر الاكرة والزراع نعم دها اخذ الجار بذنب الجار وألزم القار مؤنة الفار حتى عمت البلوى وعمت الشكوى وشملت خراسان نوائب البوس وذهبت مراتب الفوس وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط مفقورا والفقير مقبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر وناو ومتحير لو أذيت عن آخر فقرة منها لم يف بعضها فضلا عما جمعته أقلام الاستيفاء منها فاظهر السلطان تضجرا من تعذر الاموال وتراجع الارتفاعات فطالب الوزير منها بالقطعه وأنواع وضعه وهو يرجع القول على سبيل الدلة بين البراءة والاحالة فهما عضه العتب بنقائصه أظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء وأسلم النفس اختيارا وآثر الحبس قرارا

كانت تسمح مع اهمال أيدي أصحاب الشام واستهم عداوة المسلمين فصار من اذا أراد
أن يسهل الصعب فعل وهي من جملتها من أعمال انطاكية وليس له سوى القصير وبغراس
ودربساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى في مكانه

(ذكر فتح برزيه)

ولما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزيه وكان قد وصف له وهي مقابل حصن
افامية وتناصفها في أعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي وعيون تتفجر من جبل برزيه
وغيره وكان أهلها أضر شيء على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون في الأذى فلما وصل اليها
نزل شرقيها في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وركب من الغد وطاف عليها لينظر
موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصبت هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه
بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن أن يقاتل من جهة الشمال والجنوب
البتة لانها لا يقدر أحد أن يصعد جبلها من هاتين الجهتين وأما الجانب الشرقي فيمكن الصعود
منه لكن له موضع آخر لعلوه وصعوبته وأما جهة الغرب فان الوادي المطيف بها قد ارتفع
هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون
ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب أهل القلعة عليها منجنيقا أبطلها ورأيت أنا من جبل
عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شيء اليها امرأة ترمي من المنجنيق الصغير وهي
التي أبطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف
ومكاثرة أهلها بالجموع فقسم عسكره ثلاثة أقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلوا عادوا
وزحف القسم الثاني فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم يدور الدور مرة
بعد أخرى حتى يتعب الفرنج ويضجروا فانهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسمون كذلك
فاذا تعبوا وأعيوا سلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة
تقدم أحد الأقسام وكان المتقدم عليهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار
وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلوهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من
وراء الجفتيات والجنويات والطارقيات ويزحفون اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قاربوا الفرنج
عجزوا عن القرب منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم
كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى أسفل الجبل فلا يقوم لها شيء فلما تعب هذا القسم
عادوا وصعد القسم الثاني وكانوا جلوسا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاص فقاتلوا
قتالا شديدا وكان الزمان حرا اشتد اشتداد الكرب على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف
عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن أخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا
فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم وبيده جماق يردهم وصاح في القسم الثالث وهم
جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا مسرعين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل
لهم به وكان أصحاب عماد الدين قد استراحوا فعادوا فحينئذ اشتد الأمر على الفرنج
وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل
السلاح لشدة الحر والقتال فخالطهم المسلمون فصعدوا الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون

معهم

بتوسط الملا من السلطان
وحمل على أنه من بعض
المكس من خالص ماله
ثم استعمله طول ولايته
من مراتب أعماله فأبى
أن يبرطل بدرهم الاعز
وحسبه أن الشاس قلعه
صنيع المتقدم بالعمل
المتمم بالأمل المتسلم
للنفيسة المتمكن بالمنيسه
ولما رمز بذلك السلطان
الفتان أما المصر عمدي
الليس وهو ابذل رئيس
مع خصاله الديوان واستطاف
العقلا على الأعمال والسكان
وأمر منه البهاء اسما احدى
وأرسماته فاعتذر الى
هراة وحوى من الأموال
ما دربه أحلافه ولا استعلى
على أصحابه ولم يلبث الا
يسيرا حتى حل محلا كبيرا
فالوزير أبو العباس يعقوب
صدر الوزارة والسيد الجليل
أبو العلم ... ونس
السلطان على سبيل السعاية
يروم استنصاحه كي يتلقاه
بمكانه ويسأل عرض
الاستقا به سابه وهو يأتي
سوى النجاح فالقاه العوال
عن حده المزاح ... الله

معهم وكان طائفة قليلة فى الحمام شرقى الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا ولكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا أيضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فلكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التى للحصن وأحاط بهم المسلمون وأرادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين الى سطح القلة وأرجلهم فى القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبروا فى سطح القلة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فلكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها وأسروا وسبوا من فيها وأخذوا صاحبها وأهله وامست خالية لاديار بها وألقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقت * ومن أعجب ما يحكى من السلامة انى رأيت رجلا من المسلمين على هذا قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالى القلعة الى طائفة أخرى من المسلمين جنوبى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فالقيت عليه الحجارة وجاء حجر كبير لوناله لجعله فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق الرجل فضربه الحجر فارتفع عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه اذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فنعست ام الجبان وأما صاحب برزية فانه أسر هو وأصحابه وامرأته وأولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية أطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية أخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلاء لاجلها

•(ذكر فتح دربساك)•

لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التى يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيأ يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد أرسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا وأظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليهم وأخذهم بالسيف وقتلهم وأسرهم ونهب أموالهم طلبوا الامان فامنهم على شرط أن لا يخرج أحد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا أثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم أخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

تعالى لم يسع احدا رده وقضاء سابقا أعيا العالمين صدّه ومازالت هذه حاله لزوما الاصدر على ما به من ضعة القدر الى أن ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحا بزعمه الى الاعتقال عما تولاه ومتسميا بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشترى الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان بدارا وغاظ السلطان ما أتاه فاستبدله الخط بغرامة ما جناه على أمواله ورعاياه فبذل خطه بمائة ألف دينار ثم لم يزل يستدر الى أن عرض حال الفاقه وعدم الطاقه ثم استحلفه السلطان بحياة راسه على ظاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان وجد له على الطلب مال امفرقا ومجموعا ومدفونا ومستودعا وبقى على جملة بتنابه أولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا عن التحامل والتكليف الى أن ظهر على ماذكره مال عند بعض التجار ببلخ فأخذوه وأمر بوضع الدهق عليه لاستصفائه واستخراج ما وقاه بنفسه وذماته وما

ذكر فتح بغراس

ثم سار صلاح الدين الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف أصحابه في حصرها فمنهم من أشار
به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق
بين حصره وحصرها ويحتاج أن يكون أكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكية فاذا كان
الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل
أكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على أعمالها وكانوا حذرين من الخوف من أهلها
ان يخرجوا اليهم وصلاح الدين في بعض أصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المجانيق عليها
فلم تؤثر فيها لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين
قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وأمر بحمل الماء اليها فخف الامر عليهم
فبينما هم على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان ليحضر الى الملك
فأذن له في الحضور وحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة
سأل اجابتهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة
ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر وأموال وسلاح وأمر صلاح الدين
بتخريبها فخربت وكان ذلك ضررا عظيما على المسلمين فان ابن ليون صاحب الارمن خرج اليها
من ولايته وهو مجاور لها فجدد عمارتها وأتقنها وجعل فيها جماعة من عسكره يغيرون منها على
البلاد فتأذى بهم السواد الذي بحلب وهو الى الآن بأيديهم

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية

لما عزم صلاح الدين على التوجه الى انطاكية وحصرها خاف البيمند صاحبها
ذلك وأشفق منه فأرسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل أسير عنده من المسلمين
فاستشار من عنده من أصحاب الاطراف وغيرهم فأشار أكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس
ويستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فأجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر أولها أول
تشرين الاول وآخرها آخر أيار وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده
من الاسرى وكان صاحب انطاكية في هذا الوقت أعظم الفرنج شأنا وأكثرهم ملكا فانه كان
الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع أعمالها مضافا الى ما كان له لان
القمص لم يعقب ولما انفصلت الهدنة سار الى حلب وفرق الاكثر منها ثم سار صلاح الدين
فعاد الى حلب ثالث شعبان فأقام بقلعتها أياما ثم أذن للعساكر الشرقية كعماد
الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى
دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي
وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين
الامير عز الدين أبو الفليتة قاسم بن المهنا العلوي الحسيني وهو أمير مدينة النبي صلى الله عليه
وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته
ويتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في أعماله كلها ودخل دمشق
أول شهر رمضان فأشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وبقي

بقي من حين خلعه ومائة
وأمه والسلطان عنده
سالمة وبين مساهمة
ساله واسرا ما تصدى
أو تكلف من مقاله والدهر
يسير معه على الدوام وقال
منه يوما يوم حتى أتاه أجله
ومات بها كل سبطه
وذلك في سنة اربع واربعمائة
ولما عاد السلطان ورام
سار مما سمع منه وهي الى
أن من المساء دوح
مطمورة وحصن بين
أطباق الثرى مرموسه
كذلك من آثر المعاصي
على الحقائق ولم يعتبر
بالماضين في الزمن السابق
ولقد أدركه في صدر
وزارته ولم يعرف بأبي
القاسم محمد بن الفضل مرع
على صنعه الشباب في
وجوه الفضائل والآداب
حتى استطار ذكره
واستطال قدره واستعاض
لنظمه ونثر في شعره في
أيسر وقت من لحظة
لقد أيدت أبو القاسم حرضا
على جود الريح لمعتقه
في إحدى يديه عما كرم
وفي الأخرى الملاطرقيه
لقد جمعت لك البيادة آب
أهل حرف سواد مرتبه

بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها فى وسط
بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان أغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

(ذكر فتح الكرك وما يجاوره)

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة
حتى فنيت أزواد الفرنج وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا
الملك العادل أخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك فى جمع من العسكر
يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما أبعد هو الى درب سالك وبغراس
فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك
وأرسل الى مقدم العسكر الذى يحصرها فى المعنى فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضا ما يقاربه
من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية وألقى الاسلام
هناك جرانه وأمنت قلوب من فى ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا من تلك
الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

(ذكر فتح قلعة صفد)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق وأشير عليه بتفريق العساكر وقال لابد من الفرنج من صفد
وكوكب وغيرها أقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها
وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمى اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان أهلها
قد قارب ذخائرهم وأزوادهم أن تفنى فى المدة التى كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين
كان يحاصرهم كما ذكرناه فلما رأى أهله جد صلاح الدين فى قتالهم خافوا أن يقيم الى أن يفنى
ما بقى معهم من أقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم أو انهم يضعفون عن مقاومته
قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلوا يطلبون الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا
عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

(ذكر فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد
لم تبق كوكب ولو انها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد
فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لها سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتى رجل من
شجعان الفرنج وأجلادهم فساروا الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله
تعالى ان رجلا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيدا فلقى رجلا من تلك النجدة
فاستغرب بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى أقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على
أصحابه فعاد الجندى المسلم الى قايماز النجمى وهو مقدم ذلك العسكر فأعلمه الخبر والفرنجى
معه فركب فى طائفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فأخذهم
وتتبعهم فى الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد فكان معهم مقدمان من فرسان الاسبتار
فحملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته قتل الداوية
والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلما أمر بقتلهما قال له أحدهما ما أظن ينالنا

وأقبل نحوك الاقبال حتى
غدا بصرا وأنت النور فيه
فدر زألف نيروز سعيدا
رفيع الحد فى عيش رفيه
وله أحجية
وزنجية قادت الى القوم بضة
ابنكحها من كان يعشقها قدما
*فقام اليها واحد بعد واحد
ولم نرد ما فعلهم لا ولا اثما
وأدركته حرفة الادب
فاختطفته يد المنية أنضر
ما كان عودا* وأثبته عودا
وأبهر سعودا* وأحمده
قياما وقعودا* وحكى لى بعض
أصحابه انه أصبح ذات يوم
يروى بيتين تلقنهما فى النوم
وهى
أرى الدنيا وزخرفها ككاس
تدور على اناس من اناس
ولا تبقى على أحد كالا
يدوم بقاؤها فى كف حاس
فقطيرله منهما ولما قضى
نحبه زاد أبو الحسن الموصلى
الكاتب فيه أبياتا وهى
أبعد محمد بن الفضل أرجو
أمانا لى من الدهر العماس
أساس الفضل كان به فأودى
وأبقى الفضل منهدم الاساس
فتى فى نثره والنظم أربى
على ابن ثوابة وأبى نواس

سو ولقد تطرما الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير الصبر لحمل الاصدار والاستعطاف عنه بعمرو بسمع للسامع كلاما مالم ينقلهما وامرهم ما مضوا ولما لم يعد سار عنها الى كوكب وبازائها وحصرها وأرسل الحصن بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا وينذرهم بالقتل والسبي والنهب ان ابوا فلم يسمعوا قوله وأصروا على الامتناع فخندق اتباعه ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمى الاحجار اليهم وحصرهم بعدمه وكانت الا مطار كثيره لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات متتابعة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون والرماة يحموهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احدهم أن يخرج رأسه من اعلى السور فنقبوا السور وسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذي القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وفرسانهم كل شيطان فاشتدت شوكتهم وحمى جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدس فعيد به عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فأقام بها حتى انسلخت السنة

●(ذكر ظهور رجال تعرف بالسبعة عشر)●

في هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار العلويين يال علي وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلد يلبون دعوتهم و يخرجون معهم فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر ويحتوون على البلد فلم يلتفت أحد منهم اليهم ولا أعارهم سمعه فلما رأوا ذلك تفرقوا خائفين فأخذوا وكتب بذلك الى صلاح الدين فأهمه أمرهم وازعجه فدخل عليه القاضي الفاضل فأخبره الخبر فقال القاضي الفاضل ينبغي أن تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتم حيث علمت بواطن رعيتك والمصريين ورجال الدولة الى عدوك ولو وضعت جماعة يعملون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيتك وخرجت الاموال البليغة عليهم لكان قليلا فسري عنه وكان هذا القاضي الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر من بها وبه يأتمر فيه يقتدي ويأتمر امراؤه

●(ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل)●

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرا كثيرا وجعل المقدم عليهم الوزير جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيرهم الى مساعدة قزل ليكف الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر بالمسير الى أن قارب همذان فلم يصل قزل اليهم وأقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاول بداي مرج عند همذان واقتتلوا فلم يصبر عسكر بغداد بل انهزموا وتفرقوا وثبت الوزير قائما وبيده مصحف وسيف فأخذه عسكر طغرل من أسره واحتفظ منه من سرادقه

راى في النوم معز بن ز
بصر دونها أو يرأس
سأحفظ عهده ما دمت حيا
وحفظ العهد من كرم التصافي
ويرتد بعض اهل العصر
ما ميجودى بدم ساجم
على الفتى المرأى العالم
قد كان يلقى بعده
لولا التسلي بأن القلم
ولقد اقتضى كان الماضيين
بأبي الحسن على بن الفضل
المعروف بابن الطاح فضل
ساطع نور ● وفضل ساطع
سروره ● ونيل باسط نور
● وجود موكل بانشار آمال
الاحرار صورة ● وذي
السن في محاسنه الكهول●
حسان الرأي في محاسنه
الشمول ● أدهم الناس
وغرة السماحة ● ندم
الحياة في ذلك التصافية ●
وبدت لا عمال الملوك بأن
قدرت على اداء ما لا سنة ●
ونقل الى أعمال لنا مثاقب
نفس نفائس كما نسه ●
نور بالاعمال صيانة عرضه
عما يسدده ● وقضى
الاعمال امتداد شرف
أبيه ونصب مدح الرسوم
امانته ذكرا ما اديته كامل
نسير الرسائل تاما وآية

وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرقين وكنت حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فأتاه الخبر مع النجاب عير العسكر البغدادي فقال كأنكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شك ان أصحابي واهلي أعرف بالحرب من الوزير وأطوع في العسكر منه ومع هذا فما أرسل احدا منهم في سرية للحرب الا وأخاف عليه وهذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يرا الامراء اهلا أن يطاع وفي مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنت أخبرتكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ولما عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعراء وهو أحمد بن الواثق بالله

اتركونا من جائحات الجريمه * طلعة طلعة تكون وخيمه
بركات الوزير قد شملتنا * فلهذا أمورنا مستقيمه
خرجت جندنا تريد خراسا * ن جميعا بأبهات عظيمه
بخيول وعدة وعديد * وسيوف مجربات قديمه
ووزير وطاق طنب ونفش * وخيول معدة للهزيمه
هم رأوا غرة العدو وقد أقبل * ولواء والحل عقد العزيمه
وأتونا ولا بخفي حنين * بوجوه سود قباح ذميمه
لو رأى صاحب الزمان ولوعا * ين أفعالهم وقبح الجريمه
قابل الكل بالنكال وناهيك بها سبة عليهم مقيمه

كان ينبغي أن تتقدم هذه الحادثة وانما أخرتها لتتبع الحوادث المتقدمة بعضها بعضا لتعلق كل واحدة منها بالاخرى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شيخنا ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة وفيها توفيت سلجوقة خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب الحصن فلما توفي عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظهر للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة وفيها توفي علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسن عليه السلام وفيها توفي خادم الخليفة وكان اكبر أمير ببغداد ومات أبو الفرج بن النقور العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

(ذكر فتح شقيف ارنوم)

في هذه السنة في ربيع الاول سار صلاح الدين الى شقيف أرنوم وهو من أمنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من أعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له أنا محب لك ومعترف باحسانك واخاف أن يعرف المركيس ما بيني وبينك فينال أولادي واهلي منه أذى فانهم عنده

تسموا الرجال بأبناء وتزدان * كم من اب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم احمد ابن الحسن الميمندي)

قد كان الشيخ الجليل أبو القاسم يلي ديوان الرسائل للسلطان أيام سالار يته بخراسان وهو الكريم نسبا * العظيم حسبا * العريق مجدا وحريه * الوثيق رايا ورويه * ينادي عليه أقطار الارض بفصاحة القلم * وسجاحة الشيم ونفاسة الهمم * واحتقار الدينار والدرهم * ودرجه وفاؤه للسلطان على تصاريف الاحوال به الى أن ولاه عرض عساكره * في اقطار ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وما والاهما بأموالها وارتفاعاتها علاوة على ما والاه * فقام بجميع ما تولاه * قيام من وفقه الله وجد اعليه جوده بني الآمال من اطراف البلاد فوسعهم جداه * وغمرهم نداه * وكنت امهم امانا من الفقر يداه * فأما هو وأنه فما يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا

فاستمهل أن يمهلوا حتى أوصل الى علمهم من صيدا وحينئذ أحضر انا وهم صيدا وتسلم
الحصن البلد وأكون انا وهم في خدمتك فسمع بما التمسه من الطاع فطمع صلاح الدين في صدقه
وأجابه الى ما سأل فاستقر الامر بينهما أن تسلم الشقيف في جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين
بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق متفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين صاحب
انطاكية فأمر تقي الدين ابن أخيه ان يسير فيمن معه من عساكر ومن يأتي من بلاد المشرق
ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان أيضا
منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يصل اليهم من الامداد
في البحر وان ملك الفرنج الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح
هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانهم قد اجتمعوا في خلق لا يحصى وانهم قد خرجوا
من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه مما يقلقه ويخاف من ترك الشقيف وراء
ظهره والتقدم الى صور ويمنعه الخوف المتواتر فيقطع المرتقبة الدائمة مع هذه الاسباب
على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدة الهدنة يشتري الاقوات من سوق
العسكر والسلاح ويعمر بذلك ما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن واذا قيل له
فيه شيء من المكر وان قصده المطاولة الى أن يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدي
صفحته ويظهر مخالفته لا يقبل منه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره
الى المرج من سفح أربون وأحضر عنده ارناط وقيل ليس من الاجل الا ايام فقال له في معنى
تسليم الشقيف فاعتذر بأولاده وأهله وان المركيس لم يمكنهم من المجيء اليه وطلب التأخير مدة
أخرى فتحقق السلطان مكره وخداعه فأخذه وحبسه وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا
ذكره ليحمل رسالة اليهم بالشقيف ليسلموه فأحضروه فسار معه فلما وصلوا عصى ذلك
القسيس الى الشقيف فأظهر أهله العصيان فسير صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدم
الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنعه من الميرة والرجال

•(ذكر وقعة اليزك مع الفرنج)•

لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف أتاه كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا قبالة
الفرنج على صور يخبرونه بأن الفرنج قد أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور
ويحاصروا صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شجعان أصحابه سوى من جعله على
الشقيف ووصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا فلقيهم
اليزك في مضيق هناك وقاتلوهم ونصروهم وجرى بينهم حرب شديدة قتل فيها
الولد وأسر واحد من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين جماعة منهم مملوك لصلاح
الدين كان من أشجع الناس حمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وصرعهم يمينا
وشمالا لم يكترثوا له فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا
فعادوا الى مكانهم

•(ذكر وقعة ثانية للعراة المتطوعة)•

لما وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة

من شاهدها صابا ولستقى
اعدول احسانه عليه لسرا
وامضا المدوكتبا الوزراو
العاس لاصلاد الاعي
راته ولانتظم عنده في
صار صرماته والعاته •
لمامساته ومكاتبه •
المعمورة من سلطانه
ووساطته فيها في معظم
مارمية ورحمه •
وعيمر صبه • وبدره
وباسمه سيدد عريه •
ولما وهب عليه قوم أمره
وانكسر سور رعيره •
واقتضى السلطان ان يرحل
عن الاراضي العرم الى
ما تقدم ذكرها استحقت
الشيخ الجليل ابا القاسم على
مهمات بابه وامداد
صاحب الديوان مماليه
وعينه بصواب رايه •
وبعثه على مواصلة
الحول وما فيهم مسم عن
متسم بها الى انا تقمص
السلطان واستدعاه صاحب
الديوان في عمل سراسات
لرفع المسانات • وتحرير
المعاملات • نهض الى
السلطان وكل رئيس
ومرؤوس ومرهف ومسروف
ومستعمل ومعزول • وحسن
ومهزول • فلما قصد الظلم

الفرنج

الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الايام في عدة يسيرة على أن
ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل عقتضى مايشاهده وظن من هناك من غزاة العجم
والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف والحرب فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو
مبعدين وفارقوا الحازم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فأرسل صلاح الدين
عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى أن يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد
علموا انهم منقطعون عن المسلمين وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فأرسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انهم
منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم مايخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم
فلم يلبثوا أن اتاموهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ماجرى
عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق أنفسهم رحمهم الله ورضي عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع
جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم في عسكره فحملوا على الفرنج
فألقوهم الى الجسر وقد أخذوا طريقهم فالقوا أنفسهم في الماء فغرق منهم نحو مائة دارع
سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه
خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين
ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والمخيم

(ذكر وقعة ثالثة)

لما عاد صلاح الدين الى العسكر أتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب
والاحتشاش متبددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى
الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمنا في موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة
من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيأ من قتال ثم تطاردوا لهم
وأروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى أن يجوزوا موضع الكمين ثم
يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت
الفئتان أنف فرسان المسلمين أن يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض
واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على أصحابهم
فخرجوا من مكانهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فأتوهم وهم في شدة الحرب فازداد الامر
شدة على شدة وكان فيهم أربعة أمراء من ربيعة طي وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا
مسالك أصحابهم فسلكوا الوادي ظنا منهم انه يخرج بهم الى أصحابهم وتبعهم بعض مماليك
صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادي علموا انهم جاهلون فأتوهم وقاتلوهم وأما المملوك فانه
نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك
وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فأتوه وهو بآخر رمق فتركوه
وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا
المملوك حيا فحملوه في كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فأيسوا من حياته وأعرضوا
عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا اليه فرأوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه
بشرب فعوفي ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

والغمض حراما ووضعوا
الارواح على الراح توكلا
واستسلاما * ووافق
وصولهم ركضة عزيمة
السلطان الى الهند فسبب
عليهم لاذناب اهل عسكره
بمارآه ووكلهم باستخراجه
في يومين لاهتمام الركض
وضيق رقعة الوقت فمصوا
عصب السلم * وسلخوا سلخ
الغنم * واقبوا على جمرة
الضرم * ونكسوا على الهام
والقمم * حتى اعتصروها
منهم عن تضاعيف اللحم
والدم * وعندها صب
السلطان على الشيخ الجليل
خلعة الوزارة * وفوض
اليه مهمات الامارة *
وأمره بمحاسبات العمال *
ومطالبتهم * بما صار في
ذممهم * من الاموال محكما
في الحل والعقد مخيرا
بين الاخذ والرد وسار
السلطان نحو مقصده *
واقبل الشيخ الجليل على
ماجعل بصدده * فهذب
الامور ونظم المنثور *
ووظف الاموال * وصرف
العمال * ورد صاحب
الديوان اباسحق على
جملته الى خراسان مستوفيا
عليهم مايلزمهم من حاصل وباق

•(ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها)•

لما ملك صلاح الدين عكا كان كلما فتح مدينة أو قلعة أعطى أهلها الأمان وسيرهم اليها بأموالهم ونسائهم وأولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الأموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق في السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسوس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم وأخذهم البطرك الذي كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفون بهم جميعها يستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الأخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة رجل عربي يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأقران على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استأجر من يخرج عوضه أو يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والأموال ما لا يتطرق اليه الاحصاء (ولقد حدثني) بعض المسلمين المقيمين بحصن الأكراد وهو من أجناد أصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه من مراسلة الفرنج في الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعي معهم وكان سبب اجتماعي به ما أذكره سنة ست وثمانين ان شاء الله تعالى قال لي هذا الرجل انه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الأكراد الى البلاد البحرية التي للفرنج والروم في أربع شواني يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملأنا الشواني نقرة (وحدثني) بعض الأسرى منهم انه لأمه وليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه لاستنقاذ البيت المقدس فأخذ أسيرا وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا ان الله تعالى لطف بالمسلمين وأهلك ملك الألمان لما خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا للمسلمين فهذا كان سبب خروجهم فلما اجتمعوا بصور وماج بعضهم في بعض ومعهم الأموال العظيمة والبحر يمدهم بالأقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم ضاق عليهم صور باطنها وظاهرها فأرادوا قصد صيدا وكان ما نذكره فعادوا واتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وتبعهم ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكا منتصفه ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحل الخبر الى صلاح الدين بمسيرهم سار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير مقابلة الفرنج ومسايرتهم وهم سائرون أو يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقة في مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والرأي أننا نسير في الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونعرفهم فعلم ميلهم الى الراحة فخالفهم مواضعهم

وعيسى وناس وتصدق الحسب كالبدر المنير • والسيف المشهور مجردا بالتدبير معقد الرزء الملك وهيبة السرير • فلما تعين عود السلطان الى حرانه عرفوا هذا الامر كيف ورأوه منتظرا ما العقوده مصروطا ملمدود • والاموال وامر الربوع • سائلة الضروع • تعين له أن يصل الى خراسان • مستقلا ما وهي أو وهى صاحب الديوان • في حسابه واستيفائه • ولعسر أو تعسر عن نزع صفو امرائه • فاصدر الى هراة وهيبه باخذ التمرس من يجمعها • وقطع العلو من معلقها • وكاد يطويه كل مال مصرون • ويلقط اليه كل درهم مدفون • فجمع من تسع التمرس ما جمعه • واستكرا الهام لمنعه • فالام يسمع به حولا اذهانا وأوراقا • وعصيا ورقاقا • وعلمانا رساقا • وأراما صافا وبلاد الرابع • على مثلث الديوان عاما من منثور المتابع • ووسوم للمطامع • فسامه السلطان

وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا الصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأى قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل فى مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأى صلاح الدين فى مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا لكان بلغ غرضه وصدهم عنها ولكن اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة وأتاه تقى الدين ابن اخيه وأتاه مظفر الدين ابن زين الدين وهو صاحب حران والرها وكانت الامداد تأتى المسلمين فى البر وتأتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك وما عداها كان قتالا يسيرا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بجده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوى أخ على أخ والتجؤا الى من يليهم من أصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وأدخل صلاح الدين اليه من أراده من الرجال وما أراده من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما أرادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر أخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وكان فى جملة من أدخله صلاح الدين الى عكا من جملة الامراء حسام الدين أبو الهيجاء السمين وهو من أكابر امراء عسكره وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

(ذكر وقعة أخرى ووقعة العرب)

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وسعهم فى استئصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالح المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من أشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان

تصعيدا وتسبيبا وحملا الى بيت المال فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل * وفزع من بعد الى خاص أملاكه وضياعه * ومواشيه وكراعه * وتجمله واثاثه * حتى حلى اثاثه فحل ما اعتقده منها على مال مصادرته * وما يجمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة * فى الصناعة * لم يعتن بها فى سالف الايام * ولم يرض بيانه بخدمة الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة أيامه من العربية * الى الفارسية * حتى كسدت سوق البيان * وبارت بضاعة الاجادة والاحسان * واستوت درجات العجزة والكفاة * والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة * ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل أسعد الله به جدود الافاضل * ووزد بمكانه خدود الفضائل * ورفع ألوية الكتاب * وعمر أفنية الآداب * فجزم على أوشحة دواوينه أن ينكبوا ويتحاشوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه * ويعجز عن فهم

معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم واعطاهم الخلع

•(ذكر الوقعة الكبرى على عكا)•

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر والرأى اننا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عنه بعضهم مقابل انطاكية ليردوا عادية البيمند صاحبها عن اعمال حلب وبعضهم في حمص مقابل طرابلس لحفظ ذلك الثغر ايضا وعسكر في مقابل صور لحماية تلك البلاد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذى بقى من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا مما اطمع الفرنج في الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجة من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤوها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين فلما رأى ان الفرنج نحوه قاصدين حذر هو واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر عنهم فلما رأى صلاح الدين الحال وهو في القلب امد تقى الدين برجال من عنده ليتقوى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيين في جناح القلب فلما رأى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا الى القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير اخى الفقيه عيسى وكان والى البيت المقدس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكارى وغيرهم من الشجعان الصابرين في مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو على بن رواحة الحموى وهو من اهل العلم وله شعر حسن ورزق الشهادة فان جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله الروم يوم مؤتة وهذا قتله الفرنج يوم عكا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعون ثم ان الفرنج نظروا وراءهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم ان الميمنة وقفت مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من يليهم عن الاتصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين فصادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم ونادوهم غلمان العسكر وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكر ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم

ما يعرف به علمه وطارت
وقعاته في البلاد ولا شوارد
الامثال • وايامه المعالى
من المصائد الطوال الممتد في
كل ناديا فاعلها او في كل
مسهلها داعيا صاحبها •
فاما الشعر فقد لبس علمه
مطروده • وسعد به
مجدوده • ووثق بالعلب
الرواة فيصوغونه فارسله
كالعادة تعريدا
مانسه • والعمارى
نصيبا على الضرب
المأتى في صراته • فهو
بمنزلة في الناس عالى
ورتبة • ومنزلة لاهل
الفضل عال وعصمة •
واثر بعد من البلاد والعباد
شاهد على الاساس • وعلما
على الاساس • واتمه على
الاعيان ومكافأة بالاسام
والاحسان فاوسوا الجراح
العلوى مراهم الترغيب •
واسكارا معروف العمارة
سابق التضريب • واشارة
على السلطان في امور
مملكته بما سدد حاصل
التدبير واجمل العواقب
العزيز لا جرم انه استتب
الامور صابه واسدت
الثغور على آرائه وكذلك
من كان على العلم ارادته
واعداده وعلى

على الفرنج من ورائهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فأخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم أحد بل قتل أكثرهم وأخذ الباقون أسرى وفي جملة من أسر مقدم الداوية الذى كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه فلما ظفر به الآن قتله وكانت عدة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو عشرة آلاف قتيل فأمر بهم فألقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان الفرنج فان الرجالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل فلما أسرن وألقى عنهن السلاح عرفن انهن نساء وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن وعاد ومنهم من بلغ دمشق ولولا ان العساكر تفرقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك مرادهم على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا فى القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاءهم الصريخ بان رحالهم وأموالهم قد نهبت وكان سبب هذا النهب ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب فثار بهم أوباش العسكر وغلمانه فنهبوه وأتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فأمر بالنداء باحضار ما أخذ فأحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والغيب المملوأة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم

(ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا)

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأى اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك فأجابهم اليه الى ما يريد الله ان يفعله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط وأعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره أمن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا وحصروا عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضا فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كل يوم يوافقهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتقدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليهم ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف هو عنهم فقال اذا لم أحضر معهم لا يفعلون شيأ وربما

البصرة ارجاؤه وبداره

(ذكر الامير شمس المعالى قابوس بن وشمكير وما ختم به أجله واستصاب ابنه الامير شمس فلك المعالى منوجهر منصبه ووراثته ملكه)

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والرأى البصير بالعواقب والجد المنيف على النجم الثاقب* مر السياسة لا تستساغ كأسه* ولا يؤمن صيال سطوته وبأسه* يقابل زلة القدم* باراقة الدم* ولا يعرف فى أدنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد* ولم يشترك فى كسبه اعتقاد* غير حز الانتقام* بحد الحسام* والتفليق عن مركب الهام* لا يذكر العفو عند الغضب* ولا يعرف معنى السوط والخشب* ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والترب* وهلك على خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش فئام من حاشيته لو استبقاهم على خفة أجرامهم لكان أشبه بالجلالة* وأليق بالاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله* حتى

كان من التتر أصحاف ما تر حوم من الجبر فتأخر الامر الى أن مرق فمكن الفرنج وعملوا ما أرادوا واحكموا أ ورهم وحصروا تقوسهم علوحدوا اليه السبيل وكان من مكايدهم حوث اليهم كل يوم و معاتلوهم و سالون مم من نطاهر البلد

(ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصري الى العمر)

في منتصف شوال وصل العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدت ظهورهم وأحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيئا كثيرا ومعهم من الرجالة الجم الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشامية راجلا كثيرا وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصري ومقدمه الامير لؤلؤ وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها وأخذ منها أموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكا فسكنت نفوس من بها بوصول الاسطول وقوي جنانهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر خطب لولي العهد أبي نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد وبعث الدنانير والدراهم وأرسل الى البلاد في اقامة الخطبة ففعل ذلك وفيها في شوال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك ان صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسير الخليفة اليهم عسكرا فحصروها وتسلمها وأرسل أصحابه الى بغداد فأعطوا اقطاعا وفيها فتح الرباط الذي بناه الخليفة بالجانب الغربي من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا وفي هذه السنة في رمضان مات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون الفقيه الشافعي بدمشق وكان قاضيها وأضر وولي القضاء بعده ابنه وكان الشيخ من أعيان الفقهاء الشافعية وفيها في ذي القعدة توفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بالخروبة مع صلاح الدين وهو من أعيان أمراء عسكره ومن قدماء الاسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروءة وهو من أصحاب الشيخ الامام أبي القاسم بن البرزي تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثم اتصل بأسد الدين شيركوه وصار امامه الى أن صار صاحبه ما حصل له الاقطاع وعظم عند صلاح الدين تقدما عظيما وفيها في صفر توفي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان بمكة وكان عالما بمذهب الشافعي وعلوم كثيرة خلاف علم مذهبه والاصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم أعماله بالزهد ولبس الخشن وأقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا وتوفي بها وكان من أحسن الناس صحبة وخلقا وفيها في ذي القعدة مات أبو طالب المبارك بن المبارك الكرخي مدرس النظامية وكان من أصحاب أبي الحسن بن الخل وكان معلما لخطه بحيث يعرف ولد الخليفة والعلماء حرمة عظيمة وكان مريضا وكان حسن الخط يضرب به المثل

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى مبارزة الفرنج)

استوحشت النفوس منه وتقلب القلوب عنه وتضيق الصدور عليه ومالت منه الاهواء المائلة اليه اذ كل أحد لا يأمن العودة ولا يملك العصمة ومتى كل العصاب ملعا ما انحطا السير صار التنفوس مجامعة والارواح مسامحة والمرض السيرة لا من ورود المصر به اذا مات قد كانت وليس عما تعوده بعد ما صبري العود والقوات سامية كان شرف صاحب لهم وهو أحد أعيان الكرام كله في حدود سوسان عدم العادلة والعادية مسلم السلامة من بين أهل الماشية وكان اعتدل بسط اسراف وساعتها مع الله لا مطمع في بعض رعايا ها في مال أو مال الى الاستمتاع منه عال فأمن شكه وتعلقه من حط رقبته وهو يستعين معرضا سراه الساحة وعاد الحب والراحة وقصر رماته عليه ملوم صح اسناده عن اقامة تمه وارا قة دمه فراد قتله ايغار الصدور واضعاف القلوب وتوامى

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكا الى الخروبة لمرضه فلما برأ أقام بمكانه الى أن ذهب الشتاء وفى مدة مقامه بالخروبة كانت يزكه وطلائعه لاتنقطع عن الفرنج فلما دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذى فى اليزك عندهم قليلا وان الوحل الذى فى مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من أراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا أنفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لاينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى أن جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى العسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فأتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فأقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل بتل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسأمون

(ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول)

كان الفرنج فى مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدا طول كل برج منها فى السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة وقد جمع أخشابها من الجزائر فان مثل هذه الابراج العظيمة لايصلح لها من الخشب الا القليل النادر وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها وأصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا فى طم خندقها فاشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا فأرسل اهله الى صلاح الدين انسانا سبح فى البحر فاعلمه ماهم فيه من الضيق وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا أن الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجزمن فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيأ وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فأيقنوا بالبوار والهلاك فأتاهم الله بنصر من عنده وإذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم أباشرها بنفسى انما اشتهى معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع فى عمل مايعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لايمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيق أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما أعطيه حتى أحرقه وكان عند

عند ذلك أعيان العسكر على خلعه ونزع الايدى عن طاعته وكفاية النفوس شغلها بثقل وطأته * وخشونة سياسته * ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى العسكر بجناشك استبدالا مواتها عن لفح الحرور * عند طلوع الشعرى العبور * فعمى عليه وجه الصورة * وشذ عنه علم تلك المشورة * فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التى اعتصر بها وانتهابهم أمواله * وأفراسه وأبغاله ومرامهم قسره واستنزاله * فهزق وجوههم من كانوا نزولا بفنائه * محامين من ورائه * حتى انكشفوا عنه صاغرين * وولوا على أعقابهم داخرين * وولوا الى جرجان * فتملكوها عليه معلنين بشعار العصيان لابسين عار الكفران * وبعثوا الى الامير أبى منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما للعادثة بأسه * واكبارا لما نفذ من المكيدة

الى القرب من البلد وأشرفت على البلد ومن فيه فما كاد يملكه فأراد اعطاءهم [illegible]
فقال له الله بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط وغيره فلم يفعلوا شيئا فقال له من حضر ان الله تعالى
قد حمل الفرنج على ذلك ولا يسر بان [illegible] على قوله فأجابه الى ذلك وأمر النفاطين بامتثال
أمره فرمى بعدة قدور نفطا وأدوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا رأوا القدر لا تحرق شيئا
يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذي ألقاه قد تمكن من البرج ألقى
قدرا مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار في نواحي
البرج وأعجلت من في طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من
الزرديات والسلاح شيء كثير وكان طمع الفرنج عارا ان القدور الاولى لا تعمل شيئا حملهم
على الطمأنينة وترك السعي في الخلاص حتى عجل الله لهم النار في الدنيا قبل الآخرة فلما احترق
البرج الاول انتقل الى الثاني وقد هرب من فيه لخوفهم فأحرقه وكذلك الثالث وكان يوما
مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة
فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس منهم أحد الا وله في البلد اما نسيب واما
صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثير فلم يقبل
منه الحبة الفرد وقال انما عملته لله تعالى ولا أريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد
بالبشائر وأرسل يطلب العساكر الشرقية فأول من أتاه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي
وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثم أتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي سيره
أبوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان
كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعسكره وينضم اليه غيرهم ويقاتلهم ثم ينزلون ووصل
الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه أسطولا ليلقوه ويقاتلوه فركب
صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول
ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصدهم فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان
يوما مشهودا لم يؤرخ مثله وأخذ المسلمون من الفرنج مركبا فيه من الرجال والسلاح وأخذ
الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا ان القتل في الفرنج كان أكثر منه في المسلمين ووصل الاسطول
الاسلامي سالما

(ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته)

في هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عددا وأشدهم بأسا
وكان قد أزعجه ملك الاسلام البيت المقدس فجمع عساكره وأزاح عللهم وسار عن بلاده
وطريقهم على القسطنطينية فأرسل ملك الروم بها الى صلاح الدين يعرفه الخبر ويعده انه
لا يمكنه من العبور في بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من
العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن أحدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم
فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وصاروا على أرض
بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجوق فلما
وصلوا الى أوائلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقون

فيه • وطمعا في مدارك
الطلب وتلافيه • فلما
منهم مصرعه وأسعوا على
طاعته أن يطيع أبا •
وانتزار ردا المطالب
أبا • فلم يصدق عاجل
الحال العسر المارا صطا
لما التسعر • ووساعدلي
بالسعر وصبر السراحمه
من الاصراف • وابهاما على
مكر القاصد الانسان •
واستمالا على البيت من
الصناع • وعلى الملامس
التصلف والاتزاع • وقد
كان من المعلى ماوس
لما سمع بما القوم واجماع
كلهم على الخلع عطفعن
كان معه من رجال ومال
الى ناحيته سطام ماظرا
ما يسفر عنه عاقبة الحرب •
وينتهي اليه مآثرة التغلب
والترتب فلما تسامعوا
ما أجملوا الامر جبر جهر
على تصلفه • وانتحاه عن
مكانه أورثه مسارعهم
اليه مضطرا وداعيا السر
سرا كالمحل الاقف ان تقيد
ابعاد وان أتيح على مصر
استتاح الملك الى أبيه •
أدنى أمد دون مرتبته • من
أشياعه وحواشيه • ادغام

ماقدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون فى تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فاهلكهم البرد والجوع والتر كمان وقتل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملك شاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية وبها أبوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرق أولاده فى بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير فى أثره فنازلوا قونية وأرسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا له ماقصدنا بلادك ولا أردناها وانما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه أن يأذن لرعيته فى اخراج مايحتاجون اليه من قوت وغيره فأذن فى ذلك فأتاهم مايريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وان يسلم اليهم جماعة من امرائه رهائن وكان يخافهم فسلم اليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض اليهم فقبض ملك الالمان وقيدهم فمنهم من هلك فى أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الالمان حتى أتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فامدهم بالاقوات والعلوفات وحكمهم فى بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو انطاكية وكان فى طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لايبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار الى انطاكية فاختلف أصحابه عليه فأحب بعضهم العود الى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال الى تمليك أخ له فعاد أيضا وسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا وأربعين ألفا ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا الى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير الى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها اليهم وأخذوا منهم خلقا كثيرا ومات أكثر من أخذ فبلغوا طرابلس وأقاموا بها اياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا نحو ألف رجل فركبوا فى البحر الى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ماناالهم فى طريقهم وماهم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قلج ارسلان يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده أنه يمنعهم من العبور فى بلاده فلما عبروها وخلفوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم لان أولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته وأما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانه استشار أصحابه فأشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل أن يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى أن يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بمكا من عساكرنا لكنه سير من عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقية وشيزر وغير ذلك الى أعمال حلب ليكونوا من أطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكفى الله شرهم ورد كيدهم فى نحرهم ومن شدة خوفهم أن بعض أمراء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان أخى رحمه الله يتولاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه فى بيع الغلة فوصل كتابه يقول لاتبع الحبة الفرد واستكثر لنا من التبن ثم بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فمالنا حاجة اليه ثم ان ذلك الامير قدم

دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون خدلانه * والروح وقفا على على شكر احسانه * فلما وصل اليه ذكر طاعة وخضوعا * وأسال أودية الشؤن دموعا * وتشاكيا صورة الحادث * وتذاكرا حق الموروث والوارث * وغرض الامير منوجهر أن يكون حجابا بينه وبين أعاديه * وان ذهبت نفسه فيه * ورأى شمس المعالى قابوس ان العارض قصارى أمره * وختام عمره * وانه أحق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به مادام فى فسحة من أمده * فتواضعا على أن ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة حتى يأتيه يقينه * فيسلم له نفسه ودينه وأن يتفرد الامير منوجهر بتقرير الملك فريا وتقديرا وتقديما وتأخيرا * وقدمت اليه عمارية على هذه الجلة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته * على ضروب

الموصل مــا تبلــغ من الفتح من بيع الغلة ثم الاذن فيها فعلمنا تيسر ما قال لنا وصلت الاحمال
بوصول ملك الالمان أعننا أنا نالني لنا بالتنام فكتب المتع من بيع الغلة لتكون ذخيرة
لنا اذا جاء الحكم فلما اهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتب بيعها والانتفاع بثمنها

•(ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا)•

وفى هذه السنة فى العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء
خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم
الملك العادل أبو بكر بن أيوب وكان المصريون قد ركبوا واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا
واقتتلوا قتالاً شديداً فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا أموالهم فعطف
المصريون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فأخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين
نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت
امدادهم ألقوا المدد عليهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم
مقتلة عظيمة فعدد القتلى على عشرة آلاف قتيل وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر
مصر وكان مقدمهم علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا أيضاً على
الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلاً كثيراً هذا جميعه ولم يباشر القتال أحد من الحلقة
الخاص التى مع صلاح الدين ولا أحد من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار
وعسكر اربل وغيرهم ولما جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانت عريكتهم وأشار
المسلمون على صلاح الدين بمناجزتهم القتال ومباشرتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع
فاتفق أنه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما أصاب أصحابه من الموت
والقتل والاسر وما صار أمرهم اليه من القلة والذلة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح
بما عن قتال من بازائهم وظنوا ان الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنا الى وهنهم وخوفاً
على خوفهم فلما كان بعد يومين أتى الفرنج أمداد فى البحر كند من الكنود الفرنجية يقال له
الكندهرى ابن أخى ملك افرنسيس لأبيه وابن أخى ملك انكلتار لامه ووصل معه من
الاموال شئ كثير يفوق الاحصاء فوصل الى الفرنج فجدد الاجناد وبذل الاموال فعادت
نفوسهم قوية واطمأنت وأخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضاً فتماسكوا
وحفظوا مكانهم ثم أظهروا أنهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين
من مكانه الى الخروبة فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة لتتسع الحال وكانت المنزلة
قد انتنت بريح القتلى ثم ان الكندهرى نصب منجنيقاً ودبابات وعرادات فخرج من بعكا من
المسلمين فأخذوها وقتلوا عندها كثيراً من الفرنج ثم ان الكندهرى بعد أخذ منجنيقاته أراد
أن ينصب منجنيقاً فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين بعكا كانوا يمنعون من عمل ساتر يستتر به
رماة المنجنيق فعمل تلاً من تراب بالبعد من البلد ثم ان الفرنج كانوا ينقلون التل الى البلد
بالتدريج ويستترون به ويقربونه الى البلد فلما صاروا من البلد بحيث يصل من عنده حجر المنجنيق
نصبوا وراءه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فارسل صلاح الدين الى
الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات والذخائر والعوم وغير ذلك فى المراكب الى عكا فتأخر انفاذها

مصلحه • وصدقت الامر
من جهر الى خراسان وولى
الصدر • وحط الامر •
وأخذ دارى القوم رضا
وتطمعا • وعمهم
الاحسان جمعا • ودام على
حمل التمور • حتى
اسوره مادام مسن المعالى
فى حصه السما • ودرسه
الاحياء • وما زال واقى
الاحتمال عليه حتى برموا
من أمره • وملوا كأن عموا
من عادته سره • ولهرصوا
• وجرى فى صوان الاموات
حتى كشفوا من عمله •
وأفردوا له نطاق اقوسا •
حسن علمه من المعالى
مابوسا • ووارد وفى ممره
كلن اشتاها التمسه بظاهر
خراسان • على محمد خراسان
وعند الناس فى معناه
كما قال مهلهل
انبث ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتناوموا الى أمر كل عظيمة
لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
وبعد الامير من جهر المأم
ثلاثة أيام على رسم الحمل
فى حمر الرؤس • وضرب
التموس • ورفض المنام •
وهجر الطعام ولما انقضى أيام
المصرى نعى المصرور

فسير الى نائبه بمدينة بيروت فى ذلك فسير بطسة عظيمة مملوأة من كل ما يريدونه وأمر من بها فلبسوا ملابس الفرنج وتشبهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا أدخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلغوا بما فيها الى أن أتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو ألف مقاتل فأخذت بنواحى الاسكندرية وأخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من بابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن أمره وقوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومية الكبرى يأمرهم بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد أرسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

(ذكر خروج الفرنج من خنادقهم)

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجند لهم الكند هرى جمعا كثيرا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها ويقاتل أهلها وخرجوا حادى عشر شوال فى عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا وكان قد عاد اليه من فرق من عساكره لما هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر فى القلب وأخوه العادل أبو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من أمرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هنالك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وأمطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية أن تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم والجالشية فى أكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما أصابهم فلولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانما الله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خندقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج اليهم أربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأ من قتال وتطارد والهم وتبعهم الفرنج حتى جاز والكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صورية فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير أسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين على بن أحمد المعروف

واستوثقت على البيعة السرور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا *
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله أمير المؤمنين بخبر شمس المعالى واستئثار قضاء الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا * ولقبه بفلك المعالى مشرفا ومحليا * وعزم الله على الصواب فى اختياره * والرشد فى ايثاره * ففزع الى السلطان يمين الدولة * وأمين الملة * معتصما بحبله * معتصرا بظله * مستظهرا بطاعته * مستنصرا فى مشايعته مستغشيا رداء عنايته * متلافيا وهن المصاب بقوة أشباله ورعايته * وأنهض عدة من ثقات بابه بعماد موفوره * ونفائس مذخوره * ورسائل على صدق الاخلاص وصفو الاعتقاد مقصوره * فصادف مارجاه رغبة فى موالاته * وحرصا على تقمن مرضاته * وترددت السفراء على رباية هذه الحال * وتوكيد عقدة الوصال * واحتكم السلطان عليه فى اقامة الخطبة له

بالمسطوب كما يحصل من سد أبنائهم وكذلك من غلات وعمرها ولولا ذلك لهلكوا جوعا
وحصروا في الساحل بعد انقطاع مراكبهم عنهم بهيج البحر

* (ذكر تسيير البدل الى عكا والتفريط فيه حتى أخذت) *

لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التي عندهم لانها لم تكن من المينا
فسيروها الى بلادهم صور والجزائر وانقطع الطريق الى عكا في البحر فأرسل أهلها الى صلاح
الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين متوليا
على حفظها فأمر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر أخاه الملك
العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني
وكان يسير جماعة من العسكر يسيرهم اليها وأخرج منها مثلهم فدخل اليها عشرون أميرا وكان فيها
ستون أميرا فكان الذين دخلوا اقل نسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تفقد
الرجال واعدادهم وكان على خزانته فيه قوم من النصارى وكانوا اذا جاءهم جماعة قد خرجوا
تصرفوا بأنواع من المراقبة معروفة ومار بتسيير ذلك فتم فيها السيف على كثيرة والعساكر
الى ذلك والى صلاح الدين ووقته سواه واهمال النواب فانحسر الشتاء والامر كذلك
وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح يأتي بكتاب وكان من جملة الامراء
الذين دخلوا الى عكا سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وعز الدين أرسل مقدم الاسدية بعد
ذلك وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين وكان قد أشار جماعة على صلاح الدين
بأن يرسل الى من بعكا من اصحابه بأن يعمروا الحائر والاقوات الكثيرة ويأمرهم بالصبر ...
الكثير وانكروا وأعلموا أن تفرقهم على ما عندهم لم يحصل وظن فيهم الصبر والملل وأن ذلك
يحملهم على الضجر والقتل فكان الامر بالضد

* (ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير أخيه مظفر الدين اليها) *

كان زين الدين يوسف بن زين الدين علي صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعسكر
فمرض ومات في شهر رمضان وذكر العماد الكاتب في كتابه البرق الشامي قال حضرنا الى
مظفر الدين نعزيه بأخيه وظننا به الحزن وليس له آخ غيره ولا رأيناه فعلا ضعيفا وهو في شغل شاغل
عن العزاء مهتم بالاحتياط على خاصته وهو جالس في خيام أخيه المتوفي وقد قبض على جماعة
من أمرائه واعتقلهم وثقل عليهم وما أعطيهم سهم بلد أخيه صاحب قلعة ...
وأرسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل ليترك من حران والرها فأقطعه اياها وأضاف اليها
شهرزور وأعمالها ودرنة قرابلي وبني قفجاق ولما مات زين الدين كاتب من كان باربل مجاهد
الدين قايماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملكوه فلم يحضر هو ولا صاحبه
عز الدين أتابك مسعود بن مودود وخوفا من ذلك خوفا من صلاح الدين وكان أعظم الاسباب في تركها
ان عز الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فمكن زين الدين من اربل ثم ان عز الدين أخرج
مجاهد الدين من الحبس وولاه نيابته وقد ذكرنا ذلك أجمع فلما ولاه النيابة جعل
معه انسانا كان من بعض مماليك مجاهد الدين فكان شاركه في الحكم وحصل عليه ما تعصد
فلو مجاهد الدين من ذلك فبعث سيد الطلب الى اربل قال المرسل اليه لا أفعل لئلا يحكم فينا

على ممار ولا آثاره * وامعانا
لصدوده عنه في سوء الاثمه
وأمر من اليه أما بعد الحسن
ابن مهران أحد ماثه * وما
رأى اصلاح من تقاتل
حلمه وكراماته صادق سمه
من ببلتقسا وجمعا مطمعا
وأمر بإقامة الصور باسمه
على منابر بوطان وطرسان *
ولوس وبلمعان * والترم
في السنة جميعا ...
دثار آثاره * وعلى عكس
الطاعة والاخلاص
علاوة * وأسند عن السلطان
على حدة ذلك وقد عرم على
عروة تاراس الصلاحية
طاعة عن الحل والسلم
يصون حرمة المصاني *
ويصون عنه السكينة
الطارئة * حمد ساليه
الى وصل من حلص المشلمين
ادراموا الوهم ودوه رل *
أوقصدوا السهر لحسرك *
وقد أمر بأن استعطافهم في
اعطياتهم * ويصلهم من
نعم أو زيادتهم * ويطلق
لهم مقتنة الملحمة الى
صالحهم * واحسان آرائهم
واستعطافهم * فلما
استوى ما ثار بالمرة *
مريد الرشد * ويعاصيه

فلان ويكف يدي عنها فجاء مظفر الدين اليها وملكها وبقي غصة في حلق البيت الاتابكي لايقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرة بعد أخرى ان شاء الله تعالى

* (ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين) *

في هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهي من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهز في العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسير طائفة كثيرة من عسكره في البحر فنازلها وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وطلبوا الامان فأمنهم وسلموا البلد وعادوا الى بلادهم وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا أربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك بأربعين سنة وتمكنوا في الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وأرسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد أبو يوسف الى مراكش وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا أمكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى

* (ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان) *

كان سلطان شاه أخو خوارزم شاه قد تعرض الى بلاد غياث الدين ومعز الدين ملكي الغورية من خراسان فتجهز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقي يتردد بين بلاد الطالقان وبنجدة ومرو وغيرها يدحرب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى أن دخلت سنة ست وثمانين فجمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافا واقتتلا فانهزم سلطان شاه وأخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة في ربيع الاول تسلم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير اليها جيشا حصرها وهاسنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير فلما ضاقت عليهم الاقوات سلموها على اقطاع عينوها ووصل صاحبها وأهلها الى بغداد واعطوا اقطاعا ثم تفرقوا في البلاد واشتدت الحاجة بهم حتى رأيت بعضهم وانه يتعرض بالسؤال الى بعض خدم الناس نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وفي هذه السنة توفي مسعود بن النادر وكان مكثرا من الحديث حسن الخط خيرا ثقة وفيها توفي أبو حامد محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري بالموصل كان قاضيا وقبلها ولي قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسا جوادا ذا مروأة عظيمة يرجع الى دين واخلاق

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

* (ذكر حصر عز الدين صاحب الموصل الجزيرة) *

في هذه السنة في ربيع الاول سار الاتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو ابن أخي عز الدين وكان سبب حصره ان سنجر شاه كان كثير الاذى لعمه عز الدين والشناعة عليه

في الطاعة قضاء الحاجة انهض رئيس جرجان أبا سعد الجرولكي المتقدم فضلا وأدبا * المحتشم حسبا ونسبا * لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاءة بخطبتها عنه والطاعة باستيجابها له فنهض في خفارة الادب تهديه * وكفالة الرفق فيما يذره ويأتيه * ولم يزل يأتي الامر من بابه ويستطلع المراد من حجابه * حتى أسمعت قرونة السلطان لما استدعاه * وأوجب الاسعاف بما توخاه * ولما انكفأ الفاضل أبو سعد وراءه بصورة الايجاب * وما مادفعه من هزة الجد للاطلاب جشمه الامير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم ورواية الحديث ورصيع أخلاف التدريب والتجريب * لتنجز النجاح وتأريب عقدة النكاح * فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمه * وخاطبين ضم السدى الى اللحمه * فرأى السلطان تحقيق مبذول العدة *

ومانه يقول انه بكاتب ولاسله الى صلاح الدين في جمعه بانه يقول انه بر بلسد ملادك

والمراسله الى صلاح الدين لمحه بانه يقول انه ير بلسد ملادك وما يقول انه بكاتب اعداه وصهم في قدلك الى عمرة الشى الامور المؤديه وعز الدين مصر على ما ذكر الامور

ارتقارهم ومانه بحوقامس لسلمها الى صلاح الدين فلما كذلك السه المامسصار صاحبها الى

صلاح الدين وهو على مكانه في حلب من سار من اصحاب الاطراف واقام مشحده للسلا وطلب

دستور العود الى بلده فسال لصلاح الدين بعده من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين

صاحب سنجار ومظفر الدين اخوا كوكبرى ومنهم ابن علي عز الدين وهو اسعر وعيرهم ومن

قصده الباب التدى لتتعرل الى ان يتصل الى بلده واصر على ذلك وكان عند صلاح الدين

جماعة من اهل ابار بستصرون على مصر شاه لانه ظلمهم واحد امرالهم واملاكهم فكان

عامهل داود بن ارسلان ملك الادب العود الى البلد الى هذا القطر من سمع من هو صرك

ملك البلد مصر شاه وجاء الى حمص صلاح الدين واذن لاصحابه في المسير وسار ولا الاشاال دين

حرب فلما وصل الى حمص صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد ملك حمصا وقد

مرور عسكر باذن حمص كنت مر بدا على باب حمص الى ان اذن له فلما دخل عليه

بالمدواك عليه يودعه فسال مما يقال معرفك على الحركه فتصير عليها حتى يرسل ما حرب

به العلاده وملكصور ان تصرف فما بعدما ثم عدا على هذا الوجه لم يرجع وودعه والصرف

وكان من الدين عز الدين اخو صلاح الدين فعل من بلده مقاتل عسكره فكتب الى صلاح

الدين يامر بالعاد ممصر شاه طوعا او كرها لكن له من بني الدين انه طال ما ارا سمصل مصر شاه

لصه بعصه منه فان الله من سب اضرار الله تعالى يعطيه معه الحال ولا يليق ان تصرف

مع سير بين السلطان وعز الدين فسمع لعمل رسالته العود فلم يسمع اليه قوله مكانه كانه

بعض عماليكه واستجاره ملك ان رسه التي هي احسن والا اعدمك كان ذا مرك

من داسه واحسن الي وقال قد اصر مصر شاه ولم يكن يقتص من حاجته او او وليته مانيا

معي فلما نانيهم صلاح الدين عشر ايام وكتب صلاح الدين الى عز الدين الملك يامره بعد

الطريق وعاصرها واحدها واليه رسل الطريق مصر شاه ليقص عليه اذا عادك فعز الدين

ان صلاح الدين قد ا لكن لا تعكسد لسمع ملكت المطر بعمل ما من ذلك ان ارسل

اليه يقول ابدا ملك وصير واصل الطريق تو ملك ارسل في طلب اليه ان ان المصه

سب وعابس ما صرت العاده ثم بما سار عز الدين الى الطريق فصرها اربعه اشهر واياما

آخرها سمان ولم يملكها ان استقرت الله مدة بينه وبين مصرشا على ان يرسل صلاح الدين

فانه كان قد ارسل بعد ذلك يقول ان صاحب سنجار وصاحب اربل وعيرهما ثم تعالى

مصرشاه فاستقر الصلح على ان لعز الدين نصف اعمال الطريق ولمصرشاه نصفه وان يكون

الطريق بيد مصرشا من جهة الصمعه وعاد عز الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك

يقول لما فعل ان احدهم من السيد واسه الا كان بدونما قال فيه الا مصرشاه فانه كان

ما قال ما اسامه طمع الملك انه صعر في عمي ما اسل

•(ذكر عبور تقي الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزريه

وسيره الى خلاط وموته)•

وحصان سلطان الشمس طالعا برج الدر • وطلب للامر تلك المعالي بالشمس كده • وسمع له برهة الارض من نجوم رايه • وأى نجم كان في تلك المعالي مداره • لم يستدار • ألى وسار النجوم الاثلاثه • وأزواج الكواكب الاملاك • وجرى من الاستسار باصابة المعرس والمار • ونصب الثمار • وصوب الماره كالغروب الفراته ما أرخ بذكر الفخر ورسم بذكر ما له العصر • وعد الرسولان بذلك النجم الموقوف • ولا السعدان يسير ان في الحروب • وعند هما تكشف الامور المعالي برسمه المرئي • ولكل مسرى التصري • مالاتسى ان رآه على اسلافه أسماده • واعتراف بعوبه وأفواهه • ان له همه الى الملوك مرتوعه • وبه على صدق الولا • ماسره • وليس أحد من أركان الدولة وجوانبها والرائمين حول مراعيها • من لم يصرف بسهم من سهام الطلب • ولم يسرل في العز المعهود بالشرف • لا جرم ان

في هذه السنة في صفر سار تقي الدين من الشام الى البلاد الجزرية حران والرها كان قد أقطعه اياها عمه صلاح الدين بعد أخذها من مظفر الدين مضافا الى ما كان له بالشام وقرر معه انه يقطع البلاد للجند ويعود هو وهم معه ليتقوى بهم على الفرنج فلما عبر الفرات وأصلح حال البلاد سار الى ميافارقين وكانت له فلما بلغها تجدد له طمع في غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حاني من ديار بكر فحصرها وملكها وكان في سبعمائة فارس فلما سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بملكه حاني جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره أربعة آلاف فارس فلما التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقي الدين بل انهزموا وتبعهم تقي الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير صاحبه شاه أرمن وسجنه في قلعة هناك فلما انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يأمره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقي الدين قد نازل القلعة فأخذ الكتاب وملك القلعة وأطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن في كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيق على من بها وطال مقامه عليها فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة اياما ذكروها فأجابهم اليها ومرض تقي الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرقت العساكر عنها وحمله ابنه وأصحابه ميتا الى ميافارقين وعاد بكتمر قوي أمره وثبت ملكه بعد ان أشرف على الزوال وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدة فان ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من أن يؤخذ

(ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر الى عكا)

وفي هذه السنة وصلت أمداد الفرنج في البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك افرنسيس وهو من أشرف ملوكهم نسبا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثاني عشر ربيع الاول ولم يكن في الكثرة التي ظنوها وانما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوس من على عكا منهم ولجوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحنها بالمقاتلة وتسييرها في البحر لمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مراكب مملوءة رجالا من أصحاب ملك انكلتار الفرنجي وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وكتب ايضا صلاح الدين الى من بالقرب من النواب له يأمرهم بمثل ذلك ففعلوا وأما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم في المجيء اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى وكان قد استولى في طريقه على جزيرة قبرس وأخذها من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعا فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار عنها الى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم في خمس

السلطان أعز حرمة قرباه * وجراه * مما سمحت به يمناه * وأفرد كل واحد منهم ومن قواد جيوشه وأفراد رجاله بخلع علت اجانب الملوك [illegible] شريطة الجود * والسماحة بالموجود * وتقصي الجهد بمقو الرأي دون المجهود * فأما صاحب درة الصدف * وياقوتة الشرف * فحال طال عهد الدهر بمثله * بحوعاني مكان * ومولام خراسان ولا غرو فالشمس تقني البدور نورا * والبحر يمد الخليج مسجورا * وقد كان الامير ملك المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بمظاهرة السلطان ظهره * دمر على اعيان عسكره المشتركين في دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل * وأنواع من العلل * حتى اباد خضراءهم * وسقى ظماء الارض دماءهم واحمى ابن خركاش وهو القريب العاق * والنسيب المشاق * بالداهية الدهياء فانسل تائها * بين سمع الارض وبصرها * تأباه الرعان والاباطح * وتلفظه القيعان

وعشرين قطعة كانوا عملوا أمرها لا أمر الا تعظم به سر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكل
رجل رماة بضاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلي المسلمون منها بالدواهي التي لا مثل لها ولما وقف
الاسبار وصوله أمر صلاح الدين بمهم بطسة كبيرة علوها [illegible] من الرجال والعدد والاقوات
فتهرب وصبر من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها مائة وثلاثة كثشار صادفه فقاتلها وصبر
من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدمهم الى أسفلها وهو يعقوب الحلبي
مقدم الجندارية يعرف بغلام ابن شقتين فخرقها وأغرقها لئلا تظفر الفرنج بمن فيها وما معهم
من الذخائر وفرق جميع ما فيها وكثر بعكا غاشيتها الى رجال البلد [illegible] معهم ثم ان
الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها على المسلمين وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش
فلما رأى الفرنج احداث جميعه لا يعمهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه
الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا
يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فعند عظمت
المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر على قمع

●(ذكر ملك الفرنج عكا)●

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان أول
وهن دخل على من بالبلد أن الامير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب كان
فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم
البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد
علي بن أحمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا وأهمتهم أنفسهم ثم ان أميرين
ممن كان بعكا لما رأوا ما فعله المشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملا
وركبوا في شيء صغير وخرجوا سرا من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عز الدين ارسل
الاسدي وابن عز الدين جاولي وسنقر الوشاقي ومعهم غيرهم فلما أصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا
وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وأيقنوا بالعطب ثم ان الفرنج أرسلوا الى صلاح الدين في
معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك والشرط بينهم أن يطلق من أسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا
هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فأرسل الى من بعكا من المسلمين
يأمرهم أن يخرجوا من عكا يدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة
التي يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم
باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من أشغالهم حتى أسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلما
عجز الناس عن حفظ البلد زحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره
يحركون أعلامهم ليراها المسلمون وكانت هي العلامة اذا أحزنهم أمر فلما رأى المسلمون ذلك
ضجوا بالبكاء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طمعا منهم ان الفرنج يشتغلون عن
الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في أوائلهم وكان الفرنج قد حوطوا من جانبهم ومالوا
الى جهة البلد فضرب المسلمون من جانبهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويمعنون السيف فيهم
موقع الصوت فعاد الفرنج وصبر المسلمون وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى

والصانع ● فهما من
جانب القراءة طلبة هذه
الملحى بالثارة فهلم على
وسمه ولا تعد [illegible]
تسرب وتعرب ● وتصعد
وتصوب ● وكان أبدع من
أتاك السمر على سمر
المعالي فأوس على ما تبدأ
به الحسار أبو القاسم
المعيدي وكان صاحب
[illegible] فأصدر الى رأس
المذاكرة على تقارير كل
مستمله ● وكل [illegible]
[illegible] ●
فأمهله ملك المعالي ريثما
[illegible] الله دون [illegible]
الآخر [illegible]
[illegible]
أعلمه [illegible] الاقتباس ●
وآنسه من الطمع في المدرس ●
وانه [illegible] امور [illegible]
معلومة ● وغاية
محدود ● فليس لطلبها
مستقدم لما تأخر ● ولا
بعدها مستأخر لما تعجل ●
فقال أبو القاسم حتى
[illegible] ● [illegible]
[illegible]
على [illegible]
ورد [illegible]

المطلوب ان صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وأنفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتى ألف دينار وخمسمائة أسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال وكان هو لا مال له انما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد أولا بأول فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار جمع الامراء واستشارهم فأشاروا بان لا يرسل شيأ حتى يعاود يستحلفهم على اطلاق أصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم اهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداوية لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيأ وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقى وتطلقون أصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة ألف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد حتى يجىء باقى المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الامراء وأرباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف فى المال الذى كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى دمشق

(ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها)

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان الامراء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وأرسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة وأرسل الافضل الى والده يستمده ويعرفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانهم ما ركبوا اهبة الحرب وانما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكلتار الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب منهم وأحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم وأسر ذلك اليوم وعوض

الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان * عين الدولة وأمين الملة * على نغل دواخله * وارتهانه باللف فعله وقابله * مع ماتقدم فى ذات البين من عقود * وتأكد من عهود * واشترك فيه من طارف ومتلود * يحل عنه عقال آثامه * ويكف عنه ما حق عليه من بأس الله وانتقامه * كلا ان سوء الفعل خذول * والقاتل لا محالة مقتول * وشر الحين ما أومض بالخلاص قبل ابانه * واستبقاء مدة الفضح على جدرانه * انما يوهم الفكاك * ثم يعقب الهلاك * كالهرة تطمع الفارة فى الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة * لحقتها بعدوة * لا جرم ان السلطان لما أنهى اليه صورة حاله * ومن قبل ما سمع بسوء فعاله * أمر بردعه وراءه فى عقاله * ولقد أحسن ابن الرومى فى مقاله *

الخير مصنوع بصاحبه
فمتى فعلت الخير أعتبكا
والشر مفعول بفاعله
فمتى فعلت الشر أعطبكا

(ذكر داراء بن شمس المعالى قابوس بن وشمكير)

ما فعله من القتل ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه
فيقتلونه لان صلاح الدين كان قد اقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله بمن قتلوا ممن كان بعكا
فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها
وبات المسلمون قريبا منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون
الذين كانوا في اليزك فقتلوا منهم واسروا ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون
قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم
حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتل منهم كثير فلما راى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت
الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوي احد على احد وكان كثير من الخيالة
والسوقة قد القوا انفسهم وقت الحرب قريبا من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلما
انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجا المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج
انها هزيمة لتبعوهم وتمت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين شعراء كثير
الشجر فدخلوها وظنها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من
الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من
الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله فلما نزل الفرنج نزل المسلمون واعنة خيلهم
بايديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ولما كان من المسلمين
بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامراء
واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رايت ما كان منا بالامس
واذا جاء الفرنج الى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لا شك يقاتلونا لينزلوا عليها
وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو
قد قوي باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها وضعفنا نحن بما خرج عن ايدينا ولم تطل المدة
حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى
ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والا فما يدخلها منا احد
لئلا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما راى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت
تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان
والرعية ما لا يمكن حصره وعفى اثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها
اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لما اخذ الفرنج عكا قد احس من ملك
انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهي له وبيده وكان رجل الفرنج رايا وشجاعة
وكل هذه الحروب هو اثارها فلما خرب عسقلان ارسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغي
ان يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل
لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا
بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انني معك كانت
عسقلان اليوم بايدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها
ثالث شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وفي مدة مقامه لتخريب

عسقلان

قد كان دارا بن قابوس بعد
استمالة من جانب أبي علي
محمد بن محمد بن سيمجور الى
الامير نوح بن منصور الرضي
مقبلا على خدمته وسيما
في ... الى أن رجع الله
على أبيه جرجان وطبرستان
وأصار اليه ...
من ... وصادف
في ... والاقبال
ما ... الاثر
والتوفر ثم ... شمس
المعالي الى طبرستان فأقام
بها ...
ودعاه الى ... مواليه
واستمر ... على ...
ألف ... فأتاه وهو
... أدعه
واسوا ...
... استقالة وازالة
ثم دعا في وقت ارتياب
... على قصد ... ثم
... الشاذر
... خراسان ...
... الارض فيها ...
المال والمصطنع ...
المذاب والمشرب
واستغنى من ...
... من جملته وأهل
... الى أن عرف شمس
المعالي ... واستركب

عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل أبي بكر بن أيوب بجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره ومافيه من سلاح وذخائر وقرر قواعده وأسبابه ومايحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفي هذه الايام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض أصحابه بنفسه فتخلص الملك وأسر ذلك الرجل وفيها ايضا كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمون

(ذكر رحيل الفرنج الى نطرون)

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب اخي صلاح الدين فاستقرت القاعدة أن انكلتار يزوج أخته من العادل ويكون القدس ومابايدي المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكا ومابيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها وأن يرضى الداوية بما يقع الاتفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى أخت انكلتار وأنكروا واعلموها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله أعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعان بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل أن يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ولم يتم بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج أظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقي عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات في كلها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذي القعدة على عزم قصد البيت المقدس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين بالاقتتال فلقوا من ذلك شدة شديدة وأقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

(ذكر مسير صلاح الدين الى القدس)

لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها في ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم في العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدس فيمن بقي معه فنزلوا جميعا داخل البلد فاستراحوا مما كانوا فيه ونزل هو بدار الاقصى بجاور بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدمهم الامير أبو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذي الحجة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون في وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهوري الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس أمر بعمارة سوره وتجديد مادرث منه فاحكم الموضع الذى ملك البلد منه واتقنه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل وسلم كل برج الى أمير يتولى عمارته فعمل

لاقتناصه عسكره * ماقد طار به الركض * وحالت دون منااله الارض * ولما شافهه حد ترامات رفرفت الأمنة عليه بجناحها الى أن ورد حضرة السلطان عين الدولة * وأمين الملة * فقبله أحسن قبول * واقامه حسن مقول ومفعول * وما زال يرفع به تمويلا وتخويلا * وتفخيما وتجميلا * حتى اعتراه فضل الانبساط وعز الانتساب بما قدر بته * وهدم رتبته * فاستوحش من عارض الاعراض * واشفق من رهق التغير والانقباض * فلاذ بفاسل الليل هاربا * وبات يطوى الارض تقريبا وخببا وأمر السلطان بطلبه * واتباعه في وجه مهربه * فالحق به بحيث قامت الخيول تعبا * ولم تجد السيوف عليه مضربا * فقره ملتجئا الى الشار المعروف بالشاه لما حال بينهما في الصفاء معمورة * وأصول ودبالوفاء مأبورة * فلما استقر به المكان * وخبر حاله السلطان * كتب اليه فاسترده * وخوفه أن يأتي عليه ماعهده * فاضطر الى رده واسلامه عن يده * وبقي في

وفيه الاصل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وأرسل أتابك عز الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الحصاصين لهم في قطع الصخر اليد الطولى فعملوا هنالك برهة مدة وكذلك جميع الامراء ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وهو ينقل الحجارة بنفسه على دابته من الاماكن البعيدة فيقتدي به العسكر فكان يجمع عنده من العمالين في اليوم الواحد ما يعملون في عدة أيام

﴿ذكر عود الفرنج الى الرملة﴾

في العشرين من ذي الحجة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما أبعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثم ان ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا لي مدينة القدس فاني ما رأيتها فصوروها له فرأى الوادي يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادي وعن عمقه فأخبر انه عميق وعر المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها مهما كان صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا بجانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين أصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يمكن الطائفة الاخرى انجاد أصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا به من يحفظه وساروا ولحقوا أصحابهم فالى أن يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من اتصال ما يصلح لنا من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم وما يجري على جالبيها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين

﴿ذكر قتل قزل ارسلان﴾

في شعبان من هذه السنة قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد كان ملك البلاد بعد وفاة أخيه البهلوان ملك أران وأذربيجان وهمذان وأصفهان والري وما بينهما وأطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وفي آخر أمره سار الى اصفهان والفتن بها متصلة من لدن توفي البهلوان الى ذلك الوقت فتعصب على الشافعية وأخذ جماعة من أعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم انه دخل ليلة قتل الحجرة لينام وتفرق أصحابه فدخل اليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله فأخذ أصحابه صاحب بابه ظنا منهم به وكان كريما حسن الاخلاق يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وأناة عقوبته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم معز الدين قيصرشاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين وكان سبب قدومه ان والده عز الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده وأعطى ولده هذا ملطية وأعطى ولده قطب الدين ملكشاه سيواس وأقصرا فاستولى قطب الدين على أبيه وحجر عليه وأراد أن يأخذ ملطية من أخيه وطمع فيها فخاف معز الدين فسار الى

الملبس منه ككلمد وما وصله الى أن وجد فرصة الاتصال من رفيع المثال فصار فمعه من حسام يطمع فيه أحد ولم يكن ليعي منه لولا المقدور رأي ولجلده وأمله فتأخر العمه أن يتم خلاصه ويستتم مناصه فأشرت عليه بي أصدق وثقه ووثقت ارهاته الى أن شرح الله صدر السلطان لاطلاقه بالمنا آثليه وأتت بربسه فاستوحشته وأعانه الاحسان سالمه وبده على أيدي الاعراب عالية ووجهه لولا خرسان وطبرستان معصودا بأبي الحرب ارسلان الحادي وذوي التصديق كما الرجال وكفاة الابطال لولا ان الامير تلك المعالي من حرس علم الرأي باظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما طالب حرمة التقرب دون الاسار عليه وليرده السلطان الى حضرته فجرى بحضرة أركان دولته وأحدث عبرة لا عارفة في حله ولا رأيه في حال ولا

صلاح الدين ملتجئا اليه معتضدا به فاكرمه صلاح الدين وزوجه بابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معز الدين الى ملطية فى ذى القعدة وحدثنى من اثق به قال رأيت صلاح الدين وقد ركب ليودع هذا معز الدين فترجل له معز الدين وترجل صلاح الدين وودعه راجلا فلما أراد الركوب عضده هذا معز الدين وركب وسوى ثيابه علاء الدين خرمشاه ابن عز الدين صاحب الموصل قال فعجبت من ذلك وقلت ما تبالى يا ابن أيوب أى موتة تموت يركبك ملك سلجوقى وابن أتابك زنكى وفيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن أخت صلاح الدين وعلم الدين سليمان بن جندر وهو من أكابر امراء صلاح الدين أيضا وفى رجب توفى الصفى بن القابض وكان متولى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)

(ذكر عمارة الفرنج عسقلان)

فى هذه السنة فى المحرم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطائفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج فتارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع الميرة عنهم ومن جملتها سرية كان مقدمها فارس الدين ميمون القصرى وهو من مقدمى المماليك الصلاحية خرج على قافلة كبيرة للفرنج فأخذها وغنم ما فيها

(ذكر قتل المركيس وملك الكندهرى)

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركيس الفرنجى لعنه الله صاحب صور وهو أكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية وهو سنان ان أرسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم وشره فى أخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زى الرهبان واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المركيس بصور فاقاما معهما ستة أشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلما كان بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها وأكل طعامه وشرب مدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيان المذكوران فجرحاه جراحا وثيقة وهرب أحدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتفق ان المركيس حمل اليها ليشد جراحه فوثب عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار ليتفرد بملك الساحل الشامى فلما قتل ولى بعده مدينة صور كند من الفرنج من داخل البحر يقال له الكندهرى وتزوج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى حامل وليس الحمل عندهم مما يمنع النكاح وهذا الكندهرى هو ابن أخت ملك افرنسيس من أبيه وابن أخت ملك انكلتار من أمه وملك هذا كندهرى بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فسقط من سطح فمات وكان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ولما رحل ملك انكلتار الى بلاده أرسل هذا كندهرى الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله

يقعد عنه فى وقت ركوب * ولا يتفردون بكون وكوب * الى أن ورد الامير ابو الفوارس ابن بهاء الدولة حضرة السلطان منزعجه عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته * وارتجاع نعمته ونعمته * فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤس * وطابت النفوس * وجرى حديث الخلف والسلف * واعراق من أعرق منهم فى الشرف * فنطق دارا بما لو سكت عنه لكان أشبه بحق المدمة وحكم الحشمه ووقت الاجتماع على ارضاع العشره * وجعله رمز الانكار عليه على قصد المراتة * وركوب الحماقه * حتى تأدى به الامر الى ازعاجه عن مكانه * واشجائه غصة المدل على سلطانه * وأمر به فى غدوة فى العقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فأجريت مجرى الحوزيات تستغل اسوة سائرها الى أن سأل الشيخ الوزير فى بابه فأمر بردها عليه معونة له على مصلحة حاله * ومؤنة اعتقاله * وذلك

فطلبت منه حلمه وقال أنت تقول إذ ليس إليه والسرور من بعد ما عيب وأنا السهم صك مجمه
للشاقة المحلة مبنية منها القنا فالسرور من حلف وما بعكا

•(ذكر نهب بني عامر البصرة)•

في هذه السنة في صفر اجتمع بنو عامر في خلق كثير أميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير
بها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا
اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند وقصد العرب بحرب
المدينة من باب المربد ودام القتال الى آخر النهار فلما جاء الليل ثم العرب السور وعدة
(ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم أهل البلد فقتل يوم قتل كثير من الفريقين ونهب العرب
الخانات بالسامي ومن عمال البصرة ومن أهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد
ونهبهم وعاد أهل البصرة وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد انهم بلغهم ان خفاجة والمنتفق
قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم أشد قتال فظهرت عامر وغنمت أموال خفاجة والمنتفق
وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من أهل البصرة والسواد جمعا كثيرا فلما
عادت عامر قاتلهم أهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقدروا على العرب واتفق ان العرب دخلوا
البصرة ونهبوها وفارق البصرة أهلها ونهبت أموالهم وجرت أمور عظيمة ونهبت
السواحل وغيرها يومين وفارق العرب وعاد أهلها اليها وقدر أن يحمله العصبة بعينها في سنة
ثلاث وسبعين وخمسمائة والله أعلم

•(ذكر ما كان بمدينة القدس)•

في تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى
البيت المقدس وصلاح الدين فيه فاجتمع من به وكان سبب طمعهم ان صلاح الدين فرق
عساكره الشرقية وغيرها لاجل الشتاء وليستريحوا وليحضروا البلدة وصيتهم وسار بعضهم مع
ولده الافضل وأخيه العادل الى البلاد الجزرية لما نذكره ان شاء الله تعالى وبقي من حلقته
الناس بعض العساكر المصرية فقطعوا اليهم ما لو ان عرضا الشجع صلاح الدين فرحم منه في
ارباح البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية سطح الشهور وهي من حصن من
القدس فضعف المسلمون عليهم البلاء وما منعوا ارسال السرايا تقرب الفرنج منهم فما اقبل لهم به
وعلموا انهم اذا قاربوا القدس ــــــ ان السرايا اليهم أسرع ولتسلطها عليهم أمكن فرجعوا
الى مرج بيت نوبة وركب المسلمون اكنافهم بالرماح والسهام ولما سار الفرنج من يافا عن صلاح
الدين سريّة من عسكره اليها فصاروا بها وكبسوا عسكرها ثم قاربهم جماعة من فرسان الفرنج
مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم وأسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى

•(ذكر استيلاء الفرنج على عسكر للمسلمين وقتل)•

في تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعه جمع كثير ومقدم
العسكر فلك الدين سليمان أخو العادل لامه ومعه عدة من الامراء فسرى الفرنج اليهم
فواقعوهم بنواحي الخليل فانهزم المسلمون ولم يقتل منهم أحد من المشهورين انما قتل من الغلمان
والاصحاب وغنم الفرنج جمالهم وأثقالهم واما العسكر فانه انهزم وصعد من جاء من ساحل الخليل

في المحرم سنة تسع وأربعمائة
•(ذكر عهد الدولة وكهف
الملة أبي طالب رستم بن فخر
الدولة) قد كان فخر الدولة
كتب الى حسام الدولة أبي
العباس تاش وهو عن بابه
مصدره الى بلاد خراسان
على لسان الصاحب بسرد
ولادته واسترعاه أمل
الصنع له على كريم عادته
وكان مما كتب به وقد رزقني
الله تعالى ولدا كنيته أبا
طالب طلبا للسلامة في
مدته وسميته رستم لأنه من
أسماء جده وأرومته فلما
انحرف الحال مما بين الناس
عهد الدولة الأيام الى عامة
من كان أحيا الأصبهبد
مرزبان وسائر ملوك الجبل
وهي في فسحة من آجالها
ومرتمى عن أرسانها
فملك على السلم
واستأثر بالأمر والنهي
والحل والعقد وجرت بينه
وبينهم كائنات بأدت بها
الى اشتمام ناس بمدينته
حسوه الله ووامقا لك
الى عليه وجرت بينهم
مساورات أصبح بالديلم
أولا وبأهل الري ثانيا الى

فلم يتقدم الفرنج على أثباعهم ولواته وهم أصحاب فرنج لا نوا عليهم وتمزق من نجا من القتل وتقطعوا واشتد الى أن اجتمعوا وحكى لى بعض أصحابنا وكان قد سير امعه شيأ التجارة الى مصر وكان قد خرج فى هذا القفل قال لما وقع الفرنج علينا كنا قد رمنا أحمالنا للسير فحملوا علينا وأوقعوا بنا فضربت جمالى وصعدت الجبل وهى عدة أجمال أخرى فلحقها قوم من الفرنج فأخذوا الاجمال التى فى صحبتى وكنت بين أيديهم عقدار رمية سهم فلم يصلوا الى فنجوت بما معى وسرت لا أدرى أين أقصد واذ قد لاح لى بناء كبير على جبل فسألت عنه فقيل لى هذا الكرك فوصلت اليه ثم عدت منه الى القدس سالما وسار هذا الرجل من القدس سالما فلما بلغ براعة عند حلب أخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنه السلامة

(ذكر سير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة)

قد تقدم ذكر موت تقى الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة فلما استولى عليها أرسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين ان يسلم تلك البلاد الى صبى فما أجابه الى ذلك فحدثته نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل على بن صلاح الدين من أبيه أن يقطعه ما كان لتقى الدين وينزل عن دمشق فأجابه الى ذلك وأمره بالمسير اليها فسار الى حلب فى جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى أصحاب البلاد الشرقية مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يأمرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلما رأى ولد تقى الدين ذلك علم انه لا قوة له بهم فراسل الملك العادل عم أبيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين وأصلح حاله وقرر قاعدته بان يقرر له ما كان لابيه بالشام وتؤخذ منه البلاد الجزرية واستقرت القاعدة على ذلك وأقطع صلاح الدين البلاد الجزرية وهى حران والرها وسميساط وميافارقين وحانى العادل وسيره الى ابن تقى الدين ليتسلم منه البلاد ويسيره الى صلاح الدين ويعيد الملك الافضل أين أدركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فأعاده الى أبيه وعبر العادل الفرات وتسلم البلاد من ابن تقى الدين وجعل نوابه فيها واستصحب ابن تقى الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده فى جمادى الآخرة من هذه السنة

(ذكر عود الفرنج الى عكا)

لما عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقى الدين فيمن معهما من عساكرهما ولحقتهم العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق أيقن الفرنج انهم لا طاقة لهم بهم اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكا يظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فأمر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير اليها فى عسكره والعساكر الشرقية جميعها معارضا للفرنج فى مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فأقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلما بلغهم ذلك أقاموا بعكا ولم يفارقوها

(ذكر ملك صلاح الدين يافا)

بؤس وفاقه ودماء مهراقه * ووقت ليس فيها قدر فواق من افاقه * وعن قريب يعود الخلاف جذعا * وحبل الصلاح منقطعا * فينتج عنه ابادة الرجال * واستباحة الاموال * وشرود الصلحاء فى البلاد * وضراوة السفهاء بالافساد * ولما غرض مجد الدولة بالامر وبما ينقدح على الدوام من شرر الشر * آثر البر فى الاعتزال عن مهمة الامارة وحمله الاعتراف لها بالطاعة على ترك العقوق المفضى بمن تحت ولايته ورعايته الى خطة الاحتمال * المشفى بهم على خطة الاجتياح والاستئصال * فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر * ومبيضا وجه الفضل بسواد المحابر وانفرد أخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما والاها الى حدود بغداد وورث بدر ابن حسنويه أموالا عظيمة طالما حفظتها صدور القلاع مكتومه * وخنقتها خيوط الاكياس مختومه * فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال *

الى ارض الفرنج ومما كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها منهم وملكها المسلمون عنوة بالسيف ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذي كان معهم وقد ذكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحية قد وقفوا على ابواب المدينة وكل من خرج من الجند ومعه شيء من الغنيمة اخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرا ثم زحف العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها آخر النهار وكادوا يأخذونها فطلب من بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البطرك الكبير الذي لهم ومعه عدة من اكابر الفرنج في ذلك ويترددون وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلموا القلعة فلما اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذا قد وصلهم نجدة من عكا وادركهم ملك انكلتار فاخرج من بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكا وبرزوا الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد ووقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل فاكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم والجد في قتالهم فتقدم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علي بن احمد الهكاري فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا امس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليما كريم العفو عند المقدرة ونزل في خيامه واقام حتى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فسار بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها

(ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق)

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر اولها هذا التاريخ وافق اول ايلول وسبب الصلح ان ملك انكلتار لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين في الصلح واظهر من ذلك ضد ما كان يظهره اولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه فعل ذلك خديعة ومكرا وارسل يطلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجي رسله ويعتذر ونزل عما كان طلب من عسقلان وعن عمارة لد والرملة وارسل الى الملك العادل في تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعة الامراء على صلاح الدين بالصلح وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجي انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجيء الشتاء وينقطع الركوب في البحر نحتاج نبقى ههنا سنة اخرى وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له في هذا المعنى فاجاب حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان في جملة من حضر عند صلاح الدين بليان بن بارزان الذي كان صاحب الرملة ونابلس فلما حلف صلاح الدين قال له اعلم انه ما عمل احد في الاسلام ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فانا احصينا من خرج اليها في البحر من المقاتلة

فكانوا

واستمد ثم اسرق الا مالو* سيفه في التصبر بالتفصل* والتصرف في البذل* ولقد كان ابن مولاه الخبر في دولة آل بويه أمره* وارتفع قدره* واشتهر قصده وذكره* والتفت عليه مساند الديلم ومساعد الاكراد والعرب فسأل عضد الدولة والكاتبة بالتسدد ان يفرد له من ذرو بقطعه له ولى عهد ليتفرد بولاهما وبرعاهما ويكمل اركان دولتهما* وعلم راس ظاهر وسرورهما* بدد عنهما السمعة وسماته من دهاهما خطب أو دهى على دارهما خطب وخطب* فساعلته بالمسوقه المملكو مكر درة المحل وادليا اليه ظاهر الغدر قصدا اطرافه الرى من جهة العصيان صدورهم* ويقطع دون أهلها سبيل من غيره* وما عليهم لما يلي ناحيته من قرى وضياع* وربع وارتفاع* الى ان استعانا بالاصبهبذ المقيم بجرجان فاناخا في جراحة حلمه من الحلة* اولى الناس بالحمية* ما يسومها القراع*

فكانوا ستمائة ألف رجل ماعاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتهم أهت و بعضهم مات و بعضهم غرق ولما انفصل أمر الهدنة أذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرقوا وعادت كل طائفة الى بلادها وأقام بالساحل الشامى ماسكا على الفرنج والبلاد التى بأيديهم الكندهرى وكان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم وتزوج بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل أن يملكها صلاح الدين كما ذكرناه وأما صلاح الدين فانه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدس وأمر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلين و وقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس أميرا اسمه جرديك وهو من المماليك النورية ولما سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلامية كنابلس وطبرية وصفد وتبنين و بيروت وتعهد هذه البلاد وأمر باحكامها فلما كان فى بيروت أتاه بيمند صاحب انطاكية وأعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده فلما عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها فى الخامس والعشرين من شوال وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا وفرح الناس به فرحا عظيما لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام

(ذكر وفاة قلج ارسلان)

فى هذه السنة منتصف شعبان توفى الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقى بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية وأعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلما كبر فرق بلاده على أولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب فى مدينة ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم أخذ والده وسار به الى قيسارية ليأخذها من أخيه الذى سلمها اليه أبوه فحصرها مدة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحول من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلو فلما رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو ومعه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض أبوه فعاد به الى قونية فتوفى بها ودفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكا لها حتى أخذها منه أخوه ركن الدين سليمان على مانذكره ان شاء الله تعالى وقد حدثنى بعض من أثق اليه من أهل العلم بما يحكيه وكان قد وصل تلك البلاد بغير هذا ونحن نذكره قال ان قلج ارسلان قسم بلاده بين أولاده فى حياته فسلم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلم قونية الى ولده كيخسرو غياث الدين وسلم انقرة وهى التى تسمى انكورية الى ولده محيى الدين وسلم ملطية الى ولده معز الدين قيصرشاه وسلم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلم نكسار الى ولد آخر وسلم اماسيا الى ولد أخيه هذه أمهات البلاد و ينضاف الى كل بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثم انه ندم على

وصدقوه المصاع * وجرت بينهما فى دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين وأصاب ابن فولاذ فى ساقه نشابة أثخنته فولى فيمن تبعه الى سمت الدامغان حتى ألم بها فرم الرث * وعالج المرتث * وكتب الى ذلك المعالى منوچهر يستقدمه على عسكر الرى على أن يقيم له الخطبة و يظهر الطاعة و يلتزم الاتاوة فأمده بألفى رجل يوزن آحادهم بآلاف * وأفرادهم باضعاف * يرون الشرف فرضا لمن مات تحت المشرفيات * والتثريب حقا على من حاد عن اليثربيات * ووصل جناحهم بمال قضى به حق انقطاعه اليه * واعتماده عن ظهر الثقة عليه * ونهض نحو الرى حتى أناخ بظاهرها فأعاد الاغارة * ومنع المائرة والمارة * وغادر الديلم فى ضنكة البلاء * وضيقة اللأواء * حتى اضطر مجد الدولة ومن وليت التدبير الى ايثاره بأصبهان فعقدله عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه * واستعاذة من شره * فطارت عند ذلك نعرة

ذلك وأراد أن يجمع الجميع لولده الأكبر قطب الدين ملكشاه اسم صلاح الدين يوسف صاحب
مصر والشام لمصاهرة بينهما فامتنع باقي أولاده واستمروا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه
عنهم فصار يتردد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كل واحد منهم مدة وينتقل إلى الآخر ثم إنه
مضى إلى ولده كيخسرو صاحب قونية على عادته فخرج إليه والتقاه وقبل الأرض بين يديه وسلم
قونية إليه وتصرف عن أمره فقال لكيخسرو أريد أن تسير إلى الملعون محمود وهو صاحب
قيسارية وتمضي أنت معي لأخذها منه فتجهز وسار معه وحصر محمودا بقيسارية فمرض قلج
ارسلان وتوفي عليها فعاد كيخسرو وبقي كل واحد من الأولاد على البلد التي بيده وكان قطب
الدين صاحب أقصرا وسيواس إذا أراد أن يسير من إحدى البلدتين إلى الأخرى جعل طريقه
على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود وليست على طريقه إنما كان يسلكها ليظهر المودة
لأخيه والمحبة ويقصد الغدر فكان أخوه محمود يقصده ويجتمع به فى بعض المرات نزل
بظاهر البلد على عادته وحضر أخوه محمود عنده فوثب عليه فقتله قطب الدين وألقى رأسه إلى
أصحابه وأراد أخذ البلد فامتنع من فيه من أصحاب أخيه عليه ثم إنهم سلموا البلد على قاعدة استقرت
بينهم وكان عند محمود أمير كبير وكان يعذره من أخيه قطب الدين ويحذره فلم يسمع البيت وكان
حسن الرأي كثير الخير والتقدم فى الدولة عند نور الدين فلما قتل قطب الدين أخاه قتل حسامه والقاه
على الطريق فجاء كلب ما كل من لحمه فثار الناس وقالوا الاعصار ولا طاعة هذا بحل مسلم ولم يحملها
مدرسة بنى به وحده فاندار ثقوا أفعال حسنة لا تترك كما كلب البكلاب حامر فدفن فى
مدرسته وبقى أولاد قلج ارسلان على حالهم ثم ان قطب الدين مرض وملك غياث الدين أخوه ركن
الدين سليمان صاحب دوقاط السيواس وهي تجاورها فملكهما وسار منها إلى قيسارية فأقصرا
ثم بقى مدة وسار إلى قونية ثم أخوه غياث الدين كيخسرو بها وملكها فسار غياث الدين
إلى الشام ثم إلى بلد الروم وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى ثم سار ركن
الدين إلى نكسار وأماسيا فملكها وسار إلى ملطية سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وسار أخوها
أخو معز الدين إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان معز الدين تزوج ابنة العادل فأقام
عنده واجتمع لركن الدين ملك جميع الإخوة وساعده القدر فإنه قصد أنقرة وهي للحل على
عسكر فحصرها ثلاث سنين فتسلمها واحدى وعشرين وصنع على أصحابها الذي
كان بها من قتله إذا فارقها فلما أيسوا منها قتل وتوفي ركن الدين فى هذا الأيام ولم يسمع حتى قتل
أخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه وأعانه وورد علمه فيها الذي بها التسع بعضها بعضا ولا نعلم
أعلم وأرخ كل حادثة منها في سنتها

• (ذكر ملك شهاب الدين أجمير وغيرها من الهند) •

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين مسير شهاب الدين الغوري إلى بلاد الهند وانهزامه وبقي إلى الآن
وفي نفسه الحقد العظيم على الهندي الذي هزمه ثم رموا وما أزرهم من الهوان فلما كانت هذه
السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكر وسار يطلب عدوه الهندي الذي هزمه تلك السنة فلما
وصل إلى برشاور تقدم إليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له قد قربنا من العدو وما نعلم
أين نمضي ولا من نقصد ولا ترد على الأمراء سلاما وهذا لا يجوز فقال له السلطان اعلم

لما لاقى من ابنه وتحلب
وبره القلعة من صدره •
وأقبل بروض عسكره على
رشاد وسداده ونعل أدبهم
دون امتداد إلى فساد •
وصرف عسكر الاعم
منوجهر وراقعهم مذكر
صلاح حاله واستماله
عن رشاده • وبعثها إلى
أصحاب خاصا لحد الدولة
على سائرها ودلك سنه
سبع وأربعمائة وكان
نصر بن الحسن بن فيروزان
قد انقطع إلى السلطان يمين
الدولة وأمين الملة فأقام على
خدمته إلى أن حمل صاحبه
بيار وجرجان ثم بعض
البهار وأقام بها ليستعملها
ويوفر عليه دخلها إلى
أيدها محمد الدولة من
الري ومسير السيد اليها
استلاما من عسكر شمس
المعالي قابوس وشكايته •
وعود ربطا وهو إليه •
فلما وصل إليها عرف له حق
قرابته ووفر عليه القضاء
حكم طاعته واختصاصه •
فنبه هذا السيد من حوعا
إليه في الرأي والتدبير •
ووجه ماله في التقدم
والتأخير إلى أن عزمه
على تمالا •

أني منذ هزمني هذا الكافر ما نمت مع زوجتي ولا غيرت ثياب البياض عني وأنا سائر الى عدوي ومعتمد على الله تعالى لا على الغورية ولا على غيرهم فان نصرني الله سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبوني فيمن انهزم ولو هلكت تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بني عمك من الغورية ما يفعلون فينبغي أن تكلمهم وترد سلامهم ففعل ذلك وبقي امراء الغورية يتضرعون ويقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى أن وصل الى موضع المصاف الاول وجازه مسيرة أربعة أيام وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو فلما سمع الهندي تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلما بقي بين الطائفتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه والكافر في أعقابه أربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له أعطي يدك انك تصافني في باب غزنة حتى اجيء وراءك والافنحن متقاولون ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هاربا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب انني لا أقدر على حربك وتم على حاله عائدا الى أن بقي بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة أيام والكافر في اثره يتبعه حتى لحقه قريبا من مرنده فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفا وقال أريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون أنتم من تلك الناحية وأنا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انهم لا يبرحون من مضاجعهم الى أن تطلع الشمس فلما اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال من يقدم على أنا هذا والقتل قد كثر في الهنود والنصر قد ظهر للمسلمين فلما رأى ملك الهند ذلك أحضر فرسا له سابقا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انك حلفت لنا انك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر في اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرا وحينئذ عظم القتل والاسر في الهنود ولم ينج منهم الا القليل واحضر الهندي بين يدي شهاب الدين فلم يخدمه فأخذ بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتى اصاب جبينه واقعده بين يدي شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استأسرتني ما كنت تفعل بي فقال الكافر قد استعملت لك قيدا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالا كثيرة وامتعة عظيمة وفي جملة ذلك أربعة عشر فيلا من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنت طالب بلاد فما بقي فيها من يحفظها وان كنت طالب مال فعندي أموال تحمل أجمالك كلها فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذي له يعول عليه وهو اجمير فأخذه واخذ جميع البلاد التي تقاربه واقطع جميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض على امير الحاج طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلا في الحاج رفيقا بهم محبا لهم له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اخرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج بن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج الى الري على ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة وفيها في رجب توفي

لبعض المخالفين فقبض عليه وحبسه في قلعة أستوناوند وما زال بها محصورا * وفي مخلب الامتحان مأسورا * حتى عفي عما جناه * ورد ثانيا الى ما تولاه * ووافق ما به خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسه * وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسه * وتبسط الديلم فيما شاؤا من غصب * وقطع ونهب وكبس ونقب * لا يرتدع منهم الا من أشعره الله المخافه * وأودع صدره الرحمة والرأفه * فانبرى نصر بن الحسن لقمع أولئك الضلال فاجتاح منهم فريقا * وأوسع آخرين تفريقا وتمزيقا * فلما رأى القوم ما دهاهم في أضرابهم من حصده واستئصاله * تجمعوا على قصده وقتاله * وأحاطوا بداره فدافعهم بحاصرته مليا ثم انثنى عنهم منهزما * وغادر ملكه في الدار منهوبا ومقتسما * وما زال يضطرب في محنته * الى آخر مدته

(ذكر بهاء الدولة وما أفضى اليه أمره)

قد كان بهاء الدولة بعد أن

الامير السيد علي بن المرتضى العلوي الحسيني مدرس جامع السلطان ببغداد وفي شعبان منها
توفي ابو علي الحسن بن هبة الله بن البوقي الفقيه الشافعي الواسطي وصنف كتابا في المذهب
انتفع به الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته)

في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي صاحب مصر والشام والجزيرة
وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة أربع وستين
وخمسمائة وكان سبب مرضه انه خرج يلتقي الحاج فعاد ومرض من يومه مرضا حادا بقي به
ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليا وأخاه الملك العادل أبا
بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فأي جهة
نقصدها فأشار عليه أخوه العادل بقصد خلاط لانه كان قد وعده اذا أخذها ان يسلمها اليه وأشار
ولده الافضل بقصد بلاد الروم التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي أكثر بلادا وعسكرا ومالا
وأسرع مأخذا وهي ايضا طريق الفرنج اذا خرجوا الى البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور
فيها فقال كلاكما مقصر ناقص الهمة بل اقصد أنا بلاد الروم وقال لاخيه تأخذ أنت بعض
اولادي وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت أنا من بلاد الروم جئت اليكم وندخل منها
أذربيجان ونتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنع عنها ثم اذن لاخيه العادل في المضي الى الكرك
وكان له وقال له تتجهز وتحضر لتسير فلما سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفي قبل عوده
وكان رحمه الله كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا على ما يكره كثير التغافل عن
ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وبلغني أنه كان يوما جالسا
وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز فأخطأته ووصلت الى صلاح الدين فأخطأته
ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها وطلب مرة الماء فلم
يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا والله قد قتلني العطش
فأحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا أرجف
عليه بالموت فلما برئ منه وأدخل الحمام كان الماء حارا فطلب ماء باردا فأحضره الذي يخدمه
فسقط من الماء شيء على الارض فناله منه شيء فتألم له لضعفه ثم طلب الماء البارد أيضا فأحضر فلما
قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان
كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه وأما كرمه فانه كان كثير البذل لا يمسك شيئا
يخرجه ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري وأربعين
درهما ناصرية وبلغني انه أخرج في مدة مقامه على عكا قبالة الفرنج ثمانية عشر ألف دابة من
فرس وبغل سوى الجمال وأما العين والثياب والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ولما انقرضت
الدولة العلوية بمصر أخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه وأما
تواضعه فانه كان ظاهر التواضع على أحد من أصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك وكان
يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فاذا قام أحدهم لرقص أو سماع يقوم له فلا

ثم اقدم على السلطان حسان
راعيا لموالاته حافظا
لمصافاته ومؤثرا للمكاتبه
ومثابرا على مقاربته فحكم
آثار الوقائع بين المتوالين
والصفو الخالص بين
المملكتين ورأى ذلك
بن السلطان رحمه في مدة
من مدة ملكه لسيرته سنه
وسماته ولملازمتها ما بين
الكتابين الملك والملام
في مدة الملك [illegible] بينهما
السفرا في الحال [illegible]
[illegible] واصا [illegible] قوي
المودة حتى حلت
القلوب وطيب القلوب
ويا كدت العهود
وبأحسن المودة وعندها
أحب السلطان أن يصل
المصافاة بمصاهرة والموالاة
بمصاهرة فأنهض القاضي
أبا عمر السطائي [illegible]
[illegible] الى فارس
وهو البيه صلاة والوجيه
علاه والامام [illegible]
والسلام [illegible] وأما
وشياه وصادف من اجلال
ملك الدولة وإكرامه واظهار
التلطف عليه في مرامه
ما اقتضى [illegible] أمره
وساعده الصدر في كل

يقعد

يقعد حتى يفرغ الفقير ولم ير أحد شيئاً ما ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادراً في عصره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً

(ذكر حال أهله وأولاده بعده)

لما مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين علي وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة في حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها وكان ولده الظاهر غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقي الدين عمه فأطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فأطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند أحد من أولاد أخيه فأرسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فأعاد مراسلته وخوفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن أتابك عز الدين صاحب الموصل فانه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرت جهزت العساكر وسرت الى بلادك حفظتها وان أقمت قصدك أخي الملك العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عز الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والا فقل له قد أمرني ان سرت اليه بدمشق عدت معك وان لم تفعل أسير الى الملك العزيز أحالفه على ما يختار فلما حضر الرسول عنده وعده بالمجيء فلما رأى ان ليس معه منه شيء غير الوعد أبلغه ما قيل له في معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهز الافضل معه عسكراً من عنده وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى أخيه الملك الظاهر بحلب يحثهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزرية ليمنعها من صاحب الموصل ويخوفهم ان هم لم يفعلوا ومما قال لاخيه الظاهر قد عرفت محبة أهل الشام لبيت أتابك فوالله لئن ملك عز الدين حران ليقومن أهل حلب عليك ولتخرجن منها وأنت لا تعقل وكذلك يفعل بي أهل دمشق فاتفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهزوا عساكرهم وسيروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحي الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير أتابك عز الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه)

لما بلغ أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع أهل الرأي من أصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيها واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو أخي مجد الدين أبو السعادات المبارك أنا أرى انك تخرج مسرعاً جريدة فيمن خف من أصحابك وحلقتك الخاص وتتقدم الى الباقين باللحاق بك وتعطي من هو محتاج الى شيء ما يتجهز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب أصحاب الاطراف مثل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن أخيك صاحب جزيرة ابن عمر وأخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرفهم انك قد سرت وتطلب منهم المساعدة

قدره وأقام عليه منقولا
من مجلس الايجاب الى
متوسد الاكرام ومن
راحة الاشبال الى عاتق
الاكبار غير أن بعد
طلوعه عليه واوفق منه
عله أحد ثم اسوء المزاج
بين الف الراحة والراح
فأعياه تجهز المراد على
العارض العائق وقد كان
نفر الملك مقيما ببغداد وهو
الوزير والنصير* ومن
اليه الرأي والتدبير* فختم
القاضي الى ماقبله لتفاوضا
فيما يوجب صرف الرأي
اليه* وتأريب العقد
عليه* فاتفق مع وصوله
استئثار قضاء الله تعالى
بهاء الدولة وانتقال روحه
الى جوار ربه وبايع الناس
ولده الامير أبا شجاع ولقبه
القادر بالله أمير المؤمنين
بسلطان الدولة واستتب له
طارق الامر واعتدل عليه
عمود الملك وجرى له الطائر
بالاقبال* وحسن الفال*
ولما عاد القاضي من بغداد
الى ماقبله لم يملك له من ذاته
جوابا يغنيه* ولا حوارا
يشفيه* اذ كان دونه

وبذل لهم اليمين على ما يقترحونه في رأيك فلم يزل يحاولك وإن أتابك أخوك صاحب سنجار
ونصيبين إلى الموافقة والاتفاق فيسير أحدهما ويركب من ماردين بعسكرها ثم يسير إلى
الخابور وهو له أيضاً فيقطعه ويركب عسكر مقابل أحد عنهم من الحركة إن أرادها وتعدى
الرقة فلا يمنع منها ويأتي حران والرها فليس فيهما من يمنعهما إلا صاحب ولا عسكر ولا ذخيرة
فإن العادل أخذهما من ابن تقي الدين ولم يقم فيهما ليصلح حالهما وكان القوم يتكلمون على
قومهم فلم يطمعوا هذا البلاد فإذا فرغوا من ذلك الطرف عبروا إلى من امتنع من طاعتك
قاتلته ولست ترى ما تخاف عليه فإن العادل عظم لا يأتي بكل من وراءك وقال مجاهد
الدين المصلحة أننا نكاتب أصحاب الأطراف ونأخذ رأيهم في الحركة ونستطلعهم فقال له أخوان
أستاذ وأمراء الحركة تصلح منهم قال لا إلا أنهم لا يشيرون الأمر كما هم لا يرون أن
يقوى هذا السلطان حواشيه وكأنهم يعطلونكم مهما كانت البلاد الجزرية فارغة من
صاحب وعسكر فإذا ملك العادل بعضها ظهر ذلك كم بالعداوة ولم يمكنه أكثر من هذا القول
من أمر مجاهد الدين حسب رأيه فيه إلى ما تكلمنا فيعملوا على أن يكاتبوا أصحاب الأطراف
فكاتبوهم فكل أشار بترك الحركة إلى أن ينظر ما يكون من أولاد صلاح الدين وعمهم فتلت
ثم إن مجاهد الدين كرر المراسلات إلى عماد الدين صاحب سنجار بعده ويحمل فيما هم على
ذلك إذ أتاهم كتاب الملك العادل من الناح بالعرب من دمشق وقد سار من دمشق إلى بلاده
يذكر فيه موت أخيه وأن البلاد قد استقرت لولده الملك الأفضل والناس متفقون على طاعته
وأنه هو المدبر لدولة الأفضل وقد سيره في عسكر جم كثير العدد لقصد ماردين لما بلغه أن صاحبها
تعرض إلى بعض القرى التي له ويذكر من هذا النحو شيئاً كثيراً فظنوه حقاً وأن دولته لا زمن
فيه فسيروا عن الحركة وذلك الرأي حسب والطواشيين فأشيم الاعتبار فإنه في الظاهر حران بمن
حوله ما يتبع حمه لا غيره فعادوا إلى العسكر وكاملاً أن عرف القواعد بينهم وبين صاحب سنجار وأهل
الشام كر السامية التي سيرها الأفضل وعبر إلى العادل فامتنع ثم سار أتابك عز الدين عن
الموصل إلى نصيبين واجتمع هو وأخوه عماد الدين بها وسار واعلى سنجار نحو الرها وكان العادل
قد عسكر قريباً منها بمرج الريحان فخافهم وأعطاه فلما وصل أتابك عز الدين إلى تل موزن
مرض بالإسهال فأقام عدة أيام فضعف عن الحركة وكثر مجيء الدم منه فخاف الهلاك فترك
العساكر مع أخيه عماد الدين وتقدم هو في مائتي فارس ومعه مجاهد الدين وأخوه بهاء الدين
فلما وصل إلى دنيسر استراح علي عليه الضعف فأحضر أخي وكتب وصيته ثم سار فدخل الموصل وهو
مريض أول رجب

(ذكر وفاة أتابك عز الدين وشيء من سيرته)

في هذه السنة توفي أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل
بالموصل وقد ذكرنا عوده إليها مريضاً فبقي في مرضه إلى التاسع والعشرين من شعبان فتوفي
رحمه الله ودفن بالمدرسة التي أنشأها مقابل دار المملكة وكان قد بقي ما يزيد على عشرة أيام
لا يتكلم إلا بالشهادتين وتلاوة القرآن وإذا تكلم بغيرهما استغفر الله ثم عاد إلى ما كان عليه
فرزق خاتمة خير رضي الله عنه وكان رحمه الله خير الطبع كثير الحلم والإحسان لا سيما إلى

رسولاً لا يسمعه بصرفه عن لا
من رسالته في رواية الود
والوفاء • سالف العهد
وأسرا الحاوص
نقاصة العهد • ما اتصل
حكم الإيداء من
الوداد واستمرار الوفا على
ظهر المعاد • وقد كان
الأمير أبو الفوارس أخو
الأمير سلطان الدولة معها
عسكر مان فسعى بينهما
خلاف اقتضى سلطان
الدولة عسر بنا الحسوس
لمصده • وأنهما ماله
البراح واستصلاح من
بينه من هولما وسهم
وكف عادية وأوعدوا
منهم سرماب الرجال
أكلاً وشرباً وأصاحب
الأرواح طمعاً وشرباً
وأسرف بالكمية فاتسع
الأمير أبي الفوارس
فاقطعوا مهر وغوا أهل
هو لحو مصيبان • يوم
حضرة السلطان • بين
الدولة عنطا رجاء •
ومستنها كرمه أرده
وراءه • فلما رآها وقد
كان أهوى إلى السلطان
عز الدولة أمراً أما مسعود

شيوخ قد خدموا أباه فانه كان يتعهدهم بالبر والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم وكان حليما قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلم جليساله الا وهو مطرق وما قال فى شئ يسئله لا حياء وكرم طبع وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف وكان يلبس تلك الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه فى داره ويصلى فيه نحو ثلث الليل وكان رقيق القلب شفيقا على الرعية بلغنى عنه انه قال بعض الايام انى سهرت الليلة كثيرا وسبب ذلك أنى سمعت صوت نائحة فظننت ان ولد فلان قد مات وكان قد سمع انه مريض قال فضاق صدرى وقمت من فراشى أدور فى السطح فلما طال على الامر أرسلت خادما الى الجاندارية فأرسل منهم واحدا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانا لا أعرفه فسكن بعض ما عندى فمت ولم يكن الرجل الذى ظن ان ابنه مات من أصحابه انما كان من رعيته كان ينبغى ان تتأخر وفاته وانما قدمناها لنتبع أخباره بعضها بعضا

(ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط)

فى هذه السنة أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانه أسرف فى اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولما بلغه موت صلاح الدين فرح فرحا كثيرا وعمل تختا جلس عليه ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيره وسمى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخابط وتجهز ليقصد ميافارقين يحصرها فادركته منيته وكان سبب قتله ان هزار ديناري وهو ايضا من مماليك شاه أرمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوج ابنة بكتمر وطمع فى الملك فوضع عليه من قتله فلما قتل ملك بعده هزار ديناري بلاد خلاط واعمالها وكان بكتمر دينا خيرا صالحا كثير الخير والصلاح والصدقة محبا لاهل الدين والصوفية كثير الاحسان اليهم قريبا منهم ومن سائر رعيته محبوبا اليهم عادلا فيهم وكان جوادا شجاعا عادلا فى رعيته حسن السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة شتى شهاب الدين ملك غزنة فى برشاور وجهز مملوكه أيبك فى عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبى ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد وخرج هو وعساكره سالما قد ملؤا أيديهم من الغنائم وفيها فى رمضان توفى سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك اخوه علاء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شاء الله وفيها امر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة الوفا لا يوجد مثلها وفيها فى ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذى أمر بانشائه الخليفة أيضا بالحريم الطاهرى غربى بغداد على دجلة وهو من أحسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك ان صاحبها سوسيان بن شملة جعل فيها دزدارا فاساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فأرسل اليها وملكها وفيها انقض كوكبان عظيمان وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار وفيها مات الامير داود بن عيسى

نصر بن اسحق الكاتب عن الامير صاحب الجيش أبى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخدمة استقباله * وتكلف الواجب من انزاله * واقامة أنزاله * وانزال من معه من طبقات رجاله * ونثر عشرة آلاف دينار له من خاصة بيت ماله * فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قرانها وطرائها ان أحدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من أولاد الملوك ولم يحتمل ان مثله يسمح به تيار البحور * فكيف اقطار الصدور * واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم ضفائره * وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره * ولما وصل الى حضرة السلطان أوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال * وتلقى عظيم قدره بالاجلال * وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام * والانعام بكل ما ينتهى الى

ابن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وصار السكة تكون له بها ولا يخطب لكثيرها الى أن مات

(ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندي)

كان شهاب الدين الغوري ملك غزنة قد جهز مملوكه قطب الدين وسيره الى بلاد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلما سمع به ملك بنارس وهو أكبر ملك في الهند ولايته من حد الصين الى بلاد ملاوا طولا ومن البحر الى مسيرة عشرة أيام من لهاور عرضا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغوري من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماحون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندي سبعمائة فيل ومن العسكر على ما قيل ألف ألف رجل ومن جملة عسكره عدة أمراء مسلمين كانوا في تلك البلاد أبا عن جد من أيام السلطان محمود ابن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وأفعال الخير فلما التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفار ونصر المسلمون وكثر القتل في الهنود حتى امتلأت الارض وجافت وكانوا لا يأخذون الا الصبيان والجواري وأما الرجال فيقتلون وأخذ منهم تسعين فيلا وباقي الفيلة قتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه أحد الا أنه كانت أسنانه قد ضعفت أصولها فأمسكوها بشريط الذهب فبذلك عرفوه فلما انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها على ألف وأربعمائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التي أخذها من جملتها فيل أبيض حدثني من رآه لما أخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وأمرت بالخدمة فخدمت جميعها الا الابيض فانه لم يخدم ولا يعجب أحد من قولنا الفيلة تخدم فانها تفهم ما يقال لها ولقد شاهدت فيلا بالموصل وفياله يحدثه فيفعل ما يقول له

(ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاة أخيه سلطان شاه)

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن ألب ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي من الحبس وملكه همذان وغيرها وكان قد جرى بينه وبين قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد حروب انهزم فيها قتلغ اينانج وتحصن بالري وسار طغرل الى همذان وأرسل قتلغ اينانج الى خوارزم شاه علاء الدين تكش يستنجده فسار اليه سنة ثمان وثمانين فلما قارب الري ندم قتلغ اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه منه فتحصن في قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الري وملكها وحصر قلعة طبرك ففتحها في يومين وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الري في يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرا يحفظها وعاد الى خوارزم لانه بلغه أن أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فجد في السير خوفا عليها فلما كان في الطريق بلغه أن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خائبا فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار الى مرو لقصد أخيه سنة تسع وثمانين فترددت الرسل بينهما في الصلح فبينما هم في تقرير الصلح اذ وردت على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه

قبل الاكرام * ما وقع
عند الخاص والعام موقع
الاستعظام * ما حلا الهمة
التي ترى الدنيا بأسرها
عن ملكها * شعر ...
أسارها * وصونه من
أوزارها * وعزمه من بحارها
يسيل قطره من أمطارها *
وأما ... بلا به
اسم ... الادنى
أرباها وسعه * والسلا
قريبه * حتى اذا ...
للانصراف * والحس
معونته على فارض الخلاف *
ارتاح السلطان لما استدعاه
فأعطاه من رضاه أموالا
أحسب ... الكلم *
وأوفت آمال الحساب *
وأمضى في صحبته ونصرته *
وأقامه ... * أبا سعيد
عبد الرحمن بن محمد الطائي
احتشاما بابه وأمامل
كله * في رسائل قد تعودوا
النصر ... راسه
ولم ... الانقلاب الا
بالاقبال * على الاكمال *
لعبد الصمد بن بابك
... أخرى
... كلها من طول
ما جلب سيبا على الكفل

قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدا فتسلم القلعة وصادر بعد وبلغ
ذلك سلطان شاه فنت ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة
فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلمها وتسلم مملكة أخيه سلطان شاه
جميعها وخزائنه وأرسل الى ابنه علاء الدين محمد وكان يلقب حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم
فاحضره فولاه نيسابور وولى ابنه الكبير ملكشاه مرو وذلك فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين
فلما دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلاد الرى فأغار على من به من أصحاب
خوارزم شاه ففر منه قتلغ اينانج بن البهلوان وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسأل انجاده
مرة ثانية وافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه
قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى فتلقاه قتلغ اينانج ومن
معه بالطاعة وساروا معه فلما سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرقة فلم يتف
ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له ان الذى يفعله ليس برأى والمصلحة ان تجمع العساكر
فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه
فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع والعشرين من شهر
ربيع الاول وحمل رأسه الى خوارزم شاه فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها بباب النوبى
عدة أيام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها وكان الخليفة الناصر لدين
الله قد سير عسكرا الى نجدة خوارزم شاه وسير له الخلع السلطانية مع وزيره مؤيد الدين بن
القصاب فنزل على فرسخ من همذان فأرسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيد الدين
ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وترددت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه
انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض عليك فدخل خوارزم شاه اليه قصد الاخذه
فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان ولما ملك همذان
وتلك البلاد سلمها الى قتلغ اينانج واقطع كثيرا منها المماليكه وجعل المقدم عليهم مياجق وعاد
الى خوارزم

(ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها)

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب فى الوزارة مؤيد الدين أبى
عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب خلع الوزارة وحكم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار
الى بلاد خوزستان وولى الاعمال بها وصار له فيها أصحاب وأصدقاء ومعارف وعرف البلاد
ومن أى وجه يمكن الدخول اليها والاستيلاء عليها فلما ولى ببغداد نيابة الوزارة أشار على الخليفة
بأن يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انه اذا ملك البلاد واستقر فيها أقام مظهرا للطاعة
مستقلا بالحكم فيها ليأمن على نفسه فاتفق ان صاحبها ابن شملة توفى واختلف أولاده بعده
فراسل بعضهم مؤيد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى الطمع فى البلاد فجهزت
العساكر وسيرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين أصحاب
البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينة تستر فى المحرم وملك غيرها من البلاد
وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع

وتوجه الامير ابو الفوارس
فيمن سموا فى سائر خاصته نحو
كرمان خلاعتها من كان
ولى عليها اعلاما بعجزه عن
المقاومه * وافتضاحه ان
تعرض للمحاكمه * فلك تلك
النواحى ملكه اياها من
قبل واقام بها أبو سعيد الى ان
قرت تلك الامور * ودرت
للجبايات الشطور * ثم كر
وراءه فيمن كانوا برسمه
تحت قيادته واتت على
ذلك مدة من الزمان تتسع
حشمة السلطان يمين الدولة
وامين الملة وحرمة
الناهضين من اتباع رايته *
فى امر وسمه بعزمايته *
ان يقصد بابوسهم سلافا
عليه حتى اذا عاودت تلك
الجيوش غزنة وانفرد
الامير ابو الفوارس بالتدبير *
وارتاش بعد التصبر * سرب
سلطان الدولة عسكرا ثانيا
لمواقعته * واستخلاص
تلك الناحية عن يده * فتلاقيا
على حرب اشابت القرون
تحكى ما لطبا الصفاح * فى
مخارج الطلى * وتحويها شبا
الرماح * على موارد الكلى *
حتى تشقرت الارض من

وأنفذ من سلم من أصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا في ربيع الاول

•(ذكر حصر العزيز مدينة دمشق)•

في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها أخوه الاكبر الملك الافضل علي بن صلاح الدين وكتب صاحب دمشق فنزل بنواحي ميدان الحصى فأرسل الافضل الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الافضل غاية الوثوق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة وأسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها لعلمهم ان العزيز ان ملكها أخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فاستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها والغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطي الافضل أخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الاول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد خربت منها الخزانة التي بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيها في جمادى الآخرة اجتمع [illegible] وغيرهم من العرب وقصدوا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم وكان أمير المدينة قد توجه الى الشام فلهذا طمع العرب فيه وفيها توفي القاضي ابو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسي الحلبي بها ابن سمعان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى

•(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة)•

•(ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم)•

قد ذكرنا ملك مؤيد الدين بن القصاب بلاد خوزستان فلما ملكها سار منها الى ميسان من أعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدم ذكر تغلب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامراء فأكرمه وزير الخليفة وأحسن اليه وكان سبب مجيئه انه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدمهم مياجق مصاف عند زنجان واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج وعسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجئا الى مؤيد الدين الوزير فلقاه الوزير الخلع والخيام وغير ذلك مما يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامراء ورحلوا الى كرمانشاه ورحل منها الى همذان وكان بها ابن خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذي معهما فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميون وتوجهوا الى الري واستولى الوزير على همذان في شوال من هذه السنة ثم رحل هو وقتلغ اينانج خلفهم فاستولوا على كل بلد جازوا به منها خرقان ومزدغان وساوه وآوه وسار الى الري ففارقها الخوارزميون الى خوار الري

صبيب الاوراد • وعفرت من رشاش الاكباد • وصدمه ارتجالا لم الامراء القوارس حولي كسرا • لا نصرة فيه الا ولاد نيرا وانتهى به الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فمنى منه حق القرابة اعظاما لقدره • واهتماما بأمره • واهتماما لشكره • واستعدادا لنصره • وأقام مدة مديدة على هذه الحالة حتى استمر أو استمراه مرور ومقصود • والى الامير سلطان الدولة مردود بما عرف الاخبار شربه الماثل • والوحش من كنفه الحائل • وفارق مظنته قاصدا بغداد وسرح ان شاء الله القصص بعد سالة • وما انتهى اليه أمره بما كتب عليه أوله

•(ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه الحالة) قد كان ايلك الخان عند الكسرة الى اصحابه عليه بباب بلخ تركب ظهر حرون وعاد وراءه مضطرب على نفسه عطا عمادها • واستماع ما لها • وما آل بعاقب طغان خان اخاه •

فسير الوزير خلفهم عسكرا ففارقها الخوارزميون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر الخليفة الى الرى فأقاموا بها فاتفق قتلغ ايناخ ومن معه من الامراء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانهم رأوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرى فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ ايناخ وملكها الوزير ونهبها العسكر فأمر الوزير بالنداء بالكف عن النهب وسار قتلغ ايناخ ومن معه من الامراء الى مدينة اوة وبها شحنة الوزير فمنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى أثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق ان قتلغ ايناخ قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلما قاربهم التقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم قتلغ ايناخ ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها فأقام نحو ثلاثة أشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرا اخذة البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدا الى همذان وكان الوزير مؤيد الدين ابن القصاب قد توفى فى أوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميون منهم شيأ كثيرا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع رأسه وسيره الى خوارزم وأظهر وانه قتله فى المعركة ثم ان خوارزم شاه أتاه من خراسان ماأوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان .

(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة فى شعبان غزا ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك ان الفنش ملك الفرنج بها ومقر ملكه مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابا نسخته باسمك اللهم فاطر السموات والارض أما بعد أيها الامير فانه لايخفى على كل ذى عقل لازب ولا ذى لب ثاقب انك أمير الملة الحنيفية كما انا امير الملة النصرانية وانك من لايخفى عليه ماهو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واشتغالهم على الراحات وأنا أسومهم الخسف واخلى الديار وأسبى الذرارى وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددا منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا ثم حكى لى عنك انك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدرى الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك ثم حكى لى عنك انك لاتجد سبيلا للحرب لعلك مايسوغ لك التقحم فيها دها أنا أقول لك مافيه واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والايمان ان تتوجه بجملة من عندك فى المراكب والشوانى وأجوز اليك بجملتى وأبارزك فى أعز الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والله يسهل الارادة ويوفق السعادة بمنه

ويستنضر قدرخان على ماأوهن من قواه* وقوته مراده ومغزاه* والقدر له معاند* والزمان مناكر ومناكد* حتى طرحه الكمد على فراشه وجعه عن قليل بطيب حياته فأشبعه التراب* بعد ان جوعه المرض والاضطراب*

همة كانت معلقة بالاثير* معلقة على ذلك التدوير*
غير ان يد القدر فوق يد التدبير* ومايصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة السير

فهبه رحا يجرى لها اليم ماءه
وليس لها قطب عاذا يديرها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه
وتسقط اذلاريش فيه نسورها

وكانت وفاته فى سنة ثلاث وأربعمائة وولى مكانه أخوه طغان خان فالا السلطان يمين الدوله وأمين الملة وولاه* وهادنه وهاداه* متلافيا بزعمه لما أخل به أخوه* ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه* وجاشت

لأن بعضهم أخبر الآخر بما وصل كتابه وقرأ يعقوب كتبه على أهله هذه الآية ارجع إليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ونودي بالنفير وجمع العساكر
العظيمة من المسلمين وعبر المجاز إلى الأندلس وقيل كان سبب عبوره إلى الأندلس أن يعقوب لما
قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم بقي طائفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلما كان
الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج وخرجوا إلى بلاد الإسلام فقتلوا وسبوا وغنموا
وأسروا وعاثوا فيها عيثا شديدا فانتهى ذلك إلى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز إلى الأندلس
في جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم وأقبلوا إليه مجدين
على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف
بمرج الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهزموا
أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله
عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفا وأسر ثلاثة عشر ألفا
وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما فمن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ومن الخيل ستة
وأربعون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الحمير مائة ألف وكان يعقوب قد نادى في عسكره من
غنم شيئا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألف لبس وقتل
من المسلمين نحو عشرين ألفا ولما انهزم الفرنج اتبعهم أبو يوسف فرآهم قد أخذوا قلعة رباح
وساروا عنها من الرعب فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد إلى مدينة
إشبيلية وأما الفنش فإنه لما انهزم حلق رأسه ونكس صليبه وركب حمارا وأقسم أن لا يركب
فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك إلى يعقوب فأرسل إلى
بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من المتطوعة والمرتزقة جمع
عظيم فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم
المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها وتوجه إلى مدينة طليطلة فحصرها
وقاتلها قتالا شديدا وقطع أشجارها وشن الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون
فقتل رجالها وسبى حريمها وخرب دورها وهدم أسوارها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم
أمر الإسلام بالأندلس وعاد يعقوب إلى إشبيلية فأقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار
عنها إلى بلاد الفرنج وذلوا واجتمع ملوكهم وأرسلوا يطلبون الصلح فأجابهم إليه بعد أن كان
عازما على الامتناع مريدا لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم فأتاه خبر علي بن إسحاق الملثم الميورقي
أنه فعل بإفريقية ما نذكره من الأفاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد إلى
مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

•(ذكر فعله الملثم بإفريقية)•

لما عبر أبو يوسف يعقوب صاحب المغرب إلى الأندلس كما ذكرناه وأقام مجاهدا ثلاث سنين
انقطعت أخباره عن إفريقية فقوي طمع علي بن إسحاق الملثم الميورقي وكان بالبرية مع العرب
فعاود قصد إفريقية فبث سراياه في البلاد فخربوها وأكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك
البلاد وتغيرت وصارت خالية من الأنيس خاوية على عروشها وأراد المسير إلى بجاية ومحاصرتها

بجانب الصين حصون
لقصد لطمان خان واحد
بلاد الإسلام من ديار
الترك وما وراء النهر
يعدد هم على مائة
أمير عسكرا لم يعهد
الإسلام مثلها على عهد
واحد يريدون أن يطؤوا
وراثها أو اهلهم ...
صرع أهله وأوردهم
كما ورد الهدى ...
واستنقذ حظ الإسلام
حتى اجتمع إليه من رجال
الترك وأحرار العراق والمطوعة
قرابة مائة ألف رجل
واستكف اجتماع المسلمين
من قتالهم هذا النبأ الهائل

لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مراكش عازما على قصده واخراجه من البلاد فكان هذا سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه

(ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان)

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيره الى اصفهان ومقدمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه مع ولده وكان أهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندي رئيس الشافعية باصفهان الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل من الديوان من العساكر وكان يعد حاكما باصفهان على جميع أهلها فسيرت العساكر ووصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم وأخذوا من ساقة العسكر من قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها

(ذكر ابتداء حال كوكجه وملكه بلاد الري وهمذان وغيرها)

لما عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرناه اتفق المماليك الذين للبهلوان والامراء وقدموا على أنفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانية واستولوا على الري وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزمية منها فلما قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فأرسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانه انما قصد اصفهان في طلب العساكر الخوارزمية وحيث رآهم فارقوا اصفهان سار في طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان وأما كوكجه فانه تبع الخوارزمية الى طبس وهي من بلاد الاسماعيلية وعاد فقصد اصفهان وملكها وأرسل الى بغداد يطلب أن يكون له الري وخوار الري وساوه وقم وقاشان وما ينضم اليها من حد مزدغان وتكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة فأجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وأرسلت له الخلع فعظم شأنه وقوي أمره وكثرت عساكره وتعاظم على أصحابه

(ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها)

وفي هذه السنة أيضا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر في عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزما وسبب ذلك ان من عنده من مماليك أبيه المعروفين بالصلاحية فخر الدين جركس وسرا سنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علي بن صلاح الدين لانه كان قد أخرج من عنده منهم مثل ميمون القصري وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لايزالون يخوفون العزيز من أخيه ويقولون ان الاكراد والمماليك الاسدية من عسكر مصر يريدون أخاك ونخاف أن يميلهم اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة أن نأخذ دمشق فخرج في العام الماضي وعاد كما ذكرناه فتجهز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى أخيه الملك الظاهر غازي فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضل اليها

والبناء المائل * فارتاعت له القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الادعية والنذور وسار طغان خان مستقبلا من أقبل عليه من جموع الفجرة الكفرة بنيات مقصورة على الاستقتال * واستقبال الآجال * أو ينزل الله نصره * ويظهر حزبه ويصلح أمره * تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد والتقوا أياما تباعا على ملاحم لم يدر من فتق العروق * وضرب الحلوق * وشد الخيول على الخيول * أصوب أنواء * أم صب دماء * ولمع البروق أو وقع السيوف وظلمة ليال أو رهج نزال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالأيد المتين * والنصر والتمكين * حتى وثقوا بالصنع المستبين * وطلوع الصبح مشرق الجبين * وتلاقوا ليوم منصوص عليه في فصل الحرب نشب بهم أم انطاقه * وأدار على الفريقين دهاقه * فأما أعداء الله

ودخلها وكان الافضل لثقته به قد أمر نوابه بتسليمه الى القلعة ثم عاد الافضل من حلب الى
دمشق فارسل معه الاسدية وهو ... ابن ابار كوش وغيرهم من الاكراد أو الهصا...
السمير فقدموا الى الافضل والعادل الانحياز اليهما والكون معهما ويأمرهما بالاتفاق على
العزيز والخروج من دمشق ليسلموا اليهما وكان سبب الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل
ان العزيز لما ملك مصر مال الى المماليك الناصرية وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هؤلاء
الامراء فاتفق هؤلاء الامراء ذلك فمالوا الى الافضل وأرسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك
واستقرت القاعدة بمصر وأرسل الامراء الى الافضل على الديار المصرية وتسلم دمشق الى عمه
الملك العادل وخرج من دمشق فاستقر الحال ... ذكرنا لم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزما لا يلوي
لم يرحل حتى وصل الى ... ولا عمد ... وتساقط أصحابه منه الى أن وصل الى مصر وأما
العادل والافضل فانهما أرسلا الى القدس وفيه نائب العزيز فسلمه اليهما وسار الى من معهما من
الاسدية والاكراد الى مصر ورأى العادل ... العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه
خاف ان يأخذ مصر ولا يسلم البلاد اليه فأرسل حينئذ سرا الى العزيز يأمره بالثبات وأن
يجعل عند بلبيس من يحفظها ويكفل له منع الافضل وغيره ... الحال العزيز
النامرية ... عند بلبيس من حفظها ... الرحل ... وصل العادل والافضل الى بلبيس
الناصرية ... جهاركس ... والرحيل الى مصر ...
فاراد الافضل ... الناصرية وأراد الافضل مناجزتهم ... في ردها الصلح ... الملك
العادل من الامرين وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا في الحرب في ... وأحسن ما ...
وربما أخذ مصر ... البلاد ... وهي ... مصر والقاهرة ...
زال هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها من يدفع عنها ... العادل ... بسهر ...
الايام وأرسل الى العزيز سرا يأمره بارسال القاضي الفاضل وكان مطاعا عند البيت الصلاحي
لعلو مرتبته كان عند صلاح الدين فحضر عندهما وأجرى ذكر الصلح وزاد القول وعظم
وانفصل العزم واستقر الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد ...
وطبرية والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل الاقطاع الذي كان له قديما ويكون مقيما
عند العزيز وانما اختار ذلك لان الاسدية والاكراد لا يريدون العزيز فهم يقصدون ...
عند العزيز على ... ذلك السفر ... الامر على ذلك وتعاهدوا وعاد الافضل الى دمشق
وبقي العادل بمصر عند العزيز

* (ذكر عدة حوادث) *

في ذي القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بسوق المطعم فاحترقت المربعة الى باب
... وكان ... الهراس ... كان ابتداؤها من دار ابن الصل

* (ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة) *

* (ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلد الهند) *

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوري صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر وهي
قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب أهلها منه الامان على أن يسلموا اليه فأمنهم وتسلمها وأقام
عندها عشرة أيام حتى رتب جندها وأحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير وبينها ما مسيرة

فتكروا مكرا استوجبوا
به الخلود في الخلود في المواقف
فصب عليهم من لدن لاح
سيف الشمس الى أن ذكت
سرا جاوعلماء وكادت تمر
على ثم الروس لمائه وأما
أولياء القصائل فاتسروا
لهم وطربوا معها الضرب
دون الهلم * والمعسب
بلا بيع الحلم * لا جرم ان
الله جاءهم ونصرهم *
وآواهم وأظفرهم * فبادروا
من جاهد الكفار فراه
... على
وجه البسيطة من فوس
... * ورؤوس
مسودة وأيدي السواعد
عدودية ... الصاع *
بل حصل ... *
والوسوس ...
وأما الله على الموسم مائة
ألف رأس عليها كالمدورة
والزلزل المصورة و ...
كالطور العس والعمص
المكمون ... ...
بها أقطار البداء * وضاقت
بها أطراف الفضاء * وسرد
... تسلمهم
السوق ثل الانعام *
وتقطف أرواحهم بأيدي
الحمام * وتطير به الشابات
في جبارات الاسلام * ...

أيام وفى الطريق ثم جازه ووصل الى كواليروهى قلعة منيعة حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهى كبيرة فأقام عليها صفر اجمعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضا فراسله من بها فى الصلح فأجابهم اليه على أن يقر القلعة بأيديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آى وسور فأغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما .

(ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل)

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل أبو بكر بن أيوب مدينة دمشق من ابن أخيه الافضل على بن صلاح الدين وكان أبلغ الاسباب فى ذلك وثوق الافضل بالعادل وانه بلغ من وثوقه انه أدخله بلده وهو غائب عنه ولقد ارسل اليه أخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له اخرج عمنا من بيننا فانه لا يجىء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد وأنا أعرف به منك وأقرب اليه فانه عمى مثل ما هو عمك وأنا زوج ابنته ولو علمت انه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك فقال له الافضل أنت سيئ الظن فى كل أحد أى مصلحة لعمنا فى أن يؤذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيرنا معه العساكر من عندنا كنا ملكنا من البلاد أكثر مما بأيدينا ونربح سوء الذكر وهذا كان أبلغ الاسباب ولا يعلمها كل أحد وأما غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز بن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلما أقام عنده استماله وقرر معه أنه يخرج معه الى دمشق ويأخذها من أخيه ويسلمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا أميرا من امراء الافضل يقال له العزيز بن أبى غالب الحمصى وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلم اليه بابا من أبواب دمشق يعرف بالباب الشرقى ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلة ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من أصحابه فلم يشعر الافضل الا وعمه معه فى دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربى دمشق فلما رأى الافضل ان البلد قد ملك خرج الى أخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتفق العادل والعزيز على ان اوهما الافضل انهما يبقيان عليه البلد خوفا انه ربما جمع من عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامة فأخرجهم من البلد لان العادل لم يكن فى كثرة واعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فأقام به وعساكره فى البلد فى كل يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك أياما ثم ارسلا اليه وامراه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة أن تعطى قلعة صرخد له ويسلم جميع أعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جوسق بظاهر البلد غربى دمشق وتسلم العزيز القلعة ودخلها واقام بها أياما فجلس يوما فى مجلس شرابه فلما أخذت منه الخمر جرى على لسانه انه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر المجلس فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتى سلم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان

لها الوجوه وضحكت القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور * حتى القصور والخدور * لطفا من الله لدين ارتضاه * ووعد أن يصل بيد التأييد قواه * فلم ينشب طغان خان بعد أن فرغ من هذه الحرب العظيم راسها * الشديد مراسها * ان استأثر الله به فنقله الى جواره * وبوأه مبوأ الصدق بقسمين من دار قراره * ختم له بالشهادة * وحتم له بالسعادة * وورث مكانه أخوه ارسلان خان أبو منصور الاصم صنوه فى التقية * وتلوه فى الامور الالهية * ثبت المقام * فى دين الاسلام * لا تعرف له جاهلية ولا تنقم منه عصبية ولا عجرفية * يقيم الصلوات جماعة * ويفترض العدل سمعا لله وطاعة * وعمر الحال التى كانت بين طغان خان أخيه وبين السلطان يمين الدولة وأمين الملة اظهارا للمصافاة * واستشعارا للمواخاة * وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان اليه والى أخيه

العادل بعد ذلك إن الأفضل سعى في قتله لهذا السبب الذي ذكرناه، وكان الأفضل ينكر ذلك ويتبرأ منه، والقتيل يحكم بهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفون

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة هبت ريح شديدة بالعراق ولم يروا مثلها الناس وقلع نخل أخرى واستعظم الناس ذلك، وكبروا واستغفروا، الأصوات بالتهليل، وفيها قتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية بأصفهان، قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة أصفهان بها، وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولي النظر في المدرسة النظامية ببغداد، ولما سار مؤيد الدين بن القصاب إلى خوزستان سار في صحبته، فلما ملك الوزير أصفهان أقام ابن الخجندي بها في بيته وملكه، فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة أصفهان منافرة، فقتله سنقر، وفي رمضان درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادي الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد، وفي شوال منها أسلم نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي إلى الوزارة ببغداد، وكان قد قدم إلى بغداد لما ملك ابن القصاب الري، وفيها ولي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الإنشاء ببغداد، وكان كاتبا مفلقا له شعر جيد، وفيها توفي القاضي محمود بن علي الفقيه الشافعي بالكوفة عائدا من الحج، وكان من أعيان أصحاب محمد بن يحيى، وفيها توفي أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الشاعر الهرثي، والهرث قرية من أعمال واسط، عن إحدى وتسعين سنة، وفي رابع شعبان منها توفي الوزير مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن علي بن القصاب بهمذان، وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية

•(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)•

•(ذكر إرسال الأمير أبي الهيجاء إلى همذان وما فعله)•

وصل إلى بغداد أمير كبير من أمراء مصر اسمه أبو الهيجاء ويعرف بالسمين لأنه كان كثير السمن، وكان من أكابر أمراء مصر، وكان في إقطاعه أخيرا البيت المقدس وغيره، فلما ملك العزيز والعادل دمشق من الأفضل أخذ القدس منه، ففارق الشام وعبر الفرات إلى الموصل، ثم انحدر إلى بغداد لأنه طلب من ديوان الخلافة، فلما وصل إليها أكرم إكراما كثيرا، ثم أمر بالتجهز والمسير إلى همذان مقدما على العساكر البغدادية فسار إليها والتقى عندها بالملك أوزبك بن البهلوان وأمير علم وابن سطمش وغيرهم، وهم قد كاتبوا الخليفة الناصر قبل اجتماعهم به وبذلوا له الطاعة، ولم يصدر وقبض على أوزبك وابن سطمش وابن قراغز وهم من أمرهم، فلما وصل الخبر بذلك إلى بغداد أنكرت هذه الحال على أبي الهيجاء، وأمر بالإفراج عن الجماعة، وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييبا لقلوبهم، فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا أمنوا ففارقوا أبا الهيجاء السمين، فخاف الديوان ولم يرجع إلى بغداد ولم يمكنه أيضا المقام بعساكر ففارق إربل لأنه من بلدها هو وقتوبلته ومولده إليها، وهو من الأكراد الحكمية من بلد إربل

•(ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها)•

إليك كرعه لفضل ولده الأمير الجليل أبي سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة فاحسب الأصالة • واعتماد الصرامة • ورقد منهما الدهر أم في حلة ملك على جلة الهادي • ووصل إلى الفال باقتسام الأيادي • إلى أن حصب الهيبة • وعب الممدة الوثيقة • وأنهض السلطان من أحرارهم من بعاسانه لتسمل التمه الكريمة فرب وتعمه ساح عليهما فكان هذا صدر المثنه ودائك التركة يختص بها السل ابن السمه والوبل ابن الصب • والتيار ابن البحر • والصباح بن الفجر • الأمير الجليل أبو سعيد مسعود بن محمود يمين الدولة وأمين الملة وصل إلى الحضر يبلغ رقد عيناهم مضها ملك الدولة وأعاد ربها أهل الحماس عدوا ألسنة المشرق • وأرباب المنطق • فأدوا أماني البلد والسبان على ما أحب الحال من الحسن • ورهب الحسمه لدات اليمين • وأمر السلطان أهل بلخ لقبل الوصول بعد الأدنى •

في هذه السنة في شوال ملك العادل أبو بكر بن أيوب مدينة يافا من الساحل الشامي وهو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك ان الفرنج كان قد ملكهم الكندهري على ما ذكرناه قبل وكان الصلح قد استقر بين المسلمين والفرنج أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى فلما توفي وملك أولاده بعده كما ذكرناه جدد الملك العزيز الهدنة مع الكندهري وزاد في مدة الهدنة وبقي ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت أمير يعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون و يقولون ان لم تنجدونا والا أخذ المسلمون البلاد فامدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان أكثرهم من ملك الالمان وكان المقدم عليهم قس يعرف بالخنصلير فلما سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجاءته الامراء واجتمعوا على عين جالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التي لها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف في يومها وهو يوم الجمعة واخذ كل ما بها غنيمة واسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بملكها فعادوا وكان سبب تأخرهم ان ملكهم الكندهري سقط من موضع عال بعكا فمات فاختلفت احوالهم فتأخروا لذلك وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجة وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحي صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذي الحجة فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسارت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها وخربوا ما لها من قرى وابراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقية بالعود ظنا منه ان الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطي العساكر المصرية دستورا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرم ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه و يمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا من به وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه و يقول له ان حضرت والا فلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدا فمن بقي معه من العساكر واما من بحصن تبنين فانهم لما رأوا النقوب قد خربت القلعة ولم يبق الا ان يملكوها بالسيف نزل بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا القلعة وكان المرجع الى القسيس

وتكليف التنضيد والتزيين* فبلغوا من ذلك مبلغا لم يسبق فيه من الوسع مذخور* ولا من الرسم مذكور ومسطور* ورأى السلطان بعد ذلك أن يرفع من قدره نعقد له على هراة سر قمليكه ونواحيها وسيره اليها بعد أن وصله بمال عظيم يعده ذخيرة* ويوسعه تجملا وزينة* فنهض اليها رشيد السيرة* حميد السريرة* عادل الطريقة* فاضل الخليقة* خليقا بالملك على الحقيقة* وذلك في سنة ثمان وأربعمائة

(ذكر الامير أبي أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة)

جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله* وذكر خصاله* قول القائل ان السري اذا سرى فبنفسه وابن السري اذا سرى أسراهما

وقد جمع الله له من الميل الى خصائص الادب* والسعي لمعالي الرتب* ما دل على انه ابن أبيه شرفا سمقت على النجوم شرفاته* وكرما توفرت لأهل الفضائل عرفاته*

المسلمين من أصحاب ملك الألمان فقال لهم لا المسلمين من الفرنج الذين بساحل الشام أن
نسلم الحصن إليهم إلا بأمركم هذا وقتلكم فاحملوا أموالكم وعادوا كأنهم يأخذون من في القلعة
ليسلموا فلما صعدوا إليها أمروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه فحفظوها إلى أن
وصل الملك العزيز إلى عسقلان في ربيع الأول فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وأن
الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وأن أمرهم إلى امرأة وهي الملكة فاجتمعوا وأرسلوا إلى ملك
قبرس واسمه هنري فأحضروه وهو أخو الملك الذي أسر بحطين كما ذكرناه فزوجوه بالملكة
زوجة الكند هري وكان رجلا عاقلا يحب السلامة والعافية فلما ملكهم لم يعد إلى الزحف على
المسلمين ولا قاتل واتفق وصول العزيز أول شهر ربيع الآخر فرحل هو والعساكر إلى جبل
الخليل الذي يعرف بجبل عاملة فأقاموا أياما والأمطار متداركة فبقي إلى ثالث عشر الشهر ثم سار
وطاردهم الفرنج وأرسل رماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا وتبع العساكر ليرجع إلى الفرنج
ويصدقوا قتالهم فرحلوا إلى صور وخاموا عند النهر للعسكر الإسلام رحلوا إلى عكا فسار
المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا في الصلح وتطاول الأمر فعاد العزيز إلى مصر قبل اتصال
الحال وسبب رحيله أن جماعة من الأمراء منهم ميمون القصري وأسامة وسراسنقر والطاف
وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وفخر الدين جركس مدبر دولته والله سبحانه
وتعالى أعلم فلما علم بذلك سار إلى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في
الصلح في شعبان سنة أربع وتسعين فلما انتظم الصلح عاد العادل إلى دمشق وسار منها إلى
ماردين من أرض الجزيرة فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى

(ذكر وفاة سيف الإسلام وملك ولده)

في شوال من هذه السنة توفي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين وهو صاحب
اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملكه وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشتري أموال التجار
لنفسه ويبيعها كيف شاء وأراد ملك مكة حرسها الله تعالى فأرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى
أخيه صلاح الدين في المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الأموال ما لا يحصى حتى إنه من كثرته كان
يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره وملك بعده ابنه إسمعيل وكان أهوج كثير
التخليط حتى إنه ادعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي فلما
سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه وأهمه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعود إلى نسبه
الصحيح وبترك ما ارتكبه مما يمقته الناس منه فلم يلتفت إليه ولم يرجع وأضاف إلى ذلك أنه
أساء السيرة مع أجناده وأمرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا بعده أميرا من مماليك أبيه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي أبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني المقري
الواسطي وله من العمر ثلاث وتسعون سنة وثلاثة أشهر وأيام وهو آخر من بقي من أصحاب القلانسي
وفي جمادى الآخرة توفي قاضي القضاة أبو طالب علي بن البخاري ببغداد ودفن بتربته في
مشهد باب التبن وفيها في ربيع الآخر توفي ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان
أبوه قد جعله فيها وأضاف إليه عساكر جميع بلاد خراسان وجعله ولي عهده في الملك

خروج من حصن الكفالة
خروج الأرز من جرات
الثالثة والهلال من بعد
السماع المتالك لم يعرف
له طول أيام الأصباع عبر
الارتجاع إلى السماع
نصرا على كرم الطباع
وتقييد المأثور بالسماع
وذلك لتقييد الطباع
وارتياحا ذات الثمامة
والصاع وهي إذا ارتع بدا
رد المثالة ولبس هذا
طوق الحمامة رأى
السلطان أن يوسع
السوق ويوسع شرط
المروءة وصدق سعيه إلى
حسن القسمة القراسة فيه
واستدعيه العمامة
والرعاية لمن توجه كريمة
الأمر أن نصر الغريب في
وإلى الموروثات وهي التي
تجمع إلى الأصالة جلالة
وإلى الكفاءة كفاءة وإلى
النعمة همة وعهده على
أعمال الموروثات كأعمد
قلا مرالحدل أن سعيد
منه ودعلى هراة وهي إلى
وليها قبل آل فريغون وهم
الذين حكموا في العراق دون
وفي الهمة المقصورة وفي
العراقة والنباهة حصون

وخلف

وخلف ولداً اسمه هندوخان فلمامات جعل فيها أبوه خوارزم شاه بعده ولده الآخر قطب الدين محمداً وهو الذى ملك بعد أبيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة أفضت الى أن محمداً لما ملك بعد أبيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره وفيها توفى شيخنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن على الفراتى الضرير الفقيه الشافعى كان اماماً فى الفقه مدرساً صالحاً كثير الصلاح سمعت عليه كثيراً لم أر مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدت منه عجباً يدل على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك انى كنت اسمع عليه ببغداد سنن أبى عبد الرحمن النسائى وهو كتاب كبير والوقت ضيق لانى كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع مع اخى الاكبر مجد الدين أبى السعادات اذ قد أتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال أنا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذى يراد منى لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابل أمر الخليفة فقال لا عليك قل قال أبو القاسم لا أحضر حتى يفرغ السماع فسألناه ليمشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلما كان الغد حضر غلام لداود كران أمير الحاج الموصلى قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولم يعظم عليكم العود الى أهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعيروا به وأركبوا فاسيروا معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عدت فمضى العلام ليتردد ونحن نقرأ فعاد وذكر ان الحاج لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يرد أمر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد تيسيره ما ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد)

فى هذه السنة فى المحرم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وقد تقدم ذكره كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلاً حسن السيرة فى رعيته عفيفاً عن أموالهم وأملاكهم متواضعاً يحب أهل العلم والدين ويحترمهم ويجالس معهم ويرجع الى أقوالهم الا انه كان بخيلاً شديد البخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك أبيه وكان ديناً خيراً عادلاً حسن السيرة كثير البر والاحسان الى الفقراء وكان رحمه الله شديد التعصب على مذهب الحنفية كثير الذم للشافعية فمن تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر للحنفية من أولاده دون الشافعية وشرط أن يكون البواب والفراش على مذهب أبى حنيفة وشرط للفقهاء طبيخاً يطبخ ذلك كل يوم وهذا نظر حسن رحمه الله

(ذكر ملك نور الدين نصيبين)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها وأخذها من ابن عمه قطب الدين محمد وسبب ذلك ان عمه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوابه بها واستولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل

وولى أبا محمد الحسن بن مهران كفاية أموره * وولاية تدابيره * فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهمى على أهلها همى السحاب الهاطل * فأحياهم بندى العدل الشامل * وعدل فى العطف عليهم بين الايامى والأرامل * فعلقته قلوب الخاص والعام * وكفته النفوس مؤنة الاستخدام * ولما رأى السلطان حميد اثره * ورشيد مخبره * ازداد شغفاً بآثاره * وحرصاً على اصطناعه وايثاره * فلم يخل من جديد انعام * ومزيد حفاوة واكرام * وسيأتى بيان خبر الاخوين الجليلين فى موضعه باذن الله تعالى

*(ذكر التاهرتى الرسول الوارد من مصر وما ختم به أجله)

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة مذ شحذ عزيمته لغزوات الهند محييا لسنة ابيه * مقتفيا منهج آثاره ومساعيه * باحثا على طرق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام * والبدع المعترضة عليها فى سالف الايام * استبصارا منه فى الدين *

كاتبا والمرجوع اليه فيها لم يرد عنه ... فلما علم من قبله صعب عليه احتمال مثل هذا وخاف
ان يصير خلفا بينهم فارسل من صدره رسولا الى عماد الدين في المعنى وقبح هذا الفعل الذي فعله
النواب بغير امره وقال اني ما اطلب نور الدين بالمال انما طلب صرح عن بيته فانه ليس كواحد
وأخاف ان يدروسه ما يصرح الامر فيه عن يدي فاعاد النواب انهم لم يعملوا الا ما امرتم به
وهذه القرى من اعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن أخذها فحينئذ
اعلم مجاهد الدين نور الدين بالحال فارسل نور الدين رسولا من سابع دولته في خدم بيتهم
الشهيد زنكي ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلقي عماد الدين قد
مرض فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا أعيد ملكي فأشار الرسول بن عبد حسب فوض
سابع دولتهم بهذا فلم ما أخذه وحذره عاقبة ذلك فاغلظ له عماد الدين القول وعرض
بذم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال فغضب نور الدين وعزم على
المسير الى نصيبين وأخذها من عمه فاتفق ان عمه مات ولم يبعد امه فقوي طمعه فمنعه مجاهد
الدين فلم يسمع وخشي وسار اليها الملك قطب الدين صاحبها فسار اليه من سبقه عسكره ونزل
عليها فسمع نور الدين عنها فوصل نور الدين وقدم الى البلد وكان فيهما مهر ... فلما بعض امرائه
وقاتل من بابه فلم يستر الله بعد جمع العسكر النوري وعاد الهزيمة على قطب الدين فقصد
هو ومن معه مجاهد الدين بن قصر الى قلعة نصيبين وأدركهم القتل فخرجوا منها هاربين الى حران
وراسلوا الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب حران وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال
الكثيرة ليقصدهم وتستنصبين اليهم وأقام نور الدين بنصيبين ما لكها فتجمع عسكره وكثر
الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى القيادة ... لما
فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل في شهر ... فلما فارقها سلمها لقطب الدين وعن نوابه
من امراء الموصل عز الدين جرودبك وشمس الدين عبد الله بن ابراهيم وشرف الدين عبد الله بن
عيسى الهرابيان ومجاهد الدين فاعاد وظهير الدين يولو بن ملتكري وجمال الدين ...
وغيرهم ولما عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيق على اهلها على
ما نذكره ان شاء الله تعالى

●(ذكر ملك الغور مدينة بلخ من الخطا الكافرة)●

في هذه السنة ملكها الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن أخي غياث الدين وشهاب الدين
صاحب غزنة وغيرها وهو بامبان مدينة بلخ وكان صاحبها ترك كافر اسمه ازبه وكان يحمل الخراج كل
سنة الى الخطا على وراء النهر فتوفي في هذه السنة فسار بها الدين سام الى المدينة فملكها وعسكر
بها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصار من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت
لطاعة الكفار

●(ذكر انهزام السلطان الغورية)●

وفي هذه السنة عبر الخطا جيحون الى ناحية خراسان فساروا الى البلاد واستدوا فلقيهم
عسكر غياث الدين الغوري وقاتلهم فانهزم الخطا وكان سبب ذلك ان خوارزم شاه تكش كان
قد سار الى بلد الري وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرض الى عساكر

واستظهارا من فرق الملحدين فقير ... والتأويل وتتبع القياس والتعليل وعرف الناسخ والمنسوخ والسقيم والصحيح والموضوع ونقض من اصول الدين ما لم يحصر منه في الدين بعده ورأى كل ما يقال في ظاهر حكرا وسمعه وأبى للسان في عصر الرضا خراسان فرأوا ما يتصلون مذهب الباطن المنسوب الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ما وصلات موضوعه تؤدي الى رفع قواعد الدين ودفعه الى الداني والقصي وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله تعالى بالرمز والتنصيص ثم وضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كل من المذكورين اولا والملبس لسدانه تعرف القوم بساهم واسمائهم فمن عرف غلبة منهم مختلف البلدان والاوطان ثم اخصوا الى الناس وجروا تحت السلب الاحكام ولم

الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فأرسل الخليفة الى غياث الدين ملك الغور
وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه قد عاد الى
خوارزم فراسله غياث الدين يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها فأرسل خوارزم شاه الى
الخطا يشكو اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوني بانفاذ العساكر والا أخذ غياث الدين
بلاده كما أخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون
عن رده عما وراء النهر فجهز ملك الخطا جيشا كثيفا وجعل مقدمهم المعروف بطاينكوا وهو
كالوزير فساروا وعبروا جيحون في جمادى الآخرة وكان الزمان شتاء وكان شهاب الدين
الغوري أخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه
من الحركة انما يحمل في محفة والذي يقود الجيش ويباشر الحروب أخوه شهاب الدين فلما وصل
الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازما على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا
النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان وغيرهما فقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا
كثيرا لا يحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بهم فراسل
الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالافراج عن بلخ أو انه يحمل ما كان من قبله يحمله من
المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الامير محمد بن جربك
الغوري وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعا وكاتب الحسين بن خرميل
وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حروش الغوري وساروا بعساكرهم الى الخطا
فبيتوهم وكبسوهم ليلا ومن عادة الخطا انهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا يفارقونها فأتاهم
هؤلاء الغورية وقاتلوهم وأكثروا القتل في الخطا وانهزم من سلم منهم من القتل وأين ينهزمون
والعسكر الغوري خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن الخطا أن غياث الدين قد قصدهم في
عساكره فلما أصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا ان غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا واعادة
مدارهم فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت المتطوعة بالغوريين وأتاهم مدد من غياث
الدين وهم في الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم في الكفار وحمل الامير حروش على قلب
الخطا وكان شيخا كبيرا فأصابه جراحة توفي منها ثم ان محمود بن جربك وابن خرميل حملا في
أصحابهما وتنادوا ان لا يرمي أحد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللتوت وحملوا على الخطا
فهزموهم وألحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق ووصل الخبر الى ملك
الخطا فعظم عليه وأرسل الى خوارزم شاه يقول له أنت قتلت رجالي وأريد عن كل قتيل عشرة
آلاف دينار وكان القتلى اثني عشر ألفا وانفذ اليه من رده الى خوارزم وألزمه بالحضور عنده
فأرسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو اليه ويستعطفه
غير مرة فأعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل
بينهما حال

(ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا)

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه أعاد الجواب ان عسكرك انما قصد
انتزاع بلخ ولم يأتوا الى نصرتي ولا اجتمعت بهم ولا أمرتهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا

يرل يفعل ذلك بأشراسهم
ومن كان يخرج لذكر
بالقابهم * حتى التقطهم
حجارة الرجم والرض * عن
بسط الارض * وقد كان
الاستاذ ابو بكر محمد بن
اسحق بن محمشاد زعيم
اصحاب ابي عبد الله بن
كرام غزير الفضل * كبير
المحل مذكورا في القاصية
والدانيه * بالديانة الوافيه
والامانة البادية والخافيه *
مشهورا باليقظة على الفرق
الغاليه * والبدع الجافيه *
فوافق رأي السلطان على
اجتياح من ركب ثنيات
الطريق * وعدم في العدول
عن مثل مخارف النعم
مساعدة التوفيق * ونبهه
على عدة زعموا أنهم ضلال *
والهم في فضول القول وهذر
المقال مجال * فسلكوا في
أصفاد الآخرين * ونصبوا
عبرة للناظرين * وازداد
أبو بكر فيما تقرب به من
ظاهر المحاماه * على دين الله
والمراماه * دون حق الله
وتطهير بيضة الاسلام عن
كل ذي ريبة بعيدة
أو قريبة حشمه * أطمعت

متهم بالميل للعلويين ولكن حسبهم أنهم عن الغورية معتمدهم على هذا القول وهذا
الملك وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي فعاد الرسول
بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسير إلى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج
إليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما وأفنى من الخطا مقتلة كثيرة فلم يزل هذا دأبه معهم حتى
أتى على أكثرهم فرحل الباقون إلى بلادهم وتبعهم خوارزم شاه إلى بلادهم وقصد بخارا
فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى إنهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه
قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لأنه كان أعور وطافوا به على السور ثم ألقوه في منجنيق
إلى العسكر وقالوا هذا سلطانكم وكان الخوارزمية يسبونهم ويقولون يا أجناد الكفار
أنتم قد ارتددتم عن الإسلام فلم يزل هذا دأبهم حتى ملكها خوارزم شاه البلد بعد أيام يسيرة عنوة
وعفا عن أهله وأحسن إليهم وفرق فيهم مالا كثيرا وأقام بها مدة ثم عاد إلى خوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ذي الحجة توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الإنشاء بديوان الخليفة
وكان عالما بالأدب كاتبا مجيدا وكان رجلا عاقلا ذا تجربة كثير النفع للناس وله شعر جيد وفيها
حصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب قلعة ماردين في شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها
حسام الدين يولق أرسلان بن إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق كل هؤلاء ملكوا
ماردين وقد تقدم من أخبارهم ما تعرف به حالهم وكان صبيا والحاكم في بلده ودولته مملوك أبيه
النظام برنقش وليس لصاحبه معه حكم البتة في شيء من الأمور ولما حصر العادل ماردين
ودام عليها نزل إليه بعض أهلها الربض فحاصروهم ثم نهب العسكر أهله نهبا قبيحا وفعلوا بهم
أفعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلما ملك الربض تمكن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها إلى
أن رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره إن شاء الله وفيها توفي الشيخ أبو علي الحسن بن
مسلم بن أبي الحسن الفلاحي الزاهد المقيم بعداد والقادسية التي ينسب إليها قرية بنهر عيسى
من أعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودفن بقريته وأبو الحسن علي بن أبي
الحسن علي بن الناصر بن محمد الفقيه الحنفي مدرس أصحاب أبي حنيفة ببغداد وكان من أولاد
محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الأفضل ديار مصر)

في هذه السنة في العشرين من المحرم توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب
صاحب ديار مصر وكان سبب موته أنه خرج إلى الصيد فوصل إلى الفيوم متصيدا فرأى ذئبا
فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس فسقط عنه إلى الأرض ولحقته حمى فعاد إلى القاهرة مريضا
فبقي كذلك إلى أن توفي فلما مات كان الغالب على أمر مملوك والده فخر الدين جهاركس وهو
الحاكم في بلده فأحضر إنسانا كان عنده من أصحاب الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأراه
العزيز ميتا وسيره إلى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملكه البلاد فسار
القاصد فلما كان بالشام رآه بعض أصحاب الأفضل علي بن صلاح الدين فسأله لم

منه الرحال • وأمالت إليه
الآمال • وأبهجه وصنع
الله عليها طالع الدين فهي
في سوار التصميم سوار مكان
• ومعوسان • وكفاك
ثم الخامسة ما ورد في الخبر
المروي أن الله تعالى قال
للدنيا من خدمني فاخدميه •
ومن خدمك فاتعبيه
أو فاستخدميه • واتفق
بعد ذلك أن طلع رجل
من بلاد العراق ينتسب
إلى مصر العلوية تذكرة أنه
رسول صاحب مصر إلى
السلطان عين الدولة •
وأمين الملة • بكتاب صحبه
وزبرقه بسند لا يسبب
النسب وسلبا يسلب
الشرف فاستوحش إلى
أن أمر بي إلى السلطان
حر • ووكل الحمار
ماله صدره • ونهض من
بعد ذلك إلى هراة عندالي
الحضرة • فأمر برده إلى
بيانور ليشهر بها عصبه
على رؤوس الأشهاد • ومن رأى
وسمع من كل حاضر وباد •
من يتمثل من عليه جنا
حتى أن تناب الشمس
أماله • وسرقة سرباله •

اما احبك ان أخاه العزيز توفى وليس فى البلاد من يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل مجبوبا الى الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامراء من مصر يدعونه اليهم ليملكوه وكان السبب فى ذلك ان الامير سيف الدين يازكج مقدم الاسدية والفرقة الاسدية والامراء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصرية الذين هم مماليك أبيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدم الاسدية وفخر الدين جهاركس مقدم الناصرية ليتفقوا على من يولونه الملك فقال فخر الدين نولى ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بد من قيم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والرأى انا نجعل الملك فى هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض أولاد صلاح الدين يدبره الى أن يكبر فان العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتفقا على هذا فقال جهاركس فمن يتولى هذا فاشار يازكج بغير الافضل تجرى بينه وبين جهاركس منازعة الملايتهم وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من أولاد صلاح الدين واحدا بعد آخر الى أن ذكر آخرهم الافضل فقال جهاركس هو بعيد عنا وكان بصرخد مقيما فيها من حين أخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه من يطلبه مجدا فأخذ جهاركس يغالطه فقال يازكج نمضى الى القاضى الفاضل ونأخذ رأيه فاتفقا على ذلك وأرسل يازكج من عرفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلما اجتمعا عنده وعرفاه صورة الحال أشار بالافضل فارسل يازكج فى الحال القصاد وراءه فسار عن صرخد للبلتين بقيتا من صفر متنكرا فى تسعة عشر نفسا لان البلاد كانت للعادل ويضبط نوابه الطرق لئلا يجوز الى مصر ليجىء العادل ويملكها فلما قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدى اليه لقيه فارسان قد ارسلا اليه من القدس فاخبراه أن من بالقدس قد صار فى طاعته وجد فى السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاول ولقيه أخوته وجماعة الامراء المصرية وجميع الاعيان فاتفق ان أخاه الملك المؤيد مسعودا صنع له طعاما وصنع له فخر الدين مملوك أبيه طعاما فابتدأ بطعام أخيه لبين حالهما أخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا اعراضا عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قد اقتتلوا ولئن لم تمض اليهم تصلح بينهم يؤدى ذلك الى فساد فاذن له الافضل فى المضى اليهم ففارقه وسار مجدا حتى وصل الى البيت المقدس ودخله وتغلب عليه ولحقه جماعة من الناصرية منهم قراجة الزركش وسراسنقر وأحضروا عندهم ميمونا القصرى صاحب نابلس وهو أيضا من المماليك الناصرية فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وأرسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانه كانت اطماعه قد قويت فى أخذ ماردين وقد عجز من بها عن حفظها وانه يأخذها والذى يريدونه لا يفوته وأما الافضل فانه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاول وسمع بهرب جهاركس فاهمه ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الا بعدا ولحق بهم جماعة من الناصرية أيضا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة وأيبك فطيس والبكى الفارس وكل هؤلاء بطل مشهور ومقدم مذكور سوى من ليس مثلهم فى التقدم وعلو القدر وأقام الافضل بالقاهرة وأصلح الامور وقرر القواعد والمرجع فى جميع

فلما رد القهقرى ونقض عما صحبه عثر على تصانيف الباطنيه * وأغاليط فى الشريعة الحنيفيه * أصح منها فى الاسماع خباط المجانين * ووسواس المبرسمين * لا تؤخذ فى محصول * ولا توجد فى معقول ومنقول * وناظره الاستاذ أبو بكر على أمور من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد لها على نار الامتحان ثبات * ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات * وما زال يضرب اخماسا فى أسداس الى أن تبين له انه أخطأ فى تحمل تلك الرساله * وحرم التوفيق فى تقلد تلك السفاره * وقضى الله أن اشخص الى حضرة السلطان فلما احضر مجلس حفلة وقد غص بأعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها * وفقهائها وزعمائها * وهناك الحسن ابن طاهر بن مسلم العلوى ومن قصته أن جده مسلما لم يكن فى الطالبية من أولاد الحسين الاصغر رضى الله عنهم بناحية مصر أنبه

الامور الى سيف الدين يازكج

(ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها)

لما ملك الملك الافضل مصر واستقر بها ومعه ابن أخيه الملك العزيز اسم الملك المنصور واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ورسول ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها ودلالة المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق وأقام بظاهر القاهرة الى سلخ جمادى الآخرة ثم رحل منه وتعوق في مسيره ولو بادر وعجل المسير الى دمشق لملكه لكنه تأخر ووصل الى دمشق بالعشر من شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد أرسل اليه نوابه بدمشق يعرفونه قصد الافضل اليهم فسار وخلف ولده الكامل محمدا في جميع العساكر على حصار ماردين وسار جريدة فجد في السير وسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومين وأما الافضل فانه تقدم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعض طائفة يسيرة من عسكره الى دمشق من باب السلامة وشهد حولهم ان يومهم أحاد من يوم ثم شاوره الملك احضروا الامير مجد الدين أخا الفقيه عيسى الهكاري وقصد وا معه في أن يقصد هو والعسكر باب السلامة ليعضدهم فأراد مجد الدين أن يختص بفتح الباب وحده ولم يعلم الافضل ولا أحد معه أحدا من الامرا بل سار وحده بعسكره ومعه نفر يسير من أصحابه ففتح له الباب فدخل هو ومن معه فلما رآهم عامة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم من به من الجند ونزلوا من الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم ويخلد وأما الذين دخلوا البلد فانهم وصلوا الى باب البريد فلما رأى عسكر العادل بدمشق قلة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم وأخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمه بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من أبواب القلعة فقدر الله تعالى أن أشير على الافضل بالانتقال الى الميدان القبلي فعمل ذلك فقرب من دمشق من قبله وضعف نفوس العسكر المصري ثم ان الامرا الاكراد منهم صالقوا فصاروا واحدا واحدا يصيرون لعسكر أحدهم ويرضون بالرضا أحدهم نظير الافضل وباقي الاسدية أنهم نقلوا ما عنده بينهم وبين المصريين فرحلوا من موضعهم ثم وصل وافى العسكر بن من شعبان ووصل أسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثاني عشر شهر رمضان وأرادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرا بأخيه وحسدا له ولم يصبر أخوه الافضل فمات وأما الملك العادل فانه لما رأى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فأرسل الى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فساروا مع شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسير أسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامراء الخطر بهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم فخاب أولئك ودخلوا دمشق سلخ رمضان فقوي العادل بهم قوة عظيمة فأيس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق في شوال فكبسوا العسكر المصري فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين وأقام العسكر على

وارحمه منه ولا أعز ولا أذل منه فلما استقر عند أبو غانم المذكور بحلب اليه مصر ساقه الى ولده أبي منصور والملك فأمر ومعه دلالة على ما قيل انه وجد في داره رقعة بها ان كنت من آل أبي طالب فاعطف اليه مرة طاهر قال وأما اليوم كسوا لهم في أيام الامر وفي الظاهر فأمر من سنة جرى به بعض من بها النظر فالآخر فتسنم الشاعر الى أيام الدولة بالعسكر لان كونها حول رمضان وهي أم محمد بن عبد الله بن عون فاعمل مسلم عليه بأن لا واحد قمر بتاته الاولى في سماله وله معه تفاوتا من أحبابه وتجارته مصاهرته فلما عرف استاعه دخلا فيمنعه ورفعا عنه دونه ووقع عليه الاستقصاء عنه أن أودعه الملك سنين وحطه حط العصا وروي السلام وأنه من قصاص العوني علامة العلم والمنفس بعد على يده تعالى

دمشق ما بين قوة وضعف واقتصار وتخاذل حتى أرسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره إن شاء الله تعالى وهو بحران فاستدعاه إليه بعسكره فسار على طريق البر فدخل إلى دمشق ثاني عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق إلى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقر أن يقيموا بحوران حتى يخرج الشتاء فرحلوا إلى رأس الماء وهو موضع شديد البرد فتغير العزم عن المقام واتفقوا على أن يعود كل منهم إلى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب وأسد الدين صاحب حمص إلى بلادهما وعاد الأفضل إلى مصر فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد﴾

في هذه السنة ثامن عشر ربيع الآخر وقيل جمادى الأولى توفي أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والأندلس بمدينة سلا وكان قد سار إليها من مراكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسماها المهدية من أحسن البلاد وأنزهها فسار إليها يشاهدها فتوفي بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدو ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك فعظم أمر الظاهرية في أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسوبون إلى ابن محمد بن حزم رئيس الظاهرية إلا أنهم مغمورون بالمالكية ففي أيامه ظهروا وانتشروا ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال إليهم

﴿ذكر عصيان أهل المهدية على يعقوب وطاعتهم لولده محمد﴾

كان أبو يوسف يعقوب صاحب المغرب لما عاد من أفريقية كما ذكرناه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة استعمل أبا سعيد عثمان وأبا علي يونس بن عمر اينتي وهما أبوهما من أعيان الدولة فولى عثمان مدينة تونس وولى أخاه المهدية وجعل قائد الجيش بالمهدية محمد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور وعظمت نكايته في العرب فلم يبق منهم إلا من يخافه فاتفق أنه أتاه الخبر بأن طائفة من عوف نازلين بمكان فخرج إليهم وعدل عنهم حتى جازهم ثم أقبل عائدا يطلبهم وأتاهم الخبر بخروجه إليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم أمامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فأخذ الجميع ورجع إلى المهدية وسلم العيال إلى الوالي وأخذ من الأسلاب والغنيمة ما شاء وسلم الباقي إلى الوالي وإلى الجند ثم إن العرب من بني عوف قصدوا أبا سعيد بن عمر اينتي فوحدوا وصاروا من حزب الموحدين واستجاروا به في رد عيالهم وأموالهم فأحضر محمد بن عبد الكريم وأمره بإعادة ما أخذه من النعم فقال أخذه الجند ولا أقدر على رده فأغلظ له في القول وأراد أن يبطش به فاستمهله إلى أن يرجع إلى المهدية ويسترد من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فأمهله فعاد إلى المهدية وهو خائف فلما وصلها جمع أصحابه وأعلمهم ما كان من أبي سعيد وحالفهم على موافقته فحلفوا له فقبض على أبي علي يونس وتغلب على المهدية وملكها فأرسل إليه أبو سعيد في معنى إطلاق أخيه يونس فأطلقه على اثني عشر ألف دينار فلما أرسلها إليه أبو سعيد فرقها في الجند وأطلق يونس وجمع أبو سعيد العساكر وأراد قصده ومحاصرته فأرسل محمد بن عبد الكريم إلى علي بن إسحاق الملثم فخالفه واعتضد به

قوم غيب عن محاسنه فلا يدري كيف صار أمره * وأين وضع قبره * وزعم آخرون أنه هرب من الحبس على طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك لجأ طاهر والد الحسن المذكور إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم متأمرا على أهلها ومعه ابن عمه يعرف بأبي علي بن طاهر ختنه على أخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث أبو علي المذكور مكانه من الإمارة إلى أن لحق به وورثه ولداه * هاني ومهني دون الحسن لاستصغارهما إياه * وتقويمهما بالحال والمال عليه فرحل نحو خراسان ملتجئا إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة * سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فأوردته الشاهرتي بزعمه رسولا لأصغر الحسن شأنه * ووضع فيه لسانه * وأبى أن يكون له ثبات على دوحة الرسالة * وانتساب إلى نبعة النبوة * وادّعى عليه الكذب وتحمل الزور والتقول وعزاه إلى فساد الدين * واستحقاقه ضرب

فاسمع أبو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمد فسير عسكرا مع عمه في البحر وعسكرا
آخر في البر مع ابن عمه الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن فلما وصل عسكر البحر الى بجاية
وعسكر البر الى قسنطينة الهوى هرب الملثم ومن معه من العرب من بلاد افريقية الى
الصحراء ووصل الاسطول الى المهدية فسكنها محمد بن عبد الكريم مالي من أبي سعيد وقال
انا على طاعة أمير المؤمنين محمد ولا أسلمها الى أبي سعيد وانما أسلمها الى من يرسله أمير المؤمنين
فارسل محمد من يتسلمها منه وعاد الى الطاعة

(ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين)

في حادي عشر شوال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل
وسبب ذلك أن الملك العادل لما حصر ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من
ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها الا يبقى عليهم الا ان العجز منعه حملهم على طاعته
فلما توفي العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كاتبوه كرها وفيه وهن العادل استنجد
فارسل أحد عسكر مصر من عنده وأرسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك
يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلما رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كان ولده
نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل منها ثاني شعبان وسار الى
دنيسر فنزل عليها وواصله ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود صاحب سنجار وابن عمه
الآخر معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم بدنيسر الى ان صاموا
عيد الفطر فساروا عنها سادس شوال ونزلوا حرزم وتقدم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا
موضعا للنزول وكان أهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتى
ان كثيرا منهم كان لا يطيق القيام فلما رأى النظام وهو الحاكم في دولة صاحبها ذلك أرسل الى
ابن العادل في تسليم القلعة اليه الى أجل معلوم ذكره على شرط ان يترك من يحمل اليهم من الميرة
ما يقوتهم حسب فاجابهم الى ذلك وحلفوا عليه ورفعوا أعلامهم الى رأس القلعة وجعل ولد
العادل بباب القلعة أميرا لا يترك يدخلها من الاطعمة الا ما يكفيهم يوما بيوم فأعطى من
بالقلعة ذلك الامير شيئا حتى مكنهم من ادخال الذخائر الكثيرة فبينما هم كذلك اذ أتاهم خبر وصول
نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلما تقدم عسكر نور الدين
نحو ماردين قدر الله تعالى ان الملك الكامل بن العادل نزل بعسكره من ربض ماردين الى لقاء
نور الدين وقتاله ولو أقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا
ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما أحضروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتفاق ان
قطب الدين صاحب سنجار كان قد واعد العسكر العادلي أن ينهزم اذا التقوا ولم يعلم بذلك
أحد من العسكر فقدر الله تعالى انه لما نزل العسكر العادلي واصطف العساكر للقتال لم يأت
قطب الدين العسكر وبعد الى أن وقف في سفح جبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلي
ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين فاته ما أراده من الانهزام فلما التقى العسكران
واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس أنفسهم بين يديه فانهزم
العسكر العادلي وصعدوا في الجبل الى الربض وأسر منهم كثير فحملوا الى بين يدي نور الدين

الوزير • على السلطان
فيه وبين ما سمعه منه
ورتبه • تمام الحمد •
تسربه عرقته قدم وزيره •
وقد كان القادر بالله أمير
المؤمنين القائم كتب الى
السلطان يمين الدولة بما رأى
السعي من شر الرسول
ما يقتضيه الدين من التعلق
عليه وعدم الصدق في
الانتصاف للاسلام والمسلمين
منه فلما سمع أمره بما تقدم
دعت عسكره أيدي الى تخلص
السلامة صورة الحال •
وكم السعي أفواه العدالة •
فعوبل من العزول معتما •
وجرى الخبر على ما أنا
ووجاه • فكان مثل
التاهوق كالكل
و ويسرب السم الزعاف فانه
معتور بأنياب المنايا النواهس
• (ذكر الأمير أبي العباس
مأمون بن مأمون خوارزم
شاه وما جرى من أمره الى أن
ورث السلطان مملكته) •
قد كان أبو الحسن علي بن
مأمون ... مأمونا
مملكته وقد كان استضاف
خوارزم الى الجرجانية
خطب الى السلطان يمين

فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظن ان الملك الكامل ومن معه يرحلون عن ماردين سريعا لخاهم أمر لم يكن فى الحساب فان الملك الكامل لما صعد الى الربض رأى أهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجمع فاجتمع رأيهم على مفارقة الربض ليلا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوال وتركوا كثيرا من أثقالهم ورحالهم وما أعدوه فاخذه أهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلى بمكانه لم يمكن أحدا أن يقرب منهم ولما رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى الى نور الدين ثم عاد الى حصنه وعاد أتابك الى دنيسر ورحل عنها الى رأس عين على عزم قصد حران وحصرها فاتاه رسول من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكة وغير ذلك فتغيرت نية نور الدين وفتر عزمه عن حصرها فعزم على العود الى الموصل فهو يقدم الى العود رجلا ويؤخر أخرى اذ أصابه مرض فحقق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وأرسل رسولا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانه كان هو وكل من عنده ينتظرون ما يجى من أخباره فان من بحران استسلموا فقدر الله تعالى انه عاد فلما عاد جاء الملك الكامل الى حران وكان قد سار عن ماردين الى ميافارقين فلما رجع نور الدين سار الكامل الى حران وسار الى أبيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوة والافضل ومن معه ضعفا

(ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان)

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازى الامام المشهور الفقيه الشافعى كان قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام صاحب باميان وهو ابن أخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة وأما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق أن حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ فى أذاه وابن القدوة لا يزيد على أن يقول لا يفعل مولانا الا واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضياء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه وبكى وضج

الدولة احدى أخواته * تقوية لمدة الحال * وتسدية للحمة الوصال * فأوجب اسعافه بما استدعاه * استكفاء اياه * وتوخيا لرضاه * وزف اليه من خطبه * ووصل بأسبابه سببه * ودر التهادى بينهما حتى صارت الدار واحده * والاسرار لغير الاخلاص جاحده * وغبرت الحال على جملتها فى الانشاج والامتزاج * الى أن قضى خوارزمشاه نحبه * ولقى بانقراض الاجل ربه * وورث أبو العباس مأمون ابن مأمون مكان أخيه * وولى ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله أن يعقد له على شقيقته عقده على أخيه من قبل فهو تاليه فى الطاعة بل أتم اخلاصا * وثانيه فى القربة بل أشد اختصاصا * فشفع السلطان فيه داعى الكفاءه * واستجد للحال رونق الطراءه * وعقد له عليها عقدا خلطه فيه بنفسه * وفرغ له فريقا من قلبه وخلده * وما زال الامر بينهما على جملة

الناس ونكى الكرامة واسفاوا واعامهم من بور بعد التميم الرازى عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون وجرى مالهم لمسه على كثير فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الغمرى من عندهم وسكت الساعد الى عود الى هراتعاد اليها

(ذكر مسير خوارزم شاه الى الرى)

في هذه السنة في ربيع الاول سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرى وغيرها من بلاد الجبل لانه بلغه أن نائبه بها منكلى قد تغير عن طاعته فسار اليها مسارعا فجعل من بين يديه وخوارزم شاه في طلبه يدعوه الى الحضور ويعده وهو يمتنع فانهزم أكثر أصحابه الى خوارزم شاه وهو يحاول فصل بغلبه من أعمال همذان فامتنع بها فسارت العساكر في طلبه فأخذتها وأحضر بين يدي خوارزم شاه فأمر بقتله فعاد نقطعه أصبهانه وسرب الخلع من الملك خوارزم شاه ولولده قطب الدين محمد وفعلهما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فامتنع قلعة على باب قزوين تسمى ارسلان كشاه وانتقل الى حصار ألموت فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى وكان قد تقدم عنده تقدما عظيما قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين فأمر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش وهي من قلاعهم فحصرها فأذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة ألف دينار فقاربها واعادها لهم لانه بلغه مرض أبيه وكانوا ارسلوا اليه بالصلح فلا حصل الطامع عرض أبيه لم يرحل حتى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة في ربيع الاول توفي شهاب الدين قايماز رحمه الله قلعة الموصل وهو الحاكم في دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولى اربل سنة سبع وخمسين وخمسمائة للملك زين الدين على كوجك سنة ثلاث وستين هو الحاكم فيها وجميع بيعيته من أولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلا أديبا خيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة ويحفظ من التواريخ والاشعار والحكايات شيئا كثيرا وكان كثير الصوم يصوم من كل سنة نحو اربعة اشهر وله أوراد كثيرة يصليها كل ليلة ويكثر الصدقة وكانت له فراسة حسنة فمن يستحق الصدقة يعرف الفقير المستحق ويرحمهم ومن عمارته الجامع منها الجامع الذى بظاهر الموصل بباب الجسر ومن الربط والمدارس والخانات فى الطرق وأمثاله المعروف بي كثير رحمه الله ولقد كان من محاسن الدنيا وفيها توفي غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية وصار شافعى المذهب وكان سبب ذلك أنه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا في كثير من العلوم فوصل الى غياث الدين الشيخ وحيد الدين أبا الفتح محمد بن محمود المروروذى الفقيه الشافعي فأوضح له مذهب الشافعى وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم أيضا وأكثر مراعاتهم فسعى الكرامية في اذى

الاسرائيلية والاشتمال الى أن دعا السلطان داعى الاسباب الى سرمه * اقامه الطلعة امره * وأمهل رسولا يتصرم العمل ما تقتضيه ظاهر حكمه * فصلاف منصرفا على الاماه * وانصرافا على الطلعة * غير أنه عرض المال عنه على من حوله من أعيان أسامه وأتباعه فاظهروا انكاره وأصروا واستكبروا استكبارا وقالوا لئن اسلفت وأطوا على مامل الى الملك من الاسراليه وأما اذا وضعت حمل الطاعة ومضاء السيوف على العراق سلطانك وملكا عليك وجهادا مثل معاد الرسول الى السلطان عارا عاماه وعده نصا ومددوا ما * واحسن القوم تصميمهم * من ورا بيرامهم * على ولى نعمتهم * بالقول القطيع * والرد بالتشنيع * ورعمهم في الامر يوصد بالتكبر الصارى صاحب الجيش فأرسوا سمه * وتوامروا على التشنيع * وماراوا في

وجيـه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك وقيل ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا
خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلاد يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأى ان
تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفيا والله أعلم وفي هذه السنة
توفي أبو القاسم يحيى بن علي بن فضلان الفقيه الشافعي وكان اماما فاضلا ودرس ببغداد وكان
من أعيان أصحاب محمد بن يحيى النيسابوري

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك العادل الديار المصرية)

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى
رأس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلما أقاموا برأس الماء وجد العسكر
بردا شديدا لان البرد في ذلك المكان في الصيف موجود فكيف في الشتاء فتغير العزم على المقام
واتفقوا على ان يعود كل انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرقوا تاسع ربيع
الاول فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فأقام
بها ووصلته الاخبار بأن عمه الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك
الناصرية وقد حلفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبر للملك الى ان
يكبر فساروا على هذا وكان عسكر مصر قد تفرق عن الافضل من الخشبي فسار كل منهم الى
اقطاعه ليربعوا دوابهم فرام الافضل جمعهم من أطراف البلاد فأعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع
منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه ووصل العادل وأشار بعض الناس على الافضل ان
يخرب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة وأشار غيرهم بالتقدم الى أطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن
بلبيس ونزل موضعا يقال له السائح في طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الآخر
فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفي تلك الليلة توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على
البيساني كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه وسار العادل فنزل
على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى منهم تخاذلا
فأرسل رسولا الى عمه في الصلح وتسليم البلاد اليه وأخذ العوض عنها فطلب دمشق فلم يجبه
العادل فنزل عنها الى حران والرها فلم يجبه فنزل الى ميافارقين وحاني وجبل جور وأجابه الى ذلك
وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر واجتمع بالعادل
وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ولما وصل
الافضل الى صرخد أرسل من تسلم ميافارقين وحاني وجبل جور فامتنع نجم الدين أيوب بن
الملك العادل من تسليم ميافارقين وسلم ماعداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل في ذلك
والعادل يزعم ان ابنه عصاه فامسك عن المراسلة في ذلك لعلمه ان هذا فعل بأمر العادل ولما
ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز في شوال من السنة وخطب
لنفسه وحاقق الجند في اقطاعاتهم واعترضهم في أصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرر فتغيرت
لذلك نياتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شاء الله

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

التدبير عليه * الى ان دخلوا
ذات يوم اليه * على رسم
السلام * فاذا هو صريع
كأس الحمام * لايدرى كيف
قتل * ومن اى وجه اليه
قد وصل * فبادروا الى
العقد لاحد اولاده *
وبسطوا ايدى الاصفاق
على بيعته وعلموا ان
السلطان يتمعض للحادثة
ويقصد قصد الانتصاف
للوارثه * فصالقوا على
مقارعته ان غزاهم في عقر
دارهم * وجزاهم على
مسخوط آثارهم * ولما
انتهى الى السلطان خبر
صنيعهم بولى نعمتهم وهو
قسيم شقيقته * وحامى
حقيقته * أرجفته قوة
الحفاظ للانتقام من أولئك
الغدرة الفجرة * والمرقة
الفسقة * فجاش لما اضتهم
على جبهة مسجوره * وحفيظة
على انبعاث الله مقصوره *
وكانت سعادة أيامه قد
اقتضت أولئك العتاة البغاة
ما أتوه استحقاقا للنقمة *
وبراءة من العصمة * وتمهيدا
لعذره قربا وبعدا في
استخلاص مملكة كانت

في هذه السنة في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن ارسلان صاحب خوارزم
وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان
قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطباء بترك الحركة فامتنع
وسار فلما بلغ شهرستانة اشتد مرضه ومات ولما اشتد مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمد
يستدعونه وهو ولي عهد ابيه فسار اليهم وقد مات أبوه فولي الملك بعده ولقب علاء
الدين لقب أبيه وكان لقبه قطب الدين وأمر بحمل أبيه ودفن بخوارزم في تربة عملها في مدرسة
بناها كبيرة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة حسنة ويعرف الفقه على مذهب أبي
حنيفة ويعرف الاصول وكان ولده علي شاه باصفهان فارسل اليه أخوه خوارزم شاه محمد
يستدعيه فسار اليه فنهب أهل اصفهان خزانته ورحله فلما وصل الى أخيه ولاه حرب خراسان
ولتقدم على جنده وسلم اليه نيسابور وكان هندوخان ابن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش قد خاف
عمه فهرب منه ونهب كثيرا من خزائن جده بشهرستانة وسار الى مرو فلما
سمع غياث الدين ملك الغورية موت خوارزم شاه أمر ان لا تضرب النوبة ثلاثة أيام وجلس للعزا
على ما بينهما من العداوة والمحاربة ففعل ذلك عقلا منه ومروءة ثم ان هندوخان جمع جمعا كثيرا
بخراسان فسير اليه عمه خوارزم شاه جيشا مقدمهم جغر التركي فلما سمع هندوخان بمسيرهم
هرب من خراسان وسار الى غياث الدين يستنصره على عمه فأكرم لقياه ورأى أهلا للطمع ووعده
النصر وأقام جغر بنيسابور [illegible] وأولاده فاستظهر عليهم وأعلم
صاحبه فأمر بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلما سمع غياث الدين ذلك أرسل الى محمد بن جربك
صاحب الطالقان يأمره ان يرسل الى جغر يتهدده ففعل وسار من الطالقان فأخذ مرو الرود
وانتهب قرى ويسمى بالفارسية [illegible] وأرسل الى جغر يأمره بالخطبة لغياث الدين
أو مفارقة البلاد فأعاد الجواب [illegible] وكتب اليه سرا انه يأخذ له
أمانا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين بذلك فلم يقرأ كتابه وعلم ان
خوارزم شاه ليس له قوة فلهذا طلب جغر الامان اليه فقوي طمعه في البلاد وكتب الى أخيه
شهاب الدين يأمره بالخروج الى خراسان ليملكها قبل ان يملكها خوارزم شاه محمد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة وثب الملاحدة الاسماعيلية على نظام الملك مسعود بن علي وزير
خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحا كثير الخير حسن السيرة شافعي المذهب بنى للشافعية
جامعا [illegible] على جامع الحنفية [illegible] شيخ الاسلام وهو مقدم الحنفية بها [illegible] والرياسة
وجمع الاوباش فأحرقوا [illegible] خوارزم شاه [illegible] شيخ الاسلام وجماعة [illegible] في ذلك
فأغرمهم مالا كثيرا وبنى الوزير بها مدرسة عظيمة بخوارزم وجامعا وجعل فيها خزانة كتب
وله آثار حسنة بخراسان باقية ولما قتل [illegible] خوارزم شاه [illegible]
أبيه [illegible] عليه ان يستوزر فأرسل يقول اني صبي لا أصلح لهذا المنصب الجليل فيولي السلطان
فيه من يصلح له الى ان أكبر فان صلحت أصلح ما أما الملوك [illegible] خوارزم شاه ولسنا نعمل
ولا نورك فكن ملازما في الامور فانه لا يقف على ما في نفس الناس هذا ثم ان الصبي

الى عرفاته باربعة ولباب
الإقبال بدون سابعة
فارعم و ومن الطائل
كالطائل سائر . والصدر
واحره حتى اباح حرمهم
مستعينا بالله على قتالهم .
واستنزالهم الى ساحل
آثامهم . وسار وصاحب
الملس المرار بن عامه
قراده فركبه على طلائع
السلطان يساما بعضهم
بأسنان المعتبين ان لم يسلموه
لقسر جوالتديد . وطار
قصب جواد الفسل حتى
انتصر على أبي عبد الله محمد
ابن ابراهيم الطائي وهو
طليعة السلطان في كماة العرب
حتى أنعس الكرى رؤسهم .
وبقل برد الصباح عزمهم .
واختلط النقع بالنقع
منطلقات وقف المواصل .
وطعنا بالرماح الدوابل .
فطار الخبر الى السلطان
فركض [illegible]
الى معترك الحرب وسب
العساكر الخوارزمية من
لدن طلوع الشمس الى أن
حمي وطيس النهار ساهدين
في القراع . وشاهدين دون
المساكن والرباع . ويطون

لم تطل أيامه فتوفى قبل خوارزم شاه بيسير وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى شيخنا ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحرانى المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح السماع وفى ربيع الآخر منها توفى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب لم يكن فى زمانه أحسن كتابة منه ودفن بظاهر مصر بالقرافة وكان دينا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الاسارى وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان صلاح الدين يعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها)

قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وانه لما فعل ذلك لم يرضه الامراء المصريون وخبثت نياتهم فى طاعته فراسلوا اخويه الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فقويت البلاد وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك ان النيل لم يزد بمصر الزيادة التى تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلاء فضعفت قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية لحصار بانياس ليأخذها لنفسه بأمر العادل وكانت لامير كبير تركى اسمه بشارة قد اتهمه العادل فأمر جهاركس بذلك وكان أمير من أمراء العادل يعرف بعز الدين أسامة قد حج هذه السنة فلما عاد مر الحج وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه وأكرمه ودعاه الى نفسه فأجابه وحلف له وعرّفه الافضل حقيقة الحال وكان أسامة من بطانة العادل وانما حلف لينكشف له الامر فلما فارق الافضل أرسل الى العادل وهو بمصر يعرّفه الخبر جميعه فأرسل الى ولده الذى بدمشق يأمره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جركس وميمون القصرى صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يأمرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل وسمع الافضل الخبر وسار الى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد أرسل أميرا كبيرا من أمرائه الى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وأمره بأن يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فملكها السادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلمها سلخ رجب وأما الملك المعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانه سار الى بصرى وارسل الى جهاركس ومن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلما طال مقامه على بصرى عاد الى دمشق وارسل الامير أسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتفق انه جرى بينه وبين البكاء الفارس بعض المماليك الكبار الناصرية منافرة أغلظ له البكاء القول وتعدى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على أسامة فاستذم بميمون فأمنه وأعاده الى دمشق واجتمعوا كلهم عند الملك الظاهر خضر

أن يظفروا وقد غدروا عن رباهم فى حجور الانعام* وأرواهم من ثدى الاكرام* هيهات ان الغدر قلادة منظومة أحد طرفيها عاجل العار* وثانيه آجل النار* ولم تشرق الشمس على التكسيد حتى أضحت الحمول ثم الفيول رجالا* حكوا جمالا * قد قصفت أصلابهم* وانتهبت أسلابهم* وفلقت بالسيوف هامهم* ووضعت بها أجسامهم* وانهزم الباقون فى غمر العباس على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم* تخطب أرواحهم حتى اذا واقعتها خاتها الطلاق صداقا واستأسر زهاء خمسة آلاف حقن الله دماءهم عبرة للنظار* وعظة لامثالهم من الغدرة الفجار* وركب الخطارى ظهر الماء مولا الى الهرب ومقدرا خلاصه من العطب* ولم يدر أن فعله السوء يجزيه* واقدامه على ولى نعمته يرديه* وان سافر الشر لاخيه* ساقط لا محالة فيه* وجرت فى

ابن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وارسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثونهما على الوصول
اليهم والملك الظاهر يتربص ويتوقف فوصل من منبج الى حماة فى عشرين يوما وأقام على حماة
عشرة ايام فهادنه صاحبها ناصر الدين محمد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصطلحا وحمل له
ابن تقى الدين ثلاثين ألف دينار صورية وساروا عنها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق
بعلبك فنزلوا عليها عند مسجد القدم فلما نزلوا على دمشق أتاهم المماليك الناصرية مع الملك
الظاهر خضر بن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرت بين الظاهر وأخيه الافضل انهم اذا
ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلم الظاهر دمشق فيبقى
الشام جميعه ويبقى مصر للافضل وسلم الافضل صرخد الى زين الدين قراجه مملوك والده ليحضر
فى خدمته وانزل والدته وأهله منها وسيرهم الى حمص فأقاموا عند أسد الدين شيركوه صاحبها
وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل على مدينة نابلس وسير جماعة من العسكر الى
دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحصر فخر الدين جهاركس وغيره من
الناصرية فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل ورحلوا الى دمشق وقاتلوه فلما كان رابع عشر
ذى القعدة اشتد القتال عليها فانتهى الرجال الى السور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع
فى أخذها وزحفوا اليها مرة ثانية وثالثة فلم يبق الا ملكها الا ان العسكر صعد الى سطح خان ابن
المقدم وهو ملاصق السور فلولا ادركهم الليل لملكوا البلد فلما أدركهم الليل وهم عازمون على
الزحف بكرة وليس لهم من البلد مانع حسد الظاهر أخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون
دمشق لى وبيدى ويسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمت ان والدتى واهلى وهم
أهلك أيضا على الارض ليس لهم موضع يأوون اليه فاحسب ان هذا البلد لك تعيرنا اياه ليسكنه
أهلى هذه المدة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر الى ذلك ولج فلما رأى الافضل ذلك الحال قال
للناصرية وكل من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الىّ فقد اذنت لكم فى العود الى العادل وان
كنتم جئتم الى أخى الظاهر فانتم وهو أخبر وكان الناس كلهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد
سواك والعادل أحب الينا من أخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين
قراجه الذى أعطاه الافضل صرخد فمنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ
الامر عليهم عادوا الى عقد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون
للظاهر منبج وافاميه وكفرطاب وقرى معينة من المعرة ويكون للافضل سميساط وسروج
ورأس عين وجملين ورحلوا عن دمشق أول المحرم سنة ست وتسعين فقصد الافضل حمص فأقام
بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرم وسار الافضل اليه من حمص
فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها الى بلاده سميساط فتسلمها وتسلم باقى
ما استقر له رأس عين وسروج وغيرها

(ذكر ملك غياث الدين وأخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان)

لما ذكرنا مسير محمد بن حرمل من الطالقان واستيلاءه على مرو وغيرها وسير الخطا التركى الى
علاء الدين محمد خوارزم شاه عن وأن يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولما وصل كتاب ابن
حرمل الى غياث الدين بمعنى حصر علم ان هذا اعادة الى الاحتماء اليهم فسير صاحبه

وبها

الزرزورية وبين بعض
أمرائه مسايرة حملته على
الاستهانة به وحب
الصلاح على استعمال
العسكر وحبه الزرزور
فلم يسب الامراء حتى
حصل بيد السلطان
أمراء وأحضر السلطان
مطلبه فى سائر البلاد
المأمورين بأنه والمهم
من استحلالهم دم صاحبهم
من غير داعية واجترائهم
عليه من غير ما جناية
فرد جواب المستقل
المستقل وأما السالكون
معه فى أيديهم لا يدرون
ما يدبرون ويلتمسه
علان وأربع سماته وأمر
السلطان بضرب الاعواد
والجذوع بضعة عشرة
فأسهم الى العملس
مأمورين بأمور خوارزم
شا وصلبهم أجمعين عليها
مع عدة من أتباعهم والذين
وعدهم فعلا كثير من
قصد السبيل وأمر بالكتابة
على جدران تلك المقبرة
بأن هذا المرملان من علاء
نبى عليه سيفه واجترأ
على دم سيده فبئس

فارسل الى أخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة فى عساكره وجنوده وعدته
وما يحتاج اليه وكان بهراة الامير عمر بن محمد المرغنى نائبا عن غياث الدين وكان يكره خروج
غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره فأشار بالكف عن قصدها وترك
المسير اليها فانكر عليه ذلك وأراد ابعاده عنه ثم تركه ووصل شهاب الدين فى عساكره وعساكر
سجستان وغيرها فى جمادى الاولى من هذه السنة فلما وصلوا الى ميمنة وهى قرية بين الطالقان
وكرزبان وصل الى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلمها اليه فاستأذن أخاه غياث
الدين فأذن له فسار اليها فخرج أهلها مع العسكر الخوارزمى وقاتلوه فأمر أصحابه بالحملة عليهم
والجد فى قتالهم فحملوا عليهم فأدخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب أهل
البلد الامان فأمنهم وكف الناس عن التعرض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل
ثم حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فأخذ جقر وسيره الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان
ابن ملك شاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمه خوارزم شاه محمد بن تكش الى
غياث الدين ووصاه بالاحسان الى أهلها ثم سار غياث الدين الى مدينة سرخس فأخذها صلحا
وسلمها الى الامير زنكى بن مسعود وهو من أولاد عمه واقطعه معها نسا وابيورد ثم سار بالعساكر
الى طوس فأراد الامير الذى بها أن يمتنع فيها ولا يسلمها فأغلق باب البلد ثلاثة أيام فبلغ الخبز
ثلاثة أمنا بدينار ركنى فضج أهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فأمنه فخرج
اليه فخلع عليه وسيره الى هراة ولما ملكها أرسل الى على شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب
أخيه علاء الدين محمد بنيسابور يأمره بمفارقة البلد ويحذره ان أقام سطوة أخيه شهاب الدين
وكان مع على شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصره وخربوا
ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها أوائل رجب
وتقدم عسكر أخيه شهاب الدين الى القتال فلما رأى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سبقنا
عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع
حتى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغورية فلم يردهم أحد عن السور حتى اصعدوا علم
غياث الدين اليه فلما رأى شهاب الدين علم أخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا بنا هذه
الناحية واصعدوا السور من ههنا وأشار الى مكان فيه فسقط السور منهدما فضج الناس
بالتكبير وذهل الخوارزميون وأهل البلد ودخل الغورية البلد وملكوه عنوة ونهبوه ساعة
من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فأمر بالنداء من نهب مالا أو آذى أحدا فدمه حلال وأعاد
الناس ما نهبوه عن آخره ولقد حدثنى بعض أصدقائنا من التجار وكان بنيسابور فى هذه الحادثة
نهب من متاعى شئ من جملته سكر فلما سمع العسكر النداء ردوا جميع ما أخذوا منى وبقى لى
بساط وشئ من السكر مع جماعة فطلبته منهم فقالوا أما السكر فأكلناه فنسألك أن لا يسمع أحد
وان أردت ثمنه أعطيناك فقلت أنتم فى حل منه ولم يكن البساط مع أولئك قال فمشيت الى باب
البلد مع النظارة فرأيت البساط الذى لى قد ألقى عند باب البلد لم يجسر أحد يأخذه فأخذته
وقلت هذا لى فطلبوا منى من يشهد به فأحضرت من شهد لى وأخذته ثم ان الخوارزميين
تحصنوا بالجامع فأخرجهم أهل البلد فأخذهم الغورية ونهبوا اموالهم وأخذ على شاه بن

الله له يمين الدولة * وأمين
الملة * حتى انتصر له منهم
وصلبهم على الجذوع عبرة
للناظرين * وآية للعالمين *
وأمر من بعد بالاسرى
فوضعت الاغلال فى
أعناقهم يقادون الى غزنة
دار الملك فوجا بعد فوج
حتى اذا حصلوا بها وقد
امتلأت منهم العيون *
وغصت بهم المحابس
والسجون * من عليهم
بالافراج وفرض لهم فى
جملة سائر الحشم والاجناد
ووضعهم مواضع أمثالهم
من ديار الهند يحمون
أقطارها * وينفضون عن
وجوه العيث مناكبها
وأطرارها * وولى خوارزم
حاجبه الكبير التونتاش
فأقام بها قامعا نجوم
الفساد * وفاقئا عيون الغى
والعناد * الى أن نضب
ماؤهم * وأذعن للسلطان
افناؤهم * واستقرت
تلك الاسباب * ودرت
الاحلاب * وذلك تقدير
العزيز العليم

(ذكر فتح مهرة وقنوج)

ولما فرغ السلطان يمين

خوارزم شاه وأحضر غياث الدين واحلافا فأنكر ذلك على من أحضره وعظم الامر عليه
وحضرت دابة كانت لعلي شاه فقال لغياث الدين أهكذا يعمل بأولاد الملوك فقال لا بل هكذا
وأخذ بيده وأقعده معه على السرير وطلب تحته بعض جماعة الامراء الغورية الى هراة
بعد الاستظهار وأحضر غياث الدين ابن عمه وصهره على أخته ضياء الدين محمد بن أبي علي الغوري
وولاه حرب خراسان وجعل اسمه ولقبه علاء الدين وخلع عليه وجوه الغورية ووصل الى هراة
وسلم علي شاه الى أخيه شهاب الدين وأحسن الى أهل هراة وفرق فيهم مالا كثيرا ورحل بعده
شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية قد عسكرها أن أهلها اسماعيلية فأمر بقتل
المقاتلة ونهب الاموال وسبي الذراري وخرب القرية فجعلها خاوية على عروشها وسار الى كاباد
وهي من المدن التي جميع أهلها اسماعيلية فنزل عليها وحصرها فأرسل صاحب قهستان الى
غياث الدين يشكو أخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهد فما الذي بدا منا حتى يحاصر بلدي
واستنكف الاسماعيلية الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان لهم ولحواشيهم فأمنهم
وأخرجهم وملك المدينة وسلمها الى بعض الغورية فأقام بها الصلوات وشعار الاسلام وسار
شهاب الدين فنزل على حصن آخر للاسماعيلية فوصل اليه رسول أخيه غياث الدين فقال
الرسول معي تقدم من السلطان بلا يجري سربان بعد نقضه فقال لا أرحل قال اذن افعل ما أمرني
قال افعل فسل سيفه وقطع أطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدم السلطان فرحل
شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلاد الهند ولم يعبر بعضا لما فعله أخوه معه

•(ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما)•

في هذه السنة أيضا قصد نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك
العادل بالجزيرة حران والرها وكان سبب حركته ان الملك العادل لما ملك مصر على ما ذكرناه قبل
اتفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرهما على ان يكونوا يدا
واحدة متعينين على منع العادل عن قصد أحد منهم فلما قصد حركة الافضل والظاهر ارسلا الى
نور الدين ليقصد البلاد الجزرية فسار من الموصل في شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمه
قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى رأس
العين وكان الزمان قيظا فكثرت الامراض في عسكره وكان بحران والملاحدة ولد العادل ولقبه الملك
الفائز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلما وصل نور الدين الى رأس العين سارت رسل الفائز ومن معه
من أكابر الامراء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بأن الصلح قد تم بين الملك
العادل والملك الظاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض في عسكره فأجاب اليه
وحلف الملك الفائز ومن معه من أكابر الامراء على القاعدة التي استقرت وحلفوا انهم
يحلفون الملك العادل لها فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من
عنده ومن عندهم في طلب اليمين من العادل فأجاب الى ذلك وحلف له واستقرت القاعدة
وأمنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل في ذي القعدة من السنة

•(ذكر ملك شهاب الدين نهرواله)•

لما سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يعبر نهره وقصد بلاد الهند وأرسل مملوكه قطب

الموثقة ومنهم خوارزم
ولقد اتساق كلحدى
أحوالها الى سائر ممالكه
الموصفة ... ولاسيما
الموصفة باتساع عدله
ورعايته • رأى أن يخص
صفته العلم • طالع
الاستقام احمالا تركات
والركب • وتخلل رأى
العروس سواخ القلب •
معتدل الى ... كالسمر بد
حصت لسال • وسارت
معه الاعتدال • فانما
هاجواس المطارف • أو
عواسر المصاحف • أو
عقود القلائد • أو بهود
للمصراب العواتق • مدر
أعاليها • ويروى عملمار
أحق لها • الى أن أذن الله
تعالى في معاودته به
من أسباب الفكر في عروه
عن لقاء المرآن • عا
تسمى بعداقه المنان •
في اطهار دسه المرسوم
بسد السيرة ومولى البدر
والسيرة محمد تاج الامام •
وسراج الظلام • صلى الله
عليه وعلى آله المطهرة البررة
الكرام • على الدين
كله وان معظم موس

الدين ايبك الى نهروالة فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم ومالهم فيه من الدواب وغيرها وتقدم الى نهروالة فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انه لا يقدر على حفظها الا أن يقيم هو فيها او يخليها من أهلها فيتعذر عليه ذلك فان البلد عظيم هو أعظم بلاد الهند وأكثرهم أهلا فصالح صاحبها على مال يؤديه اليه عاجلا وآجلا وأعادها كرها عنها وسلمها الى صاحبها

(ذكر ملك ركن الدين ملطية من أخيه وأرزن الروم)

في هذه السنة في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه فسار اليه وحصره أياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابن محمد بن صلتق وهم بيت قد ملكوا ارزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده وأخذ البلد وكان هذا آخر أهل بيته ملكوا فتبارك الله الحي القيوم الذي لا يزول ملكه أبدا سرمدا

(ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك أخيه محمود)

في هذه السنة توفي قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لاخيه محمود والنفور عنه قد أبعده وأنزله حصن منصور في آخر بلادهم واتخذ مملوكا اسمه اياس وزوجه أخته وأحبه حبا شديدا وجعله ولي عهده فلما توفي ملك بعده عدة أيام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من أمراء الدولة فارسلوا الى أخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك أخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقي مدة محبوسا ثم شفع له صاحب بلاد الروم فأطلق من الحبس وسار الى الروم فصار أميرا من أمراء الدولة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الاقوات حتى أكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير أفني الناس وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فأثرت في الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى وأثرت في الساحل الشامي أثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلاد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بقدر ما يدخل فيها ميل وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لاسيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة وفيها أيضا توفي عيسى بن نصير النميري الشاعر وكان حسن الشعر وله أدب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفي العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد اوله بالالام المشددة وهو العماد

وضرعت خدود ورغمت معاطس وأنوف بعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى أعوان دين الله السائرين تحت رايته * نور هدايته * اذ كانت الهند قد تحيفت من شواها وأطرافها سبيا وانتهابا * وملكت على أربابها سهوبا وشعابا * فلم يبق الا ما أجنه ضمير قشمير * ومن دونها قباب تصم عن كل عزيف وصفير * وتضل بينها وفود الرياح الا بخفير * واتفق أن حشر اليه من أدنى ديار ما وراء النهر الى أقصى حدوده زهاء عشرين ألفا من مطوعة الغزاة وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد * منتدبين في ذات الله للاستشهاد * يخطبون الجنان بصداق الارواح * ويستامون الغفران بحدود الصفاح * فحرك من السلطان نفيرهم * ودمس نفوس المسلمين تكبيرهم * واقتضى رأيه أن يزحف بهم الى قنوج وهي التي أعيت الملوك الماضين غير

الكاتب الاصفهاني كتب لنور الدين محمود بن زنكي ولصلاح الدين يوسف بن أيوب رضي الله
عنهما وكان كاتباً مفلقاً قادراً على القول وفيها خرج عبد الله بن حمزة العلوي المتغلب على جبال
اليمن ونواحيها كثر فيها أتباعه حتى صار معه اثنا عشر ألف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى كثرة وكان قد انضاف اليه
من جند المعز اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن أيوب صاحب اليمن جماعة وأيقنوا
بملك البلاد واقتسموها وراسلهم ابن سيف الاسلام سراً وأعطاهم فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة ليلا
ليتفقوا على رأى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر فاذا نزلت عليهم صاعقة أهلكتهم
جميعهم فأتى الخبر ابن سيف الاسلام في باقى الليلة فلما أصبح سار اليهم مجداً فأوقع بالعسكر الجميع
ولم يلبسوا الجواشن فوافاهم بموضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل أو أكثر من ذلك
وثبت ملكه واستقر أمره وفيها وقع في بني عنزة بأرض الشرا من أطراف اليمن وباء عظيم وكانوا
يسكنون في عشر قرى فوقع الوباء في ثمان قرى فلم يبق منهم أحد وكان الانسان اذا
قرب من تلك القرى يموت ساعته فهجرها الناس وبقيت أموالهم وأنعامهم لا مانع
لها وأما القريتان الاخريان فلم يمت فيهما أحد ولا أحسوا بشئ مما كان فيه أولئك

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)

• (ذكر ملك خوارزم شاه ما كان أخذه الغورية من بلاده) •

قد ذكرنا في سنة سبع وتسعين ملك غياث الدين وأخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمد بن
تكش من خراسان ومرو ونيسابور وغيرها وعودهما عنها بعد أن أقطعا البلاد ومسير شهاب الدين
الى الهند فلما اتصل بخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش عود العساكر الغورية عن خراسان
ودخول شهاب الدين الهند أرسل الى غياث الدين يعاتبه ويقول كنت أعتقد أنك تنتصف لى
بعدائى وأن تنصرنى على الخطا وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذينى
وتأخذ بلادى والذى أريد أن تعيد ما أخذته منى الىّ والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من
الاتراك ان عجزت عن أخذ بلادى فانى أعامل من يملككم منها الاشمال بمثله والذى يجرى
أمر بلادى والاقطاع أنا ساخطه عنكم ومن أخذ بلاد خراسان وغيرها فماطله غياث الدين
في الجواب لهذه الايام بالمراسلات وخرج أخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر وكان غياث
الدين كان عاجزاً مستولياً المرض عليه فلما رأى خوارزم شاه مطل غياث الدين أرسل
الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور ويهدده ان لم
يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرفه ميل أهل البلد الى الخوارزميين فأعاد
غياث الدين جوابه يعده بقرب النصرة والمنع عنه وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن
خوارزم منتصف ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قارب نسا وأبيورد هرب هندوخان
ابن أخى ملكشاه من مرو الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى
نيسابور وبها علاء الدين فحصرها وقاتله قتالا شديداً وطال مقامه عليها وراسل من فيها في تسليم
البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظاراً للمدد من غياث الدين فبقى شهرين فلما طال عليه
الحصار أرسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغورية وأنه لا يتعرض اليهم
بشر ولا يؤذى أحداً فأجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد وأحسن خوارزم شاه

كسا سامعه على ما زعمه
الفرس وهو كبش أقرانه
وملك الأملاك برغمهم في
زمانه وساره ومن حربه
داره الملك وسطه فتوح
مصر بلاده أسير الركاب
القوده والجواثق السوده
بأمصار ربه وساره ونجم
الروم والعراق واستصحب
من جهده أنصاراً من الله
وأعواناً من الله وحالا
تقصر أسباب التنافس بها
الى السعادة والشهادة
وحرصاً على الموعود من
الحسنى وزيادة وعزمات
ميمونة وحلم وسداد
وآراء وبيت حرب وسلامة
سالماً في سالمين وهذه
أوردته فصل أعماق الهامس
الاوصاف وتتسع أطرافها
على الاطراف فمهما تعسر
موارد القول فكشف
كراهل المحول وبدهته
تمثال الصورة فكشف
صحائف الماء والظهور
فعما من الله لي والاه
وعزز روحه في استدامة
رضاه ولم يطأ علكه من
ملك الممالك إلا آثار الرسول
وأصبع الحمد الظاهر

اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى في الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه فأجابه الى ذلك وسار الى هراة وهي اقطاعه ولم يحضر الى غياث الدين تجنيا عليه لتأخر أمداده ولما خرج الغورية من نيسابور استعمل خوارزم شاه الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرائهم زيادة على غيره بالغ في اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استمالته لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ثم سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكي فحصره اربعين يوما وجرى بين الفريقين حروب كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لا سيما الحطب فأرسل زنكي خوارزم شاه يطلب منه ان يتأخر عن باب البلد حتى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له ثم راسله خوارزم شاه في الاجتماع به ليحسن اليه والى من معه فلم يجبه الى ذلك واحتج بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكي فأخذ من الغلات وغيرها التي في المعسكر ما أراد لا سيما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه من كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود احمد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه فلما ابعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من الطالقان وهو من امراء الغورية وارسل الى زنكي امير سرخس يعرفه انه يريد يكبس الخوارزميين لئلا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكي واتى محمد بن جربك وعسكرا الى مرو الروذ واخذ اخراجها وما يجاورها فسير اليهم خوارزم شاه عسكرا مع خاله فلقيهم محمد بن جربك وقاتلهم وحمل بات في يده على صاحب علم الخوارزمية فضربه فقتله والقى علمه وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغورية قتلا واسرا نحو فرسخين وكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك في تسعمائة فارس وغنم جميع معسكرهم فلما سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وارسل الى غياث الدين في الصلح فاجابه عن رسالته مع امير كبير من الغورية يقال له الحسين بن محمد المرغني وهو من قرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه .

●(ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها)●

لما أرسل خوارزم شاه الى غياث الدين في الصلح وأجابه عن رسالته مع الحسين المرغني مغالطا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة فحاصرها فكتب الحسين الى أخيه عمر بن محمد المرغني أمير هراة يخبره بذلك فاستعد للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة ان رجلين أخوين ممن كان يخدم محمدا سلطان شاه اتصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فأكرمهما غياث الدين وأحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجي فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه في البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلم الأمير عمر المرغني أمير البلد مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقة منه بهما وظنا منه انهما عدوا خوارزم شاه تكش وابنه محمد بعده فاتفق ان بعض الخوارزمية أخبر الحسين المرغني عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما هما اللذان يدبران خوارزم شاه ويأمرانه بما يفعل فلم يصدقه وأتاه بخط الامير حاجي فأخذه وأرسله الى أخيه عمر أمير هراة فأخذهما واعتقلهما وأخذ اصحابهما ثم ان ألب غازي وهو ابن اخت غياث الدين جاء في عسكر من الغورية فنزل على

عارضا في الخدمة كنه الاستطاعه • الى أن جاءه جنكي بن سهدي صاحب درب قشمير عالما بأنه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام مقبولا • أو الحسام مقتولا • فاظهر العبودية عن خاطر التوفيق • وضمن الارشاد الى الطريق وجعل يسير أمامه هاديا • ويجزع واديا فواديا • وكلما انتصف الليل آذن بالمسير خفق الطبول • واستوى أولياء الله على الخيول • يجشمون تعب الركض والسلوك • الى أن تجنح الشمس من غد للدلوك • حتى استظهروا ما بجون لعشر بقين من رجب سنة تسع وأربعمائة ومازال يفتتح الصياصي والقلاع مبنية على ربود الجبال • وحروف القلال • بحيث تألم متالع الاعناق • متى شخصت اليها نواظر الاحداق • الى أن شافه قلعة برنة من ولاية هردب وهو أحد الرأيين أعني الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض اطلاعة وهي تموج بأنصار حق الله

حصره رابع من هراة فكان جميع المدة من عسكر خوارزم شاه ثم ان خوارزم شاه سير عسكرا الى
أعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسين بن خرميل فقاتلهم فظفر بهم ولم يفلت منهم أحد
وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة في عسكره فنزل بمارباروز بقاله ويحمى هراة ولم يقدم
على خوارزم شاه لقلة عسكره لأن أكثر عساكره كان مع أخيه بالهند وغزنة فأقام خوارزم شاه
على هراة أربعين يوما وعزم على الرحيل لأنه بلغه انهزام أصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين
وكذلك أسأله قرب البخاري وسمع أيضا بشهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان
وصوله اليها في رجب من هذه السنة فخاف أن يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فأرسل
الى أمير البلد عز الدين مرغني فصالحه على مال يحمله اليه وارتحل عن البلد وأما شهاب الدين فانه لما
وصل الى غزنة بلغه الخبر بقتل خوارزم شاه بخراسان وملكه لها فسار الى خراسان فوصل
الى بلخ ثم سار الى ... ثم الى مرو وسار منها الى حرب خوارزم شاه وكان بالقرب فالتقى أوائل
عسكريهما واقتتلوا قتالا شديدا قتل من الفريقين خلق كثير ثم ان خوارزم شاه ارتحل من
مكانه منهزما وقطع القناطر وقتل الامير صاحب ... ولانه اتهمه بأنه امره عليه
وتوجه شهاب الدين الى طوس فأقام بها ثم عزم على عبور النهر الى خوارزم لحصرها فأتاه
الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فصده ذلك عن ذلك العزم

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة ... مجد الدين أبو علي يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي المدرس بالنظامية ببغداد في
ربيع الاول وفيها توفي ... بالطبعة للمستنصر بأمر الله وكان كثير الميل اليها
والخدمة لها وكان كثير المعروف والاحسان والصدقة وبنى أسواقا في الخطب عند ...
زيد الدولعي خطيب دمشق وكان ... والدولعية قرية من أعمال الموصل

•(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة)•

•(ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها)•

في هذه السنة في المحرم سير الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب دمشق ومصر عسكرا مع ولده
الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وخربوا أعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل
وسنجار وغيرهما ونزلوا حرزم تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعية وهي لصاحب ماردين
يقطعون الميرة عن العسكر العادلي فسار اليهم طائفة من العسكر العادلي فقاتلوا فانهزم
عسكر البارعية وثار التركمان وقطعوا الطريق في تلك النواحي وأكثروا الفساد فصار لا
الطريق الا لجماعة من أرباب السلاح وسار طائفة من العسكر العادلي الى رأس العين
لاصلاح الطرق وكف عادية المفسدين وأقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر
غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب في الصلح بينهم وأرسل الى عمه العادل في ذلك فأجاب
اليه على قاعدة أن يحمل له صاحب ماردين مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار صرف الدينار
احد عشر قيراطا أميريا ويخطب له في بلاده ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره في
خدمته أي وقت طلبه وأخذ الظاهر منها عشرين ألف دينار من النقد المذكور وقرية القرادي من
أعمال سمساط فرحل ولد العادل عن ماردين

سر مقبس عوفها التراثك •
ومن حولها الممالك •
بترك تقدمه • وأسبق
من أن يستباح دمه •
فرأى أن تنفى بالاسلام بأس
الله وقد مهرت حدود •
ولسرب ... العذاب
سوده • ونزل ... عشرة
آلاف ... عن
الاسلام • مسادس عن
ولاة الاسلام • خصى الله
تعالى ... • وأحسن
... اسعادهم واسعاده •
ثم ... الوجيف
... الى قلعه كلمده • وهو
من أعلام السائر •
وأعيان أوائل الاقدمين •
... على الملوك ... أقدس •
وربوا الى العروم ...
أمورس • ... في
الكفر معظم ... ومن
بهمه الملك ... الامر
عن عصم ... •
ولم يقصد أحد الا ارتدعه
مفلولا • وعاد عنده عليه
مغلولا • ... وكثرة
مال • وقوة ... عقده
امال • ورماته ...
... • ...
مطالع الانام ومطالع
الوهن والاسلام مصون •

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشئ من سيرته)

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها وأخفيت وفاته وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة أخيه فسار الى هراة فلما وصل اليها جلس للعزاء بأخيه في رجب وأظهرت وفاته حينئذ وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب بعد موت أبيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرا ولما سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمد بن جربك فسار اليه جماعة من الامراء الخوارزمية فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل وأنفذ الاسرى والرؤس الى هراة فأمر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهز خوارزم شاه جيشا وسيرهم مع برفور التركي الى قتال محمد بن جربك فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالا شديدا قتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغورية ودخل محمد بن جربك مرو في عشرة فرسان وجاء الخوارزميون فحصروه خمسة عشر يوما فضعف عن الحفظ فأرسل في طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه وأخذوا كل ما معه وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقر الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن أخيه ألب غازي وولى الملك علاء الدين محمد بن ابي علي الغوري على مدينة فيروز كوه وجعل اليه حرب خراسان وأمر كل ما يتعلق بالمملكة وأتاه محمود ابن أخيه غياث الدين فولاه مدينة بست واسفرار وتلك الناحية وجعله بمعزل من الملك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد أبيه ولا على غيره من أهله فمن جملة فعله ان غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنية فهويها وتزوجها فلما مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج أختها وأخذ أموالهم واملاكهم وسيرهم الى بلاد الهند فكانوا في أقبح صورة وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها أباها وأمها وأخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها وأما سيرة غياث الدين وأخلاقه فانه كان مظفرا منصورا في حروبه لم تنهزم له راية قط وكان قليل المباشرة للحروب وانما كان له دهاء ومكر وكان جوادا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بني المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبنى الخانكاهات في الطرق واسقط المكوس ولم يتعرض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلم ماله الى اهل بلده من التجار فان لم يجد احدا يسلمه الى القاضي ويختم عليه الى أن يصل من يأخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عم احسانه اهله والفقهاء وأهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كل سنة من خزانته ويفرق الاموال في الفقراء وكان يراعي كل من وصل الى حضرته من العلويين والشعراء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التي بناها ولم يظهر منه تعصب على مذهب ويقول التعصب في المذاهب من الملك قبيح الا انه كان شافعي المذهب فهو يميل الى الشافعية من غير ان يطمعهم في غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم

(ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل)

فلما رأى السلطان قد قصد قصده * وجرد لمجادلته جهده * رتب خيوله وخيوله * وراء غياض لو رميت بافراد الابر * لا نتهت الارض بأوراق الشوك والشجر * وأغرى السلطان به بعض طلائع جيوشه فبادروا اليهم يحرقون تلك الآجام حرق الامشاط منابت الشعور * بل الاشافي محارز السيور * وأعرض للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع أهلها الا البحر الاخضر * والله أكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصلوا بالمنايا مستبسلين * والسيوف تأخذهم من فوق وقدام * وتضعهم ما بين لحوم وعظام * وحلاتهم بينهم اتصل اتصال الكعوب * وضرباتهم تتوالى توالي الغيث المصبوب * غيران الله منزل الحديد * ذي البأس الشديد * هو الذي اذا شاء قطع * واذا شاء نبا وامتنع * كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط القلائد

في هذه السنة أخذ الظاهر غازي قلعة نجم من أخيه الافضل وكانت في جملة ما أخذه من العادل
لما ملكه سميساط وسروج فلما كان هذه السنة أخذ العادل من الافضل سروج وجملين ورأس
العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فأرسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له أنه يسعى
الى عمه العادل في اعادة ما أخذه منه فلم يفعل ثم تردد ما بين يكون الظاهر اليه ولم تزل الرسل تتردد حتى
سلمها اليه في شعبان وطلب منه أن يعوضه قرى أو مالا فلم يفعل وكان هذا من أقبح ما سمع عن
ملوك زمانهم أخذ قليل من مثله مع حسنها وحصانتها وكثرة بلاده هو وعدمها لاخيه وأما
العادل فانه لما أخذ سروج ورأس العين من الافضل أرسل والدته الى عمه لتسأل في ردها فلم
يسمعها وردها خائبة ولعدة وقعة البيت الصلاحي بما فعله أبوهم مع البيت الاتابكي فانه لما
قصد ديار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة أرسل صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين اليه
يسأله أن يعود فلم يسعفهما الى ذلك وردهما خائبتين كما فعل ولما رأى الافضل
عمه وأخاه قد أخذا ما كان بيده أرسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطية
وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وأن يكون في خدمته ويخطب له في بلده ويضرب
السكة باسمه فأجابه ركن الدين الى ذلك وأرسل له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط في
سنة ستمائة وصار في جملته

(ذكر ملك الكرج مدينة دوين)

في هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها وأكثروا
القتل في أهلها وكانت هي وجميع بلاد اذربيجان للأمير أبي بكر بن البهلوان وكان على عادته
مشغولا بالشرب ليلا ونهارا لا يصحو ولا ينظر في أمر مملكته ورعيته وجنده قد ألقى
الجميع عن قلبه وسلك طريق من ليس له علاقة وكان أهل تلك البلاد قد أكثروا الاستغاثة
به واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرة بعد أخرى فكأنهم يخاطبون صخرة صماء فلما
حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين أرسل أهلها جماعة يستغيثون فلم يغثهم وخوفه جماعة
من أمرائه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصغ اليهم فلما طال الأمر على
أهلها ضعفوا وعجزوا وأخذها الكرج عنوة بالسيف وفعلوا ما ذكرناه ثم ان الكرج بعد أن
استقر أمرهم بها أحسنوا الى من بقي من أهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويقيض لثغورهم من
يحفظها ويحميها فقد أشرفت على الهلاك لا سيما هذه الناحية فانا لله وانا اليه راجعون فقد لقي المسلمون
من الكرج ما لا ذاقوه من غيرهم من القتل والسبي والاسر بهذه الحادثة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار الملك العادل محمد ولد العزيز صاحب مصر الى الرها ودخلها لما انقطع
... من مصر ... كما ذكرناه سنة ... ان ... عليه ...
... وسار الى دمشق ثم سار هذه السنة الى الرها فأقام بها ومعه جميع
أخويه وأخواته ووالدته ... وفيها في رجب توفي الشيخ وحيد الدين محمد بن محمود
المروروذي الفقيه الشافعي وهذا الذي كان السبب في انتقال غياث الدين ... من مذهب ...
الى الشافعية وفي ذي الحجة توفي أبو الفتح عبد الله بن أبي المعمر الفقيه الشافعي المعروف بالمستملي ببغداد ...

فان مالت من أولياء الله
فلا سر الاستشهاد ووالت
المعاد * وان من علا لاهتار
المدد * والالهاد لعمر *
لعمل ان الحكم قد في كل
مخذول * ومعصوم *
ومحروس ومقصوم * وظل
الخاذل ... يتناسون بهم *
وقد ما سواسوهم بأبيه *
وسوف أهل الحق عليهم
ماسه * وجلالهم واقيه *
وجلاء أهل الحق أولى
وبات ماهولا من حس
الانس * ولا من رمز السر *
هيهات ان وقع المنتدلين
في المال * ولا حرج في
هؤلاء الابطال * حتى اذا
مثل لهم محض العصيان *
في صورة الخذلان واصوا
بالقضاء ماورائهم من رجال
الماء ... اتبعتهم
بأس الانتقام * وتجرعتهم
كأس الحلم * ولا يرون
ان الكفر لا يهدي سبيله *
وان القدير ذي يكسر ما
... قليله * لا جرم ان
... الما * وانصح ...
النعماء * فأوقعوا قتلا
واسارا * وأغرقوا فأدخلوا
نارا * ولعل عدد القتلى
والغرقى يزيد على ... القا

حسن وفى ربيع الآخر توفيت زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله واخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت فى التربة التى بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف

(ثم دخلت سنة ستمائة)

«ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية»

فى هذه السنة اول رجب وصل خوارزم شاه محمد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازى بن أخت شهاب الدين الغورى ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين فى الصلح فلم يتم وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاور عازما على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دائما والقتل من الفريقين كثيرا وممن قتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس وكان الحسين بن خرميل بكرزبان وهى اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الى عسكرا لاسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه ألف فارس من أعيان عسكره الى كرزبان فخرج عليهم هو والحسين بن محمد المرغنى فقتلوهم الا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط ما فى يديه وندم على انفاد العسكر وارسل الى ألب غازى يطلب منه أن يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتفق ان الب غازى مرض واشتد مرضه فخاف أن يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح وأهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميتا ولم يشعر أحد بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها

«ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا»

فى هذه السنة فى رمضان عاد شهاب الدين الغورى الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت ألب غازى نائبه بها فعاد حنقا على خوارزم شاه فلما بلغ ميمند عدل الى طريق أخرى قاصدا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الى لاحاربك والا سرت الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلك تنهزم كما فعلت تلك الدفعة لكن خوارزم تجمعنا ففرق خوارزم شاه عساكره وأحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق وأجرى المياه فيها فتعذر على شهاب الدين سلوكها واقام أربعين يوما يصلحها حتى أمكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه الماء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثرت القتلى فيه بين الفريقين وممن قتل من الغورية الحسين المرغنى وغيره وأسر جماعة من الخوارزمية فامر شهاب الدين بقتلهم فقتلوا وأرسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ أصحاب ما وراء النهر فاستعدوا وساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقى أوائلهم فى صحراء اندخوى أول صفر سنة احدى وستمائة فقتل فيهم وأسر كثيرا فلما كان اليوم الثانى دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقى شهاب الدين فى نفر يسير وقتل بيده أربعة أفيال لانها أعيت واخذ الكفار فيلين ودخل شهاب الدين اندخوى فيمن معه وحصره الكفار ثم صالحوه

أصحروا طعما للنسور والضبعان * وأقواتا للتماسيح والحيتان * وعمد كيبند الى قتاله فأهلك بها عرسه * ثم كر فالحق بهم نفسه * واغنم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين رأسا من الفيلة الضخام * مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم الاغتنام * من نعم الله الجسام * وقسمه الراجحة بالاقسام * ولما وضعت تلك الحروب أوزارها * وحلت له الغنائم أزرارها * عطف عنانه الى شط البلد * الواقع عليه اسم المتعبد * وهو الذى بناه مهرة الهند بطالع ابنيته التى يزعم أهلها انها من صنيع الجنان * دون الانسان * ابداع أساس وسقوف * واعجاز اوساط وحروف * فرأى ما يخالف العادات * وتفتقر رواياتها الى الشهادات بل المشاهدات * بلدا مبنى السور * من صم الصخور * وقد أشرع بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة أبنيتها فوق شواخص القلال صيانة لها من مضار سيول الماء * ومعار غيوث السماء * وعن جنبتيها الف قصر شبيهة بسائر الابنية فى الوثاقة مشتملة على بيوت أصنام

على أن يطيعهم فسار آخر شوال وحاصر ووقع الحرب في جميع بلاده فإنه قد عدم وصعب من
الآن إنه سلك ثم وصل إلى الطالقان في سنة عشر وقد قتل أكثر عسكر ونهب من أثقاله
جميعها فلم يبق معها شيء فخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خياما وجميع ما يصلح
له وسار إلى غزنة وأخذه الحسين بن خرميل لأنه قيل له عنه أنه قصد الملوك لا مرامه وأنه
قال إذا سار السلطان هرب إلى خوارزم فما أخذه هو وجعله أميرحاجب ولما سمع الخبر
قتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو علوك اشتراه شهاب الدين أصحابه وقصد قلعة غزنة
ليملكها فلم يعطها فعاد إلى داره فأقام بها وأفسد الحال وسائر المفسدين في البلاد
وقطعوا الطرق وقتلوا كثيرا فلما سار شهاب الدين إلى غزنة بلغه أن الدز أراد قتله فجمع فيه
سائر المماليك فأطلقه ثم أحضره وسار شهاب الدين في البلاد فقتل من المفسدين من تلك الأمم
عددا كثيرا وكانت أيضا ملوك آخر أهل بالزمن سلم من المعركة ولحق بالهند وبسط
المولتان وقتل نائب السلطان بها وملك البلد وأخذ الأموال السلطانية وأساء السيرة في الرعية
وأخذ أموالهم وقال قتل السلطان وأنا السلطان وكان يحمله على ذلك ويحسنه له إنسان اسمه
عمر بن رازي وكان يدبر أمره ويعمل ما أمره وجمع المفسدين وأخذ الأموال وأخاف الطريق فلما
سمع الخبر شهاب الدين سار إلى الهند وأرسل إليه عسكرا فأخذوه ومعه عمر بن رازي فقتلهما
ألم قتله وقتل من وافقهما في جمادى الآخرة من سنة إحدى وستمائة وكان آخر قتل قرا
اعلموا أن الدين يطلبون الحبرية ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا الآية
وأمر شهاب الدين جميع بلاده بالتجهيز لقتال الخطا وهو على الأخذ بثأرهم وقيل كان سبب
اهتمامه أنه لما عاد إلى السلطان خوارزم شاه جرد عسكرا في المقابر التي في طريقه له الماء
وكان الخطا قدروا على طرف الماء فكلما خرج من أصحابه طائفة عسكروا فيهم بالقتل
والأسر ومن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع إليه أحد فلما طال ذلك وسمع الخبر في
ساقه العسكر في عشرين ألف فارس ولم يعلم الحال فلما خرج من الغزنة لقيه الخطا وعمر
وهو ومن معه قد لعبوا وأعيوا وكان الخطا أضعاف أصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمي تعبه
منهم وحصر ومن أدخوى خوى يوم في عشية أيام أربعة عشر مصافا مصافا ثم انصاف وأدرك
من العصر إلى مكر العدو ثم إنه بعد ذلك سرطا القيمين عسكر فلما أسرا وأمرهم أن يرجعوا إليه
بكرة كأنهم مدد أو يسعدون بلاده فلما فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان
مسلما وهو في طاعة الخطا وقد خاف على الإسلام والمسلمين أن يظفروا بشهاب الدين قال
لهم إن هذا الرجل لا يخذله قط أصعب منه لما خرج من القتال ومع صعده وبعته وقلة من معه
لم تظفروا به والأمداد أتته وكأنكم بعساكر وقد أدلته من كل طريق وحينئذ يطلب الخلاص
منه فلا يقدر عليه والرأي أن الصلح معه فأجابوا إلى ذلك فأرسلوا إليه في الصلح وكان صاحب
سمرقند قد أرسل إليه وعرفه الحال سرا وأمره بإظهار الامتناع من الصلح أولا والإجابة إليه
أخيرا فلما أتته الرسل امتنع وأظهر العوم ما انتظار الأمداد وطال الكلام فاصطلحوا على أن
الخطا لا يعبرون النهر إلى بلاده ولا يعبر إلى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد إلى بلاده
والباقي نحو ما تقدم

قد هدمت معاقل أعرابها
عامرتها وارى سطوح
السماء وواري ما وراءها
من المرو وتصل الماء
وقصد البلد فيها أصنام
تحكي أصرابه أو أحسن
وتجري مجرى أصرابه بل
أحسن لا يهتدي الكاتب
بأقلام الدوا ولا الشاعرون
بأطراف الخاطبات إلى
أمثالها أعصارا ودهورا
وهو يتعاطف الأبصار
ويحار وكان فيما كتب
السلطان أنه لو أراد مريد
أن يبني ما يعادل هذه
الأبنية لعجز عنه فأنفق
مائة ألف ألف درهم في
مدة مائتي سنة على أيدي
عمله كله وبعضهم مصوره
ومنها الأصنام منها
من الذهب الأحمر مصوره
على قدر خمسة أذرع في
الهواء مصورة قد أفعمها
مصاغا سعم الملكوتين
لوسم ملهما على السلطان
لا ساعة خمسين ألف
دينار اشتراها ولم يستثن
منه دركار ولا سلاما
وعلى آخر قطعة ياقوت
أزرق زمامي ريق الماء
ورقيق الهبة تزن أربعمائة
وخمسين مثقالا وخرج

﴿ذكر قتل طائفة من الاسماعيلية بخراسان﴾

في هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغوري من عنده قدم الاسماعيلية بخراسان برسالة انكرها فامر علاء الدين محمد بن أبي علي متولي بلاد الغورية بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار في عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علاء الدين على مدينة قاين وهي للاسماعيلية وحصرها وضيق على أهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح أهلها على ستين ألف دينار ركنية ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرية ورحل الى هراة ومنها الى فيروزكوه

﴿ذكر ملك القسطنطينية من الروم﴾

في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم بها تزوج أخت ملك افرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا ثم وثب على الملك أخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصدا لاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبي فالقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شيء وأخرجوا أباه من السجن انما الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على أهله وطلبوا منهم أموالا عجزوا عنها وأخذوا أموال البيع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الملك فقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد وأغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ستمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين ألفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فاصبح الروم كلهم ما بين قتيل أو فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من أعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى سوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليبقوا

من وزن قدمي أحد الاصنام المذكورة أربعة آلاف وأربعمائة مثقال * وكانت جملة الذهبيات الموجودة عن اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين ألفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها الابعد التفصيل والعرض على كفف المعايير * وأمر السلطان بسائر بيوت الاصنام فضربت بالنفط والضرام * وجعلت سقوفها مواطئ الاقدام * وسار من بعد قد ماروم قنوج * وقد اشتق له الفال من تصحيفه فتوحا * وعده صنعا من الله ممنوحا * وخلف وراءه معظم العسكر تطميعا لراجيال ملكها في الثبات لخفة الزحام * وتقبيحا له قبل اللقاء صورة الانهزام * اذ كان أمراء الهند على غلب رقابها * وقوة أسبابها وأصحابها * اطواعا لراى قنوج اعترارا بمكانه * واقترارا بفخامة شانه * ولم يعبر على قلعة من قلاع ذلك الرباع الا وضعها بالارض وعرض أهلها على الاسلام أو السيف * وحاز من السبايا والنهاب * والنعم الرغاب * ما يعجز أنامل

علىم فلم يتصلوا اليهم وقتلوهم أجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا بلاد من اول دولس الدادقه وهو صاحب المراكب الصرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وهو صبي أعمى ادارك هادوسة والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والآخر يقال له كندافلند واكثرهم عدد اهل اسرول على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة لي كندافلند فأعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه عليها وعلى ماجاورها وتكون للدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون للمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرقي الخليج مثل أزنيق ولاذيق فلم يحصل لأحد منهم شيء غير الذي أخذ القسطنطينية وأما الباقي فلم يسلم من فيه من الروم وأما البلاد التي كانت للملك شرقي الخليج المجاور لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها نيقية ولاذيق فإنها لم تطع أحدا من الفرنج واستولى عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكري وهي بيده الى أن توفي

﴿ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية﴾

وفي هذه السنة في العشرين من شوال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادلية وسبب ذلك ان نور الدين كان بينه وبين عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وحشة مستحكمة اولا فاتفقا وسار معه الى ماردين فسمع جيش ولسعن وقد كرها فلما كان الآن أرسل الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له فسمع نور الدين ذلك فسار الى نصيبين ليلتمس على شعبان وهي لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها فأدام قبيحا لو حاصرها قليلا أشرف على أن يملكها أتاه الخبر ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي صاحب اربل قد قصد أعمال الموصل فنهب نينوى وأحرق غلاتها فلما سمع ذلك من أتاه الخبر فترك الموصل فحطها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه فأتاه الخبر فأقبل صاحب بلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفر الدين الى بلده وبلغ نور الدين ان العادل قد وصل الى زيادة فسار الى تل أعفر من بلد وهي لصاحب سنجار وحصرها وأخذها وسار أمورها وأقام عليها ستة عشر يوما ووصل الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب فسار من مدينة حران الى رأس عين قصده لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اجتمع هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من أخذشي من بلاده وكلهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو على نصيبين فلما فارقها نور الدين سار الاشرف اليها وأتاه أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبا من بوشري وسار نور الدين من تل أعفر الى كفر زمار وعزم على المطاولة ليتفرقوا فإنه كان من بعض عساكره من قرب ذلك وقد أرسل نصير أصحابهم فسيلهم في عسكره ويطمعه فيهم ويقول ان أدس الفهم عجردي فسار حينئذ نور الدين الى بوشري فوصل اليها بعد الظهر وقد تعبت دوابه وأصحابه والعوا ستة من الحر فترل فالتقى بعضهم أقل من ساعة رآماه الطراز عساكرهم قد ركبوا

الملك ووصل ثلاث سنان الى قنوج وقد فارقها راجبال بين جمع باقدامه فرارس لايرى الهزيمة عنه عارا ولا يعد القصم سبيله عارا وعبر السلطان الى الملك كند وهوالذي يواصف الهنود قدره وشرفه ويرون من ملك البلاد في السماء معرفة ان أسرع منهم مستدرى منه مقامه ولقوي طهره لا كتابه ورعاأ ما التاسك من بعد اعرى نفسه فيه برى ان ذلك نصيبه وهو في العاجل رده وفي الآجل يلبه ونصرنه ثم اجيبه ولا نصيبه وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب من عشر آلاف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة لهم من مدة ألف سنة الى ثلثمائة ألف سنة كذبا وزورا وبهتانا وقولا مرزورا وعدولا عن سنن الهدى وكفورا وعبثت بهم كانت صادمهم لها واستبحنا بالعرات البها وقد سرحمها اكثرأهلها معصية الانام والسمع وطول المكر

فرسب

فركب هو وأصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم أثرا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرق كثير منهم في القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه من أخبره بحركة العاصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدم الى العاصم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والعاصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم يطل الحرب بينهم حتى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو أيضا وطلب الموصل فوصل اليها في أربعة أنفس وتلاحق الناس وأتى الاشرف ومن معه فنزلوا في كفر زمار ونهبوا البلاد نهبا قبيحا وأهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيما مدينة بلد فانهم أفحشوا في نهبها ومن أعجب ما سمعنا ان امرأة كانت تطبخ فرأت النهب فألقت سوارين كانتا في يديها في النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما في البيت فرأى فيه بيضا فأخذه وجعله في النار ليأكله فرأى السوارين فيها فأخذهما وطال مقامهم والرسل تتردد في الصلح فوقف الامر على اعادة تل اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاولى وتوقف نور الدين في اعادة تل اعفر فلما طال الامر سلمها اليهم واصطلحوا أوائل سنة احدى وستمائة وتفرقت العساكر من البلاد

(ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلاد الاسلام والصلح معهم)

في هذه السنة خرج كثير من الفرنج في البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينية وأرسوا بعكا وعزموا على قصد البيت المقدس حرسه الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكا ساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحي الاردن وسبوا وفتكوا في المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فأرسل في جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على كفركنا فأخذوا كل من بها وأموالهم والامراء يحثون العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى أن انقضت السنة وذلك سنة احدى وستمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق وأعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات في الرملة وغيرها وأعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فقاتلهم وكان في قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج

(ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش)

قد ذكرنا قبل تغلب كوكجة مملوك البهلوان على الري وهمذان وبلد الجبل وبقي الآن وكان قد اصطنع مملوكا آخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدمه وأحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثم قصد كوكجة فتصافا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة في الحرب واستولى ايتغمش على البلاد وأخذ معه أوزبك بن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبر له والقيم بأمر المملكة وكان شهما شجاعا ظالما وكان كوكجة عادلا حسن السيرة رحمه الله

(ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده)

وفي هذه السنة سادس ذي القعدة توفي ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض القولنج في سبعة أيام وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وتسمى

بآلهتهم الصم البكم * فمن بين باح أمانة نجاؤه * وثاو أباده ثواؤه * ولم ينج منه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه * ففضها كلها في يوم واحد ثم أباحها لأهل عسكره يتناهبونها طلقا حلالا * ويتبادرونها ارتقاما وادلالا * وركض منهم الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم حي لقاح * وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح * فثبتوا للقراع أشباه العفاريت عارجه * والشياطين ماردة أو مارجه * حتى اذا أعوزهم الثبات * وأعجزهم النجات * وعلموا أن ليست لهم بالمسلمين طاقه * وان دماءهم لا شك مهراقه * تهاووا من غرفات الجدران * وشرفات البنيان * على شبا الرماح * وظبا الصفاح * استخفافا بالنفوس والارواح * واستسلاما لامر الله المتاح * لا جرم ان السيوف أشربت الارض دماءهم * وأطعمت النسور أشلاءهم * كذلك المنايا أصبحت من خطب اليها لم ترد له ردا *

أماسية وهي مدينة منيعة وكان ما قاتل ركن الدين طغرل عليها حتى ضعف وقلّ
الدواب عنده نادى من تكلم على عوض بأخذ بعوضه للعمق أطراف بلده وحفظه عليها
فنزل آخر من مدينة أخرى ونزلها وبعده ورداثة موضع ركن الدين عليه من أخذه وأخذ
أولاده فقتله فلم يمض غير قليل أيام حتى أصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده
قلج أرسلان وكان صغيرا فبقي في الملك إلى نصف سنة اثنتين وستمائة وأخذ منه على ما نذكره هنالك
وكان ركن الدين شديدا على الأعداء حازما في أمر الملك إلا أن الناس كانوا ينسبونه إلى فساد
الاعتقاد كان يقال إنه يعتقد أن مذهبه مذهب الفلاسفة وكان كل من يرمى بهذا المذهب
يأوي إليه وله فيه الظن الحسن إحسانا كثيرا إلا أنه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر
الناس عنه حكى لي عنه أنه كان عنده إنسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب
منه فحضر يوما عنده فقيه فتناظرا فأظهر شيئا من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه إليه ولطمه
وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجري على مثل
هذا في حضرتك ولا تنكر فقال لو تكلمت لقتلنا جميعا ولا يمكن إظهار ما تريد أنت

•(ذكر قتل الباطنية بواسط)•

في هذه السنة في رمضان قتل الباطنية بواسط وسبب ذلك أنه ورد إليها رجل يعرف
بأبي الكرم محمد بن طالب بن عصية وأصله من العاقول من قرى واسط وكان باطنيا ملحدا ونزل
مجاورا الدور بني الهروي وغشيه الناس وكثر أتباعه وكان بواسط رجل يعرف بحسن
الصابوني فاتفق أنه اجتاز بالسوق فكلمه رجل نجار من مذهبهم فرد عليه الصابوني ردا غليظا
فقام إليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فثاروا وقتلوا من وجدوا ممن ينتسب إلى هذا
المذهب وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع إليه خلق من أصحابه وأغلقوا الباب وصعدوا إلى
سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعد إليهم من بعض الدور على السطح وقصدهم من بين
يدي الدار بالعلالي والأبواب والمنابر فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار وأسروا وقتل
ابن عصية وفتح الباب وهرب بعضهم فقتلوا وبلغ الخبر إلى بغداد فانحدر فخر الدين أبو البدر بن
أمسينا الواسطي لإصلاح الحال وتسكين الفتنة

•(ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت)•

في هذه السنة استولى إنسان اسمه محمود بن محمد الحميري على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من
حضرموت وكان ابتداء أمره أنه كان يركب مركبه في البحر للتجارة ووزر لصاحب مرباط وفيه
كرم وشجاعة وحسن سيرة فلما توفي صاحب مرباط ملك المدينة بعده وأطاعه الناس محبة له
لكرمه وسيرته ودامت أيامه فلما كان سنة تسع عشرة وستمائة خرب مرباط وظفار وبنى
مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وبينها وبين مرباط ... كثيرا ونقلها إلى المدينة
وعمل عليها سورا وخندقا وحصنها وسماها الأحمدية وكان يحب الشعر ويكثر الجائزة عليه

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة خرج أسطول من الفرنج إلى البلاد المصرية فنهبوا مدينة بوره وأقاموا بها
أياما يسيرة ونهبوا وعادوا بغنائمهم وكان سبب سلامتهم أن العسكر لم يكن لهم

وإن عد من أنكاحهما •
وأخذ السلطان على نفسه
ذلك شغر قلعة آسى
وصاحبها المعروف
عبد الجبار أحد أنياب
الجهودة وأرباب الجهودة
وأرزلدا سمط الملك وسمه
في الملك معرضه رأى
فروج مسارعا • ومادة
الحرب مكاوحا ومقارعا •
فلم يرد أن أتعب أولا ••
وتكل على الله وراء •
وقد أحاط بهذه القلعة
غياض متكاثفة • كأعراف
الجياد ومتداخلة • كأسمار
الجداد • لا تنصب الأفاعي
بها الرقطاء • ولا تستتر الدرر
عندها الخضراء • قد أحاطت
بها سدادف لعمرات
الغفائر وسحاب الدوائر •
الخلقة النور بالثريا الحالكة
عنها امتزاج • ولا لهادونه
انفراج • فلما شعر المذكور
برحف السلطان إليه في
كواكب دولته • ومواكب
حملته • بعد قلبه مرابط
الحذار • وحس بمنه فإذا
هو ذئب الفرار • ورأى
الموت فاغرا فاه • فلم يجد
الانتقال إليه فقاه • فأمر

سنين وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها وأثرت فى كثير من الشام وفيها فى رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفى اسمه أحمد بن ابراهيم الدارى من أصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مغن يغنى بشول الشعر

أعاذلتى أقصرى * كفى بمشيبى عذل
شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل
وحق ليالى الوصال * وآخرها والاول
وصفرة لون المحب عند استماع العذل
لئن عاد عيشى بكم * حلا العيش لى واتصل

فتحرك الجماعة عادة الصوفية فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد ثم سقط مغشيا عليه فحركوه فاذا هو ميت فصلى عليه ودفن وكان رجلا صالحا وفيها توفى أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلى الفقيه الشافعى باصفهان فى صفر وكان اماما فاضلا وفى رمضان منها توفى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوى وولى بعده ابنه صاعد

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة)

(ذكر ملك كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن أخيه)

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد أخيه ركن الدين سليمان وكان سبب ملك غياث الدين لها أن ركن الدين كان قد أخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولا وقصر به فسار من عنده وتقلب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينية فأحسن اليه ملك الروم وأقطعه وأكرمه فأقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينية فلما ملك الفرنج القسطنطينية هرب غياث الدين الى حميه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فأقام عنده فلما مات أخوه سنة ستمائة كما ذكرناه اجتمع الامراء على ولده وخالفهم الاتراك الاوج وهم كثير بتلك البلاد وأنفوا من اتباعهم وأرسلوا الى غياث الدين يستدعونه اليه ليملكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى اجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فأخرجوا اليه طائفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى أين يتوجه فقصد بلدة صغيرة يقال لها أوكرم بالقرب من قونية فقدر الله تعالى ان أهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فأخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلما سمع أهل قونية بما فعله أهل اقصرا قالوا نحن أولى بفعل هذا لانه كان حسن السيرة فيهم لما كان ملكهم فنادوا باسمه أيضا وأخرجوا من عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة وقبض ابن أخيه ومن معه وآتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان من اذا أراد أمرا هيأ أسبابه وكان أخوه قيصرشاه الذى كان صاحب ملطية

بقلع قلعته من اصولها وتعويرها * على من بها آنفا بحلولها * وقفى آثاره بعفاريت أنصاره * ينهبون ويغنمون * ويقتلون ويأسرون * حتى علم الكافرون * انهم هم الخاسرون * وكان المخذول يرى ان أعوانه من كماة المقانب * وحماة الاشاهب ورماد الكتائب * حتى رأى عسكر السلطان بين تلك المشاعب * وآثارهم بالقنا والقواضب * والقسى المواطر كالسحائب * فعلم أن ضرب اللاعب * خلاف ضرب الثائر الغالب * وقوس الحلج غير قوس الناشب * ولما فصل السلطان أمر جندال وأذاقه فى مهربه الداء العضال * عطف على جندراى أحد أكابر الهند فى قلعة شروة وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم قد ذهب بها عن أن يعطى غيره مقاده * أو يألف غير التعزز عاده * وكانت

لما أخذها ركن الدين منه سمع ولم يبق من يحميها وقصد الملك العادل أبا بكر بن أيوب لانه
كان زوج ابنته مستنصرا به فأمر بالمقام بمدينة الرها فأقام بها الملك مع بقية أخيه معز الدين
سار اليه فلم يجد عنده قبولا لما أعطاه شيئا وأمره بمفارقة البلاد ففعل وسار الى الرها وأقام بها فلما
استقر ملك غياث الدين سار اليه الافضل صاحب سميساط فأقطعه مدينة قيسارية وقصده أيضا
نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شأنه وقوي أمره

• (ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها) •

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فلما توفي ملكها بعده ابنه نظام الدين أبو بكر والتجأ
الى ركن الدين بن قلج ارسلان وبعده الى أخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمه ناصر الدين محمود
ابن محمد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد منقطعا الى الملك العادل وفي طاعته ويخطب
مع ابنه الملك الاشرف وقتال صاحب الموصل على شرط أنه يسير معه عساكر ويأخذ له خرت برت
وانما طمع فيها عوض ركن الدين فلما حصل هذا الشرط لما كان استقر الامر عليه سار معه
الملك الاشرف وعساكر دار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وعبر الفرات وكان نزولهم
عليها في شعبان وفي رمضان ليأخذها وكان صاحبها قد احتمى بغياث الدين بعد أن ملك
البلاد الرومية وصار معه في طاعته فلما نزل صاحب آمد على خرت برت أرسل صاحبها الى غياث
الدين يستنجده بعسكر فجاءهم منه عسكر كثير اعدتهم خمسة آلاف فارس وسيرهم مع الملك
الافضل صاحب سميساط فلما وصل العسكر الى ملطية فارق صاحب آمد ومن معه من خرت برت
ونزلوا الى الصحراء وحصروا الحصن المعروف بمحرسيم وهو لصاحب خرت برت ثم رحل صاحب
آمد والآخر الى صاحب خرت برت بعد حصره وعاد صاحبه الى ما يحتاجه ووصل صاحب خرت برت
مع العسكر الرومي الى خرت برت ورحل صاحب آمد عن الحصن وقوي الحصن الذي قصده فيها
فأزاح علته ورحل الى حلب مرحلة ونزل وترددت الرسل والعسكر الرومي يطلب اعادة الحصن
وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلما طال الامر بقي الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران
وعاد كل فريق الى بلاده

• (ذكر الفتن ببغداد) •

في سابع عشر شعبان حدثت فتنة ببغداد بين أهل باب الازج وأهل المأمونية وسببها ان أهل باب
الازج قتلوا سبعا وأرادوا أن يطوفوا به فمنعهم أهل المأمونية فوقعت الفتنة بينهما عند
الباب الكبير فجرح منهم خلق كثير وقتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح
فرسه فعاد فلما كان الغد سار أهل المأمونية الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتال
بالسيوف والنشاب واشتد الامر فنهبت الدور القريبة منهم ومنع الركن كسرى عبد القادر
وسعي لتسكين الناس وركب الاتراك الاجناد ليسكنوا الفتنة فامتنع أهل الفتنة من
الاجتماع فسكنوا وفي العشرين منه جرت فتنة بين أهل قطفتا والقرية من محال الجانب
الغربي بسبب قتل سبع أيضا أراد أهل قطفتا أن يصعدوا ويطوفوا به فمنعهم أهل القرية فاقتتلوا
وكثر القتال بينهم فقتل منهم جماعة فأرسل اليهم عسكر من الديوان ليكفوا القتال
ومنع الناس عن الفتنة فاستمروا وفي تاسع رمضان حدثت فتنة بين أهل سوق السلطان

والمقتدية

ى عار الايام بينه وبين
ر و حال مسارسات
فتاحس عن شوط الرهان
وما دامت حتى استطعت
رجالا واصطاسأ بطالا
فما طال الامر فأبعدت الحرب
بينهما فاضطرا الى التوادع
والتكاف • حقنا للدما
وصونا للاطراف • وحمل
روحال اليه ابنته على
انه سهل استدامه
الا لغه • وإما طمعا فيه
واسدفا عالمسر والفساد •
واسعا للسرور في
الاتحاد • وسرح ابنه اليه
على تمره عقد الوصلة
وشرط الاتساع في النعمة •
والاشتراك في البيت
والنعمة • فلما حصل الشق
في يده • حصل تحت قيده
وقيده • وطالبه يعوض
ماذهب له على والده فقصر
بروح المال عن قصد قلبه •
واقتباس بنصبه •
واستخلاص ابنه من
اسار محنته • ثم رأى
المنازعة لم تفد بينهما
فاتفقا الى أن طلعت رايات
السلطان عن الحوزة على
تلك الحدود • وبعرصتع

والمعفرية منشؤها ان رجلين من المحلتين اختصما وتوعد كل واحد منهما صاحبه فاجتمع أهل المحلتين واقتتلوا في مقبرة المعفرية فسير اليهم من الديوان من تلافى الامر وسكنه فلما كثرت الفتن رتب أمير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف في البلد وقتل جماعة ممن فيه شبهة فسكن الناس

(ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام)

في هذه السنة أغارت الكرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فأكثروا العيث والفساد والنهب والسبي ثم أغاروا على ناحية خلاط من ارمينية فأوغلوا في البلاد حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم أحد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال الديار ينهبون ويأسرون وكلما تقدموا تأخرت عساكر المسلمين منهم ثم انهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام وأهله ويسر لهم من يحمي بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزو أعداءهم وفيها أغارت الكرج على بلاد خلاط فأتوا الى ارجيش ونواحيها فنهبوا وسبوا وخربوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغل شاه ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكرج فسير عسكره وجمعه معه فتوجهوا نحو الكرج فلقوهم وتصافوا واقتتلوا فانهزمت الكرج وقتل زكري الصغير وهو من أكابر مقدميهم وهو الذي كان مقدم هذا العسكر من الكرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا كذلك وعاد الى بلاده

(ذكر الحرب بين أمير مكة وأمير المدينة)

وفي هذه السنة أيضا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسيني أمير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة ومع كل واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكة فحصره بها فارسل قتادة الى من مع سالم من الامراء فأفسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلما رأى سالم ذلك رحل عنه عائدا الى المدينة وعاد أمر قتادة قويا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قطعت خطبة ولي العهد وأظهر خط قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدي الرازي واذ هو خط ولي العهد الامير أبي نصر ابن الخليفة الى أبيه الناصر لدين الله أمير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة أقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له رأسان وأربع أرجل ويدان ومات في يومه وفيها أيضا وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة فاحترق فيها منه شئ كثير وبقيت النار يومين وسار ذكر هذا الحريق في البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيأ كثيرا وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعا كاملا فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سراخرب كثيرا من البلد ورمى من حصنه قطعة عظيمة وجاء بعده برد شديد أهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ

الله له في المقصود بعد المقصود * فامابروجبال فلحق بهو جعذو أحد المتعززين بحصانة المعاقل * وحزونة المداخل * وخشونة المواقل * خلاصا بمهجته * واعتياصا بزعمه على من هم باقتصاص أثره وأما جندراي فانه استعد للمدافعه * واحتشد للممانعه * اعتزازا بوثاقة قلعته * ولوثبت لاقتلعته وادلالا بمنعته * ولو وقف لاختلعته * فراسله يمين الدولة بأن محمود اليس من جنس أكابر الهنود * وأمراء رجالهم السود * ان السلامة من مثله تغتنم * والجيش باسمه وباسم أبيه يستهزم * وقد رأينا من كان أقوى منك حكمه * واعلى اكمه لم يقم لضربة من ضربات حدوده * ولم يف بهضبة من هضبات جنوده * فان أردت الافتضاح فشانك أو الخلاص فغمض ما استطعت مكانك * فعلم ان الرجل قد نصحه * وأنه ان خالف الحق فضحه * فسرب أثقاله وأفياله *

الا اليسير وفيها في شعبان خرج عسكر من الغور مقدمهم الامير زنكي بن مسعود الى مدينة
مرو وعليهم نائب خوارزم شاه بعدة يسيرة من العسكر وهو الامير جقر وكان انهم كما وصلوا اليه
هزمهم وأخذ من الغورية أسرى لم يفلت منهم الا القليل وأخذ أميرهم زنكي أسيرا فقتل صبرا
وحملت رؤوسهم الى خوارزم وفيها في ذي الحجة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغوري
صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهي للخطا فافتتحها عنوة وقتل بها ولده الاكبر وقتل من
بها من الخطا ووصل العلويين منها الى بلخ وصارت ترمذ دار اسلام وهي من أمنع الحصون
وأقواها وفيها توفي صدر الدين السجزي شيخ خانكاه السلطان بهراة وفيها في صفر توفي أبو علي
الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطي وهو من الشعراء المجيدين واجتمعت به بالموصل
وردها مادحا للصاحب نور الدين ارسلان شاه وعمره من القصص وكان يعلم الرجل حسن
الصحبة والعشرة وفيها اجتمع ببغداد رجلان أعميان على رجل أعمى أيضا وقتلاه بمسجد طمعا أن
يأخذا منه شيئا فلم يجدا معه ما يأخذانه وأدركهما الصباح فهربا من الخوف فبدأت الموصل
ورئي الرجل مقتولا ولم يعلم قاتله فاتفق ان بعض أصحاب الشحنة اجتاز من الحريم في حومة
حرب فرأى الرجلين الضريرين فقال لمن معه هذان القاتلان قتلا الاعمى فتولمهما فقال
أحدهما هذا والله قتله فقال الآخر بل أنت قتلته فأحضرا الى صاحب الباب فأقرا فقتل
أحدهما وصلب الآخر على باب المسجد الذي قتلا فيه الرجل

(ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة)

ذكر الفتنة بهراة

في هذه السنة في المحرم ثارت العامة بهراة وجرت فيها فتنة عظيمة بين أهل السوق الحدادين
والصفارين قتل فيها جماعة ونهبت الاموال وحرقت الدار فخرج أمير البلد ليكفهم فضربه
بعض العامة بحجر فأصابه ألم شديد واجتمع الغرباء عليه فرجع الى القصر الفيروزي واحتمى أياما
الى أن سكنت الفتنة ثم ظهر

ذكر قتال شهاب الدين الغوري بني كوكر

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمد بن سام الغوري صاحب غزنة من الخطا الكفار وان الخبر ظهر
ببلاده انه عدم من المعركة ثم بعث أصحابه على خبر فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون في أطراف
البلاد وكان ممن أفسد ابيال صاحب جبل الجودي فانه كان قد أسلم فلما بلغه الخبر ارتد عن
الاسلام واتبع بني كوكر وصاحبكم في جبال بين لهاوور والمولتان حصينة منيعة وكانوا
قد أطاعوا شهاب الدين وحملوا اليه الخراج فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا ومعهم من قبائلهم
وصار رهم وأطاعهم صاحب جبل الجودي وغيره من العاطفين بتلك الجبال وقطعوا الطريق
من لهاوور وغيرها الى غزنة فلما سمع شهاب الدين من قبل علوكه ايبك وقد ذكرناه ارسل الى
نائبه بلهاوور والمولتان وهو محمد بن أبي علي يأمره بحمل المال للسنة ستمائة وسنة احدى
وستمائة ليتجهز به لحرب الخطا فأجاب ان أولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال
وحصر جماعة من التجار وذكر انه قتلا كبيرا أحد أولاد كوكر ولم يسلم منه الا القليل فأمر
شهاب الدين مملوكه ايبك مقدم عساكر الهند ان يراسل بني كوكر يدعوهم الى الطاعة ويتهددهم

وخزائنه وأمواله • فحور
حسال تنائى كواكب
الموراه • وآلم وارى
حد الارض عن عين السماء
وورى بوسمسعد علم يدر
أين سار والى أي الاقطار
طار • اسطى الليل
أم التعد النهار • وكان
من التمسح المتلاوم
في تجربيه وتقريبه اصطفاه
من حسالة الاقتناص
وسام من كلمة الاسلام •
ما سيم أهله وأقاربه
حين اضطروا الى الاستجابة
والاستسلام • فلما أحاط
السلطان بك القلعة
وانتجها على حصانته
مراصدها • ومناهج مراقيها
ومصاعدها • ووقع منها
في علف كثيرة ومال على
اسلاف أصابه خطره •
لم يره الموجود • وقد فاته
الكافر المصرود • وضاقت
به الارض دون طلبه •
وانتزاعه من منهربه
فاقتص أثره ركضا نحو
جهة مصر فرصا بين
مسارب أنهار تسلك
الوجوه وتلعب ومساقط

ان لم يجيبوا افعل ذلك فقال ابن كوكر لاى معنى لم يرسل السلطان الينا رسولا فقال له الرسول وما قدركم أنتم حتى يرسل اليكم وانما مملوكه يبصركم رشدكم ويهددكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيا لراسلناه وكان دفع الاموال اليه فحيث عدم فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول لقد أنت جاسوسا تشق اليه بأيبك بخبر شهاب الدين من فرشابور فلم يصغ الى قوله فرده فعاد وأخبر بما سمع ورأى فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وأمر عساكره بالاستعداد فأقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها أول رمضان وأمر بالنداء فى العساكر بالتجهز لقتال الخطا وان المسير يكون أول شوال فتجهزوا لذلك فاتفق ان الشكايات كثرت من بنى كوكر وما يتعهدونه من اخافة السبل وأنهم قد أنفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم أكثر الهنود وخرجوا من طاعة أمرائها ور والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى يذكر ما قدمه منهم وان عامة قد أخرجهم بنو كوكر وجبوا الخراج وان ابن كوكر مقدمهم أرسل اليه ليترك لهاوور والبلاد والاقله ويقول له ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والاخرجت البلاد من يده وتحدث الناس بكثرة من معهم من الجموع ومالهم من القوة فتغير عزم شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا وأخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاول سنة اثنتين وستمائة فلما سار وأبعد انقطعت أخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتى أرجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لما سار عن فرشابور أتاه خبر ابن كوكر انه نازل فى عساكره ما بين جهلم وسودرة فجد السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدر وصوله فيه فاقتتلوا قتالا شديدا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى العصر واشتد القتال فبيناهم فى القتال واذ قد أقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكرية ومن انضم اليهم وقتلوا بكل مكان وقصدوا أجمة هناك فاحتموا بها وأضرموا نارا فكان أحدهم يقول لصاحبه لا تترك المسلمين يقتلونك ثم يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمهم الفناء قتلا وحرقا فبعدا للقوم الظالمين وكان أهلهم وأموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله حتى ان المماليك كانوا يباعون كل خمسة بدينار ركنى ونحوه وهرب ابن كوكر بعد أن قتل اخوته وأهله وأما ابن دانيال صاحب جبل الجودى فانه جاء الى قطب الدين ايبك فاستجار به فأجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فشفعه فيه وأخذ منه قلعة الجودى فلما فرغ منهم سار نحو لهاوور ليؤمن أهلها ويسكن روعهم وأمر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا وأقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وأرسل الى بهاء الدين سام صاحب باميان ليتجهز للمسير الى سمرقند ويعمل جسرا ليعبر هو وعساكره عليه

(ذكر الظفر بالتيراهية)

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضا على شهاب الدين التيراهية فانهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فأوقع بهم نائب تاج الدين الذى لز مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخليجى وقتل منهم خلقا كثيرا وحمل رؤس المعروفين فعلقت ببلاد الاسلام

أجيار تصدم الحوافر فتحفيها * ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقت العتمة وهم يطوون مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا طى التجار بحضرموت برودا * وأهاب الى أولياء الاسلام * وابناء الصلاة والسلام * باقتصاصهم * وادراع الظلام فى اقتناصهم * ثقة بالله الناصر لدينه * القاضى على الكفر بتوهينه * فكم من قتيل هنالك قبل أن يمسه حر الحديد * وأسير تقيد قبل يد التقييد * فأما الاموال فباتت حبا دون الارواح * وستراد دون حد السلاح وحر الجراح * فلا يعبأ بها أو تشفى النفوس من عبدة الكفار * وعبدة الشمس والنار * وظل الى الاولياء يتبعون طرائح المخاذيل ثلاثة أيام تباعا تنقلا واغتناما * وسلالا بعد ان جمعها الكفار حراما * وأما القبيلة فمن بين مقهور ومردود * ومتطوع بالعود الى السلطان

وكانت فتنة هؤلاء التراهية على بلاد الإسلام عظيمة قديماً وحديثاً وكان إذا وقع بأيديهم أسير
من المسلمين عذبوه بأنواع العذاب وكان أهل فرشابور معهم في ضر شديد لأنهم يقطعون سابلة
الولاية من جرابها الأسفل آخر أيام سبكتكين فإن الملوك ضعفوا وقوي هؤلاء عليهم وكانوا
يغيرون على أطراف البلاد وكانوا كفاراً لا دين لهم يرجعون إليه ولا مذهب يعتمدون عليه
إلا أنهم كانوا إذا ولد لأحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوج هذه من يقبلها فإن
أجابه أحد تركها وإلا قتلها ويكون للمرأة عدة أزواج فإذا كان أحدهم عندها جعل مداسه
على الباب فإذا جاء غيره من أزواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتى أسلم طائفة منهم
آخر أيام شهاب الدين الغوري فكثر أهل البلاد بسبب إسلامهم إلا أنهم أسروا الناس من
فرشابور ونحوه فلم يزل ذلك أيامه عندهم بأسره وما يفعلونه وما فعلوه ببلاد الإسلام
وقال له بعض الأمراء إن شهاب الدين ماذا كان يعطي مالاً له كان يعطيك الأموال والإقطاع
ويرد إليك جميع البلاد التي لكم فأرسل إليه شهاب الدين في الدخول في الإسلام
فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالإقطاع فلما وصل إليه الرسول سار هو وجماعة من أهله إلى
شهاب الدين فأسلموا وعادوا وكان الناس منهم بأسره فلما كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد رأى
أكثرهم من المال ما لم يكن لهم بما الطائفة ثم قتله بعضهم فأفسدوا وعملوا ما ذكرناه

(ذكر قتل شهاب الدين الغوري)

في هذه السنة أول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري ملك غزنة
وبعض خراسان بعد عوده من لهاور بمنزل يقال له دميك وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله
أن نفراً من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والأسر
والسبي فلما كان هذه الليلة تفرق عنه أصحابه وكان قد عاد ومعه من الأموال ما لا يحصى فإنه كان
عازماً على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد أمر عساكر الهند
باللحاق به وأمر عساكر خراسان بالتجهز إلى أن يصل إليهم فأتاه ما أتاه من حيث لم يحتسب
ولم يغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن كان على عزم مصلحة من قتال الكفار فلما تفرد
عنه أصحابه وبقي وحده في خركاه ثار أولئك النفر فقتل أحدهم بعض الحرس بباب سرادق
شهاب الدين فلما قتلوه صاح فثار أصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فأخلوا
مواقفهم وكثر الزحام فاغتنم الكوكرية غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو
في خركاه فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه أصحابه فوجدوه على
مصلاه قتيلاً وهو ساجد فأخذوا أولئك الكفار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل إنما
قتله الإسماعيلية لأنهم خافوا خروجه إلى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على
ما ذكرناه فلما قتل اجتمع الأمراء عند وزيره مؤيد الملك بن خواجا سجستان فتحالفوا على حفظ
الخزانة والملك ولزوم السكينة إلى أن يظهر من يتولاه وأجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه
وجعلوه في المحفة وساروا به ورتب الوزير الأمور وسكن الناس فلم ير شعث منهم ولم يوجد
في أحد شيء وكانت المحفة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسية على حالها في حياته ويقدم
الوزير إلى أمير داذ العسكر بإقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التي في صحبة الملك

فحوده لطفاً من الله تعالى
يبيع له عظام الأموال •
حتى يسوق السهام
الإقبال • لا جرم أنها
حيث حدا أورد سكرا
قه على الهام بالأسد
الإبالقلع • ولا عاف
المراتع • إلا بالأسل
النوازع • أن يأتي طوعاً
فمهجر الأصنام • وعدم
الدين والإسلام • ولقد
أحسن من قال
كل الأمور بغير حس
كنتماً والعقل عندا
محاد من جمع الحياة
من عنده أرها وبعدا
لوس أعطاني الصبره
م حرس في التربيع معدا
أو ماربو أس السماء
لانت زهرا ورددا
وطلع فارد من خراسان
السلطان ذهباً وفضة
ورأس عجزة وفرائد
ميمية • قرابة ثلاثة آلاف
ألف درهم وأما السبي
فالشاهد على كثرة عدده
ووفور مدده • وقوع
السهام على الواحد منهم
عامين درهم إلى عشرة
دراهم

حمل وماتقى حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامراء الكبار من المماليك وهو صونج صهر الدزوغيره وأمروا كل من له اقطاع عند قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرقوا فيهم أموالا كثيرة تعادل وسار الوزير ومعه من له اقطاع وأهل بغزنة وعلموا انه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين أخى شهاب الدين الاكبر وبين بهاء الدين صاحب باميان وهو ابن أخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامراء الغورية يميلون الى بهاء الدين سام صاحب باميان فارسل كل طائفة الى من يميلون اليه يعرفونه قتل شهاب الدين وجلية الامور وجاء بعض المفسدين من أهل غزنة فقال للمماليك ان فخر الدين الرازى قتل مولاكم لانه هو أوصل من قتله فوضع من خوارزمشاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيره سرا الى مأمنه ولما وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغورية يقولون نسير الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهاء الدين سام فيملك الخزانة قال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التى تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلون من كرمان الى غياث الدين يستدعونه الى غزنة ويملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى كادوا يقتتلون فتوصل مؤيد الملك مع الغورية حتى اذنوا له وللاتراك بأخذ الخزانة والمحفة التى فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وسار والهم على طريق مكرهان ولقى الوزير ومن معه مشقة عظيمة وخرج عليهم الام الذين فى تلك الجبال التيراهية واوغان وغيرهم فنالوا من أطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج اليهم تاج الدين الدز يستقبلهم فلما عاين المحفة وفيها شهاب الدين ميتا نزل وقبل الارض على عادته فى حياة شهاب الدين وكشف عنه فلما رآه ميتا مزق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يوما مشهودا

(ذكر ما فعله الدز)

كان الدز من أول مماليك شهاب الدين وأكبرهم وأقدمهم وأكبرهم محلا عنده بحيث ان أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه فى أشغالهم فلما قتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاول ما عمل انه سأل الوزير مؤيد الملك عن الاموال والسلاح والدواب فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقى معه فانكر الحال وأساء أدبه فى الجواب وقال ان الغورية قد كاتبوا بهاء الدين سام صاحب باميان ليملكوه غزنة وقد كتب الى غياث الدين محمود وهو مولاى يأمرنى انى لا أترك أحدا يقرب من غزنة وقد جعلنى نائبه فيها وفى سائر الولاية المجاورة لها لانه مشتغل بأمر خراسان وقال للوزير انه قد أمرنى أيضا أن أتسلم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلمها اليه وسار بالمحفة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين فى التربة بالمدرسة التى أنشأها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة

(ذكر بعض سيرة شهاب الدين)

وذلك فضل الله الذى ذخره لأيام السلطان يمين الدولة* وأمين الملة* وهو الملىء له بتمام الثواب* يوم قيام الحساب* فالحمد لله خير معبود ومحمود* وله الشكر على ما أقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم بمحمود

(ذكر المسجد الجامع بغزنة)

ولما عاد السلطان يمين الدولة* وأمين الملة* على تفيئة النصر الموكل بقمع الكافر المفترى* المكال بسعدى السماء الزهرة والمشترى* الى دار الملك بغزنة وقد كاد أن يغص سيحها على عدد الارقا* من العبيد والاماء* حتى استغرقت عليها اكياس التجار* الضاربين اليها عن نوازح الديار* ونوازع الامصار* فخص ما وراء النهر الى مرابع العراق* ومبادى الاشراق* منها ما خاط بيضهم بالسود* وعدل فى التمليك بين المسود والمسود* أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه من أنفال* أولئك الغلف الاغفال* فى عمل بر يشيع جدواه* ويرجع الى أمر الاحتساب معناه* وكان قد أوعز باختطاط مسجد من ساحة غزنة

كل رحمه الدهماء عاقدا ما كثيرا الغزو الى بلاد الهند عادلا فى رعيته حسن السيرة فيهم حاكما بينهم على وجه الشرع المطهر وكان القاضى بغزنه يحضر داره فى كل أسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب التربة فحكم القاضى وأصحاب السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره وسمع كلامه وأمضى عليه أو المحكم الشرع فكانت الامور جارية على أحسن نظام (حكى عنه) انه لقيه صبى علوى عرفه وجمعه سبيل مدعاة وقال لى جمعه امام ما كل شيأ بعادى الركوب لوقته ومعه الصبى فنزل الدار وأطعم العلوى أطيب الطعام ثم أعطاه بالاعداد أحضر أما وسلمه اليه وترقى سائر العلويين بالاعطاء (وحكى) ان ما جرا من مراعيه كان بعرسه مرة على بعض حمال لشهاب الدين دين مبلغه عشرة آلاف دينار فثقل المملوك فى حرب كان لمرجع التاجر فأمر بأن يعز اعطاء المملوك بيد التاجر الى ان يستوفى له سعد دالتا (وحكى عنه) انه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلمون فى المسائل المهمه وغيرها وكان فخر الدين الرازى يعظ فى داره يحضر يوما فوعظ وقال فى آخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازى وأن مردنا الى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثر بكائه وكان رقيق القلب وكان شافعى المذهب مثل أخيه قيل وكان حنفيا والله أعلم

•(ذكر مسير بهاء الدين سام الى غزنه وموته)•

لما قتل شهاب الدين أبو الفتح محمد بن سام باميان أقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود وزوجه اخته فأقام بها وولد له سام وتوفى فيها الى ان توفى وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عباس وأمه تركية فغضب غياث الدين وأخوه شهاب الدين فى ذلك وأرسلا من أحضر عباسا عندهما فأخذ المملكة وجعلا ابن أختهما ملكا على باميان ولقبه بهاء الدين وعظم شأنه وعظم وجمع الاموال لملك البلاد بعد خاله وأحبه أمراء الغورية حاشيه وعظموه فلما قتل خاله شهاب الدين سار بعض الامراء الغورية الى بهاء الدين سام فأخبره بذلك فلما بلغه قتله كتب الى من بغزنه من الامراء الغورية يأمرهم بضبط البلد ويعرفهم انه على الطريق سائر اليهم وكان والى قلعة غزنه ويعرف بامير داد قد أرسل ولده الى بهاء الدين سام يستدعيه الى غزنه فأجاد جوابه انه يظهر ويصل اليه بعد الجميل والاحسان وكتب بهاء الدين الى علاء الدين محمد بن أبى على ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل والى هراة يأمرهما بالخطبة له وضبط ما بأيديهما من الاعمال ولم يظن ان أحدا يخالفه فأقام أهل غزنه منتظرين وصوله أو وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غيرا ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنه والغورية يتظاهرون بالميل الى بهاء الدين وخرج عن سار من باميان الى غزنه فى عساكره ومعه ولدا علاء الدين محمود وجلال الدين فلما سار عن باميان مرحلتين وجد صداعا فنزل يستريح فتنظر حصنه عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فأيقن بالموت فأحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وأمرهما بقصد غزنه وحفظ مشايخ الغورية وضبط الملك والرفق بالرعايا وبذل الاموال وأمرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان

المقصد المانع اذ كان ما اختطه الله تعالى على قدر أهلها حسب مقتضى ومهمات البلاد محفوظة داره وسطوره مرار • نواهى عود من مصر به حصول المراد من مطمعه ووسعه • واقامه المدار على رايته • فصب مدرار المال على الصباح • كانصب دماء الابطال يوم القراع • وصب لما انعم أحد الزعماء بحضرته • ويطوف عليهم مطالبا بتصدق العمل • ومعاتبا على زجر الملل • حتى اذا وسد العمى قلبه الملك • أقام أسس الموازين بالحقيقة بالانصاف • وازاله بالطراف • فمضون من أحرز عاجل على السلطان مسعود • وآجل على الرحمن موعود • وصل النعمى أقطار الهند والسند فلوح بواهب قدودا ورماه • وتنامت مدورا وصلاته • كأنهما استودعت أرحام الارض لا من معلوم • وخف بآثارها اليوم محوم حطام • ولا الحق كالآلاء والعدل اسمامه واحد الا • نثنى عليها الملامه والسداد •

وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند

(ذكر ملك علاء الدين غزنة وأخذها منه)

لما فرغ بهاء الدين من وصيته توفي فسار ولداه الى غزنة فخرج أمراء الغورية وأهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهل رمضان وكانوا قد وصلوا الى ضر وقلة من العسكر وأراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيد الملك وزير شهاب الدين لقلتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل والى هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولما استقرا بالقلعة ونزلا بدار السلطانية راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والا قاتلوهما ففرقا فيهم أموالا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا غياث الدين محمودا وانفذا خلعا الى تاج الدين الدز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة في الاقطاع وامارة الجيش والحكم في جميع الممالك فاتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كرمان في جيش كثير من الترك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فاني قد أمرني مولاي غياث الدين ان أسير الى غزنة وأمنعهما عنها فان عادا الى بلادهما والا فعلت بهما وبمن معهما ما يكرهون ورد ما معه من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانما أراد ان يجعل هذا طريقا الى ملك غزنة لنفسه فعاد الرسول وابلغ علاء الدين رسالة الدز فارسل وزيره وكان قبله وزير أبيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من بلادهم ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرفهم ان غياث الدين أمره أن يقصد غزنة ويخرج علاء الدين واخاه منها فحضروا عند وزير علاء الدين وطلبوا منه سلاحا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علاء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر أن يفعل شيأ وسمع مؤيد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وأمره فاسترد ما نهبه الترك جميعه لانه كان مطاعا فيهم ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علاء الدين جماعة من الغورية ومن الاتراك وفيهم صونج صهر الدز فاشار عليه اصحابه أن لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسير العساكر فالتقوا خامس رمضان فلما التقوا خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدمهم وهو محمد بن على بن حردون ودخل عسكر الدز المدينة فنهبوا بيوت الغورية والباميانية وحصر الدز القلعة فخرج جلال الدين منها في عشرين فارسا وسار عن غزنة فقالت له امرأة تستهزئ به الى أين تمضي خذ الجتر والشمسة معك ما أقبح خروج السلاطين هكذا فقال لها انك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرون به بالسلطنة لي وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان آتيك بالعساكر فبقي الدز محاصرها وأراد من مع الدز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وأرسل الى علاء الدين يأمره بالخروج من القلعة وتهدده ان لم يخرج منها وترددت الرسل بينهما في ذلك فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وأرسل من حلف له الدز أن لا يؤذيه ولا يعترض اليه ولا الى احد ممن يحلف له وسار عن غزنة فلما رآه الدز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علاء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانا بسراويله فلما سمع الدز ذلك ارسل اليه بدواب وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما البسه

وكأنهم اصمام فهي لا تصغي ولا تكاد * وقد فرشت ساحتها بالرخام منقولا من كل فج عميق * ومضرب سحيق * على تنطيع التربيع أشد ملاسة من راحة الفتاة * وصفحة المرآة * وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز * ولو عاش سنمار لعقد في جنبها معقد الواهن العاجز * فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تسترق الابصار * وتقيد النظار * وأما التذهيب فحسبك به ان صناع الرصافة قد عزت عليهم الحقاق * وصح لهم تكليف ما لا يطاق * وليس بصفائح الزرياب فقط لكنه ضبات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام المجذوذة * والبددة المأخوذة * فطفقت تعرض على النار * بعد ان كانت آلهة للكفار * وتضرب بالمطارق * بعد أن عبدت بالخدود والعناقق * أوليس الذى ينفق على جدران مساجد الله عبرة للموحدين * وغيظا على

ورك الثاني فلما وصل الى غياث الدين نباب سواد وركب حصانا فاخرجوا له مراكب ملوكية وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد ان انظر الى الناس وما صنع في اهل غزنة حتى اذا عدت البلاد خربتها وخيبتها لا يلومني احد ودخل دار الامارة وشرع في جمع العساكر

•(ذكر ملك الدز غزنة)•

قد ذكرنا استيلاء الدز على الاموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحب شهاب الدين واحد من الوزير موبد الملك فجمع له العساكر من أنواع الناس الاتراك والخلج والغز وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علاء الدين ما ذكرناه فلما خرج علاء الدين من غزنة أقام الدز بدار ارغنه ما يظهر طاعة غياث الدين الا انه لم يأمر الخطباء بالخطبة له ولا لغيره بل بالخطبة والترحم على شهاب الدين الشهيد حسب فلما كان في اليوم الرابع أحضر مقدمي الغورية والاتراك وقدم من كان مع علاء الدين وأخذه وقدم على أميرداد والى غزنة فلما كان الغد وهو سادس عشر رمضان أحضر القضاة والفقهاء والمقدمين وأحضر أيضا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علي بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولا الى شهاب الدين فقتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضي غزنة يعرفهما اني أريد أن انتقل الى الدار السلطانية واذا خاطبت الملك ولا يمتنعن حضوركما ويتميز من هذا ان اشتغر امور الناس فحضر فنعبر ركب الدز والناس في خدمته وعليه ثياب الحزن وحلس في الدار فعمر مجلس كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيرت لذلك نيات كثير من الاتراك لانهم كانوا يطمعون بطاعتهم لغياث الدين الساطان غياث الدين لخيرا وبرآء يريد الانفراد بغزو من طاعته حتى انهم هموا بترك عطائهم فعل واقطع الاقطاعات الكثيرة وفرق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فاتفقوا من خدمة الدز وطلبوا منه ان يقصدوا خدمة غياث الدين وابن أخيه صاحب باميان فارسل غياث الدين الى الدز يشكره على فعله لا خراج أولاد بهاء الدين من غزنة وسرقه الخلع وطلب منه الخطبة والسكة فلم يفعل واعاد الجواب مغالطة وطلب منه ان يعطيه المقربين بعتقه من الرق لان غياث الدين ابن اخي سيده لا وارث لسواه وان يزوج ابنه ابنة الدز فمنعه الى ذلك واتفق ان جماعة من الغورية من عسكر صاحب باميان أغاروا الى اعمال كرمان وسوران وهي اقطاع الدز المنيعة فنهبوا وقتلوا فارسل مملوكه صونج في عسكر فلقوا عسكر الباميانية فقاتلهم وقتل منهم كثيرا وانفذ رؤوسهم الى غزنة فنصب بها واشرى الدز غزنة بقوم بهاء الدين وهرب اهلها ما لوا الاجتماع بالخلع المعتاد والرسم مويد الملك ان تكون ورايه فامتنع من ذلك فخاطبه فاساء على كرمه ودخل على مويد الملك مدبر به بيته فعال علماتهم من بعد كوب المواد الجبار والسد

ومن ركب النور بعد الهوا • دا منكر الملاته والنسب

بسية الدز باني الى ابا القصر حتى آثنه في الدسوك أصبح على بابه ولو حفظنا الشعر مع هؤلاء الاتراك الكتاب الى حكم آخر

•(ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه)•

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانه كان لما اطاعه موهو يستولي سراد وكذا المتولاء

المقدس • أتم حياته • واكرم وابنه بمن بعد معمود ا • وخصه بالمنع والنصر محصود ا • لعوده من رنحو وارمعار • وهو محتاج الى معاده • وجرى القصر الاسلام ملكا هذه ألفه • وأعماله • وامتهان الروح والممسوح • في محل القدأه • وآدابه • ولم وقد أمر السلطان بحاصه يباني المستنصر ما عليه مكتب السامة موضع القبا • مناسب الرواة والارحاه • فرشه وازارا بعض الرخام كذلك عليه الظهوره حتى نعل من أرض نساويه ولذا أحيط بكل رخامه منها طراز من الذهب الاحمر مكحلا باللازورد • في لمعان جص الوان المنثور والورده حتى من يرجله يد نسيه عمل طبانه • لا يستصاه • لا زال هذا الاساس ديمما بيانه • الامن راى مسجدا دمشق هراعه مرأى • وشاقه النظر حتى شاه • ومن ما يلبس يوجد شرواه • ودون هذا البيت بلونك المنسوبه • وتتعكس عليك التشبيه وشبدات الجنس بعض معانيه • والابداع أحسن جهاته • وأعمال الهند

الدين بن محمد بن ابى على قد ولاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض الداور فلما بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد ويأخذ الخزائن التى بها وكان علاء الدين حسن السيرة من أكابر بيوت الغورية الا ان الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وأبى الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ولانه كان كراميا مغاليا فى مذهبه وأهل فيروزكوه شافعية وألزمهم ان يجعلوا الاقامة مثنى فلما وصل الى فيروزكوه أحضر جماعة من الامراء منهم محمد المرغنى وأخوه ومحمد بن عثمان وهم من أكابر الامراء وحلفهم على مساعدته على قتال خوارزمشاه وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارا له بخلافه واله ولولده من بعده وكان غياث الدين بمدينة بست لم يتحرك فى شئ انتظارا لما يكون من صاحب باميان لانهما كانا قد تعاهدا أيام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند لبهاء الدين وكان بهاء الدين أقوى فلهذا لم يفعل شيأ فلما بلغه خبر موت بهاء الدين جلس على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلف الامراء الذين قصدوه وهم اسمعيل الخلجى وسونج أمير اشكار وزنكى بن خرجوم وحسين الغورى صاحب تكياباذ وغيرهم وتلقب بالقاب أبيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمد بن أبى على وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصده عن رأيه ويسلم مملكته اليه وكتب الى الحسين بن خرميل والى هراة مثل ذلك ايضا ووعده الزيادة فى الاقطاع فاما علاء الدين فاغلظ له فى الجواب وكتب الى الامراء الذين معه يتهددهم فرحل غياث الدين الى فيروزكوه فارسل علاء الدين عسكرا مع ولده وفرق فيهم مالا كثيرا وخلع عليهم ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبا من فيروزكوه فلما تراءى الجمعان كشف اسمعيل الخلجى المغفر عن وجهه وقال الحمد لله ان الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم لم يضيعوا حق التربية وردوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغورية الذين انعم عليكم والده السلطان ورباكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجئتم تقاتلون ولده اهذا فعل الاحرار فقال محمد المرغنى وهو مقدم العسكر الذين يصدرون عن رأيه لا والله ثم ترجل عن فرسه والقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبل الارض بين يديه وبكى بصوت عال وفعل سائر الامراء كذلك فانهزم أصحاب علاء الدين مع ولده فلما بلغه الخبر خرج عن فيروزكوه هاربا نحو الغور وهو يقول انا امشى اجاور بمكة فانفذ غياث الدين خلفه من رده اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على جماعة من أصحاب علاء الدين الكرامية وقتل بعضهم ولما دخل غياث الدين فيروزكوه ابتدأ بالجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته وقدم عليه عبد الجبار بن محمد الكيرانى وزير ابيه واستوزره وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين لم يكن له همة الا ابن خرميل بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتخذه ابا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد ابن الفضل النيسابورى وعلى بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويين ومقدمى المحال وقال لهم قد بلغنى وفاة السلطان شهاب الدين وانا فى الحر خوارزمشاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا الى على المساعدة على كل من نازعنى

من خدم نقوشه * والهمة العلياء قد سمت بعروشه * نعم وأمام هذا البيت مقصورة شعار يح عليها منصوبة تسع ثلاثة آلاف غلام متى شهدوا للفرض أخذوا أماكنهم منها صفوفا * وأقبلوا على انتظار الاذان عكوفا * وأضيف الى المسجد مدرسة فيحاء تشتمل بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف الائمة الماضين * من علوم الاولين والآخرين * منقولة من خزائن الملوك الصيد نقروا عن ديار العراق * ورباع الآفاق * حتى اقتنوها بخطوط * كفرائد سموط * مصححة بشهادات التقييد * وعلامات التحقيق والتشديد * ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر فى علوم الدين على كفاية ذوى الحاجة منهم ما يمسهم جراية وافرة * ومعيشة حاضرة * وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق تفضى اليه فى أمن من ابتذال العيون اللواح * واعتراض الرجال من بين صالح وطالح *

فأجابه القاضي وابن زياد ما اتفق على كل الناس الا وقصد غياث الدين فقد علم ما لابن خرميل كان غياث الدين يحسن إلى الناس الى غياث الدين فقالت في الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزم شاه يطلب منه أن يرسل اليه عسكراً ليصير في طاعته ويعينه على الغورية فطلب منه خوارزم شاه الانقياد وإرسال رهينه ويرسل اليه عسكرا فسير ولده الى خوارزم رهينة فكتب خوارزم شاه الى عسكره الذي بنيسابور وعند حاكم بلاد خراسان يأمرهم بالتوجه الى هراة وان يكونوا يتصرفون بأمر ابن خرميل ويعملون بأمره هذا وغياث الدين يتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يعده ويمنيه ولا يصرح بطاعته انتظار العسكر خوارزم شاه ولا يرسم في طاعته ولا الخطبة ويظهر طاعته عند مسير عمه الى الأمير علي بن أبي علي صاحب كالوين أطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجه الى هراة فثبطه بعض الامراء الذين معه وأشاروا عليه بانتظار آخر أمره وترك معاقبته واستمالة ابن خرميل الصاحب في أمر غياث الدين فقال له علي بن عبد الملك بن زياد مدرس النظامية وهو مولى وقوف خراسان الى بيده الغورية جميعها يدعي ان يخطب للسلطان غياث الدين وترك المغالطة انه اتفق على شيء فأمضى أبي ونوبتي في مه وكان قصده أن يبعد عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل من الغدر والميل الى خوارزم شاه وحثه على قصد هراة وقال له أنا أسلمها البلد ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامراء خوفهم وقال متى ان لا تترك له فقد يرسل اليه جيشاً ولا به هراة ففعل ذلك وسير مع ابن زياد بعض أصحابه ثم ان غياث الدين كاتب أمراء بن مصير صاحب الطالقان ليجمع اليه فتوقف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقف أيضاً فقال له أهل البلد لم يسلم البلد الى غياث الدين وتوجه والاستمالة وقد بلغ وأرسل اليه فاضطر الى المضي الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه الطالقان شيء واقطع الطالقان سونج مملوك أبيه المعروف بأمير شكار

•(ذكر استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان)•

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والي هراة خوارزم شاه وهو أستحق الانتماء اليه والطاعة له وترك طاعة الغورية وخداعه لغياث الدين ومغالطته بالخطبة والطاعة انتظار الوصول عسكر خوارزم شاه وصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة نخطب ما بقي ترتيب عسكر خوارزم شاه منهم فلما كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة فقال نحن في شغل أهم منها وصول هذا العدو وطالت المجادلات بينهم في ذلك وهو مصر على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزم شاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم على باب البلد فقالوا له قد أمرنا خوارزم شاه أننا لا نخالف لك أمراً فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كل يوم ويقيم لهم الوظائف الكثيرة وأتاه الخبر ان خوارزم شاه نزل على بلخ فحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله ظاهر البلد فلم ينل بالقرب منها فنزل على أربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزم شاه وقال لجواسيسه لقد أخطأنا حيث لم نمنع هذا الرسول فإني أرى أنا علمنا وشرع في إعادة العسكر فقال للأمراء ان خوارزم شاه قد أرسل الى غياث الدين يقول له إنني على العهد الذي بيننا وأنا أترك ما كان لأبيك من خراسان والمصلحة ان ترجعوا حتى تنظروا ما يكون فعادوا وأرسل اليهم الهدايا الكثيرة

ثم كتب اليه على يد ... ووصل طلباً منه حتى يمضي المكتوبه ومقتضى الأمر والمنوبه • فأماسا تردد الطلب وقصور المواد لما بين صاحب الاتفاق عليها الا من أبناء اعيارات وساعدها اختيارات فنزل على الامطار ألمه لتشرف على الهضاب مرماتها وبكلا فعرف فيه ... الحرم عرفاتها وباهل من بلد يضوي على مراحل أقاصيل يشعل كل منها سابقه ... دار اكثر وحطه وسعه ان اقتحمنا الى اذا أراد مهر البلاد • وكثر العادة وهو على ما ساعتذير

•(ذكر الاتابكيه)•

ولما قضى السلطان وطرة القبط بغربه وأقبل الحرب بنعمه وخيم الوقت عاسر ربعه • وقد كان طرا تنكس الاتابكية المسموطين للال تلك المناسك السوابح • والرعاب السوادح • تعرضوا دخل الصناع اذا في عسكره منصرفه من فيروزكوه اقتراعا منه أماكنهم • وحصانه مساكنهم • أو تطلبا بلجاء أعمالهم • والتباسها

وكان غياث الدين حيث اتصل به وصول عسكر خوارزمشاه الى هراة أخذ اقطاع ابن خرميل وارسل الى كرزبان واخذ كل ماله بها من مال واولاد ودواب وغير ذلك واخذ أصحابه فى القيود وأتاه كتب من يميل اليه من الغورية يقولون له ان رأى غياث الدين قتلك ولما سمع أهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وماله عزموا على قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ من يتسلم البلد وكتب القاضى صاعد قاضى هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك فلما سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله وبما عزم عليه أهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضى واحضر اعيان البلد وألان لهم القول وتقرب اليهم وأظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددت عسكر خوارزمشاه وأريد ارسل رسولا الى غياث الدين بطاعتى والذى اوثره منكم ان تكتبوا معه كتابا بطاعتى فاستحسنوا قوله وكتبوا اليه بما طلب وسير رسوله الى فيروزكوه وأمره اذا جنه الليل ان يرجع على طريق نيسابور ويلحق عسكر خوارزمشاه ويجدّ السير فاذا لحقهم ردّهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومين من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلما كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلما دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسمله واخرج القاضى صاعدا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج من عنده من الغورية وكل من يعلم انه يريدهم وسلم ابواب البلد الى الخوارزمية واما غياث الدين فانه برز من فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرا فاخذوا احشيرا كان لاهل هراة فخرج الخوارزمية فشنوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدم الى هراة وجعل المقدم عليهم على بن ابى على واقام هو بفيروزكوه لما بلغه ان خوارزمشاه على بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن قيصر الذى كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرّفه انه على اليزك ويأمره بالمجىء اليه فانه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل فى عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتى خالطوهم فقتلوا فيهم فكف ابن خرميل أصحابه عن الغورية خوفا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجى واقام بمكانه وارسل عسكره فشنوا الغارة على البلاد باذغيس وغيرها وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر ان علاء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز واما بلخ فان خوارزمشاه لما بلغه قتل شهاب الدين اخرج من كان عنده من الغوريين الذين كان اسرهم فى المصاف على باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال ان غياث الدين اخى ولا فرق بينى وبينه فمن احب منكم المقام عندى فليقم ومن احب ان يسير اليه فانى اسيره ولو اراد منى مهما اراد نزلت له عنه وعهد الى محمد بن على بن بشير وهو من اكابر الامراء الغورية فاحسن اليه واقطعه استمالة للغورية وجعله سفيرا بينه وبين صاحب بلخ فسير اخاه على شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلما قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورى اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزمشاه يعلمه قوتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلما وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقو بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ليلا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرا وهو

عنا كبرأمثالهم * ورأى أن ينقم منهم بركضة تبيح عليهم أوكارهم * وملاجئهم * ويخضب بدماء النحور جاجئهم * فعزم على ما دبر * وصمم على ما قدر * وورّى بنهضته * نحو احدى أقطار بيضته * ثم ركض عليهم فى خاصته ركضا صبحهم فى مراقدهم فلم يشعروا الا بحر الصفاح * على برد الصباح * ضربات تقطف الرؤس على النحور * وتفرغ البحور على الحور *
صرعى الى صرعى كان جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فيا لها نبهة أتت عليهم الرقود * وآلت حالفة أن لا تعود * أو تشهد اليوم الموعود * فكم من جثث فوق الاعلام * ورؤس تحت الاقدام * حتى اذا اسلحمت السيوف أجسامهم * ولم تستبق الا أيامهم وأيتامهم * كفت كف الاقتدار * وعلا ذروة العز بالاقتدار * وعادت تلك الوعور سهولا * وكان امر الله مفعولا * وعطف الى غزنة مميلا للرأى بين أن يشتو ببلخ مستجما * ولغابر السنة فى القرار مستقما * وبين أن يركب نية يمنية

يتطرّ المقدّمين أصحابه أولاد بهاء الدين صاحب باميان وكانوا قد ساعدوا عمّهم على ما ذكرناه
وعلى ما نذكره إن شاء الله تعالى فأقام خوارزم شاه على بلخ أربعين يوماً كل يوم يركب إلى
الحرب فيقتل من أصحابه كثير ولا يظفر بشيء فراسل صاحبها عماد الدين ع محمد بن علي بن بشير
الغوري وبذل له بذلاً كثيراً ليسلم إليه البلد فلم يجبه إلى ذلك وقال لا أسلم البلد إلا إلى أصحابه بعزم
على المسير إلى هراة فلما أسر أصحابه أولاد بهاء الدين صاحب باميان إلى غزنة المرة الثانية على
ما نذكره إن شاء الله تعالى وأسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وأرسل محمد بن علي بن بشير
إلى عماد الدين فآنسه وعرّفه حال أصحابه وأسرهم وأنه لا يبقى عليه عتب ولا له في التأخر عذر
فلم يلتفت إليه ولم يزل به يخدعه ويرغبه ويرهبه حتى أجاب إلى طاعة خوارزم شاه والخطبة له
وذكر اسمه على السكة وقال أنا أعلم أنه لا يفي له وأرسل من يستحلفه على ما أراد فلما تم الصلح خرج
إلى خوارزم شاه فخلع عليه وأعاده إلى بلده وكان ذلك في ربيع الأول سنة ستمائة وسار خوارزم شاه
خوارزم شاه إلى كرزبان ليحاصرها وبها علي بن أبي علي وأرسل إلى غياث الدين يقول إن هذه
كان قد أقطعها أخي لابن خرميل فتنزل عنها وإلا سلمها وقال يحيى ويحكم السيف فأرسل إليه
خوارزم شاه مع محمد بن علي بن بشير يرغبه ويؤنسه فسلمها غياث الدين ولم يزل به حتى نزل عنها
وسلمها وعاد إلى مرو وركب غياث الدين بعد ذلك فسمع في الأمر أفرقه وسلم خوارزم شاه
كرزبان إلى ابن خرميل ثم أرسل إلى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه إليه ويقول قد حضر
مهم ولا غنى عن حضورك فأنت اليوم من أخص أوليائنا فحضر عنده فقبض عليه وسيّره إلى
خوارزم ومضى هو إلى بلخ فأخذها واستناب بها جعفر التركي

•(ذكر ملك خوارزم شاه ترمذ وتسليمها إلى الخطا)•

لما أخذ خوارزم شاه مدينة بلخ سار عنها إلى مدينة ترمذ مجداً وبها ولد عماد الدين الذي كان
صاحب بلخ فأرسل إليه محمد بن علي بن بشير يقول له إن أباك قد صار من أخص أصحابي وأكابر
أمرائي وقد سلم إليّ بلخ وإنما ظهر لي منه ما أنكرته فسيّرته إلى خوارزم مكرماً محترماً وأما
أنت فتكون عندي أخاً وأعطيك الكثير فخدعه محمد بن علي فرأى صاحبها أن
خوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر وأصحابه قد أسرهم
الدز بغزنة فضعفت نفسه وأرسل من يستحلف خوارزم شاه فحلف له وتسلم منه ترمذ وسلمها
إلى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزم شاه سبّة عظيمة وذكراً قبيحاً في حاصل الأمر ثم ظهر
للناس بعد ذلك أنه إنما سلمها إليهم ليتمكن بذلك من ملك خراسان ثم يعود إليهم فيأخذها وغيرها
منهم لأنه لما ملك خراسان وقصد بلاد الخطا وأخذها وأفناهم ظهر للناس أنه فعل ذلك
خديعة ومكراً أعمل الله له

•(ذكر عود أصحاب باميان إلى غزنة)•

قد ذكرنا قبل وصول الدز التركي إلى غزنة وإخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدي بهاء الدين
سام صاحب باميان منها بعد أن ملكاها وأقام هو فيها ورحل من غزنة في الخامس
الخامس من ذي القعدة من السنة ... وبعث إلى الرعية وأقطع البلاد للأجناد
فصعب عليهم ذلك وصار إلى غياث الدين ولم يخطب لأحد ولا لنفسه وكان يعد الناس بأن

يعرفون تقسم بالي صالات
الكرود من دهابات الهجود •
ظهراً على من كان نصيب
منه • في مهربه • كالورعة
المصبة لا تطلب العقوبة
ما يصليه منه الإسلام
أن يسمع على المعود
ترصبه • أو يسمى في مجاهر
الاجتهاد بيمنه • وهي بحالة
نحو الهند وتوسّل بيوت
مهمى السهوات مهوات
الحيول • وتقوى الألباب
ملامة الفحول • ويعتزون
بالظهور وأمره من فرعه
وبالاستكبار وسابقه
ونصرته • وبالسموم بأحمر
مطوية • وبالأسن الطرد
منها من شربه • وبالعرق
السائل ما يريده • وبالقسطل
الثائر ما يصير قتات مسك
وبد • ويصيرون الليل سكاً
وقراراً • وبالصوم نهاراً
وسعاراً • لكن نفعه لبس فإن
آباءهم المسرعات العوامل •
والراعيات القواتل •
وأعمالهم القسي الجوارح •
وأسرالهم النبال القوارح •

يصل

رسولي عند مولاي غياث الدين فاذا عاد خطبت له فيفرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم وبغياث الدين لانه لو لم يظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وسائر الرعايا وكان حينئذ يضعف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلما ظفر بصاحب باميان على ما نذكره أظهر ما كان يضمره فبينما هو في هذا أتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدي بهاء الدين صاحب باميان في العساكر الكثيرة وانهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفا شديدا وجهز الدز كثيرا من عسكره وسيرهم الى طريقهم فلقوا اوائل العسكر فقتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزما يطلب بلده كرمان فأدركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة آلاف فارس فقاتلهم قتالا شديدا فردهم عنه وأحضر من كرمان مالا كثيرا وسلاحا ففرقه في العسكر وأما علاء الدين وأخوه فانهما اتيا غزنة لم يدخلاها وسارا في اثر الدز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضا وملك علاء الدين كرمان وأمنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونهبها فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيب قلوبهم واخبرهم غيره ممن يثقون اليه انهم مجمعون على النهب فاستعدوا وضيقوا ابواب الدروب والشوارع واعدوا العرادات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يسكنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفي اهل البلد فأرسل الى امير كبير من الغورية يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخا كبيرا يرجعون الى قوله يعرفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفع في الناس ففعل وبالغ في الشفاعة وخوفهم من اهل البلدان اصروا على النهب فأجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذي القعدة ومعهم الخزانة التي اخذها الدز من مؤيد الملك لما عاد ومعه شهاب الدين قتيلا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسعمائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين أن يستوزر مؤيد الملك فسمع اخوه جلال الدين فأحضره وخلع عليه على كراهة منه للعاملة واستوزره فلما سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيد الملك وقيده وحبسه فتغيرت نيات الناس واختلفوا ثم ان علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاححة في القسمة ما لا يجري بين التجار فاستدل بذلك الناس على انهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثم ان جلال الدين وعمه عباسا سارا في بعض العسكر الى باميان وبقي علاء الدين بغزنة فأساء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعية ونهب اموال الاتراك حتى انهم باعوا أمهات اولادهم وهن يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهن

وما زال يخوض أنهارا طافحة * ودوائم مانحة * وأودية هادية * لم تغض قط عن غرقاها دية * وعين الله ترعاه * في كل سعي يسعاه * حتى اقتحم مغارات أولئك المغاوير * بل ديارات اولئك المداير * فظلت رذايا القل يضجون بالويل والثبور * ضجيج النوق رواجع بيت الله المعمور * وما زال السلطان يصفح عن آمن وأطاع * ويفضح من أظهر الامتناع * بعد ان أصاب غنائم لا يضبطها حساب * ولا يطعمها ماء ولا تراب * حتى انتهى به المسير الى ما يعرف براهب غائر المخاض * حتى القرارة كالخضخاض * يبتلع الخف والحافر * ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر * فاذا هو ببر وحيال من تلك الجيزة في رجال كالصريم * وأفيال تحت الأديم * قد أخذ من فاجئ الركضة حذره * وأسند الى زاخر النهر ظهره * ورام ان يمنع السلطان عبوره * ويشغل

(ذكر عود التتر الى غزنة)

لما سار جلال الدين من غزنة وأقام بها أخوه علاء الدين جمع الدين من معه من الاتراك عسكرا
كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كرمان وعسكروا وقتلوا جماعة من الغورية ووصل
التتر يريدون الى كرمان فسار اليهم وحصل على مدينته بملوكا كثيرا من ثم السلطان شهاب
الدين احمد اى ذكر التتر فى الى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان
بكرمان عسكر لعلاء الدين مع أمير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم أبو علي بن
سليمان بن سنجر وهو وأبوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب
لا يعرفان عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا
ما كانا عليه فهجم عليهم اى ذكر التتر ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون حتى ولهم قتلوا
عن آخرهم فمنهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم يسلم الا من ترك الاتراك ثم سار
ووصل التتر فرأى امراء الغورية كلهم قتلى فقال كل هؤلاء قاتلوا فقال اى ذكر التتر لا بل
قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخه وأحضر رأس ابن المؤيد بين يديه فجمع عسكر التتر فقتل
وأمر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى أبو علي بن سليمان بن سنجر ووصل التتر
الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة فطلب علاء الدين الذى ما تلبس فتغيمت
السماء وامطرت يسدقوت بعض غزنة وما بعد برد كثيرا فمنع بعض الحاج فصح التامر
الى علاء الدين فتراك المطلوب فانه آخر النهار فانكسف القلعة وسكن ما كانوا فيه وملك
التتر كرمان وأحسن الى اهلها وكانوا فى عرشه فسمع أولئك ولما سمع الخبر عند علاء الدين
ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان فعرفه الحال يستنجده وكان قد
أعد العساكر ليسير الى بلخ فرحل عنها جوار رسا فلما أتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة
وكان أكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا أخاه وقصدوا غياث الدين فلما كان
أواخر ذى الحجة وصل التتر الى غزنة ونزل هو وعسكره مارا قلعة غزنة وحصر علاء الدين
وجرى بينهم قتال شديد وأمر التتر فنودى فى البلد بالامان وتمسك الناس من أهل البلد
والغورية وعسكر باميان واقام التتر محاصر القلعة فوصل جلال الدين فى أربعة آلاف من
عسكر باميان وغيرهم فرحل التتر الى طريقهم وكان بمعامله الى ان سار اليهم أربعين يوما فلما
سار التتر سمع علاء الدين من كان عنده من العسكر وأمرهم أن يأتوا التتر من خلفه ويكون
اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلما خرج من القلعة سار سليمان بن سنجر الغوري
الى غياث الدين بفيروزكوه فلما وصل اكرمه وعظمه وجعله اميرا بفيروزكوه وكان ذلك
فى صفر سنة ثلاث وستمائة وأما التتر فانه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية ملى فاقتتلوا
قتالا صبرا واشتد فانهزم جلال الدين وعسكره وأخذ جلال الدين اسيرا واتى به الى التتر فلما رآه
رجل وقبل يده وأمر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه أسيرا والف اسير من
البامیانیة وغنم اصحابه اموالهم ولما عاد الى غزنة ارسل الى علاء الدين يقول له ليسلم القلعة
اليه والا قتل من عنده من الاسرى فلم يسلمها فقتل منهم اربعمائة اسير بازاء القلعة فلما رأى
علاء الدين ذلك ارسل مؤيد الملك يطلب الامان فامنه التتر فلما خرج قبض عليه ووكل به

من تمام العمر بجهوره
حتى اذا اكمل الفسل
مقالة • مرق فى نفسه
اشارة • من زمروان على
حمارة • فلما علم السلطان
ذلك من قصده • ورأى
استعداده واحتشاده
لسد امر الاطراف
نهب الثغور واهلك
من فيها فله المركوب
فاستقل الامر عليه منهم
يبدرون العدو والمصرى •
ويلتزمون كلمة التقوى •
فلما رأى بروحيال
استقلال المسلمين ما هم
فيه من ملته الصمه •
وخرج من ربقة المعصية •
فاراد الله سبحانه وتعالى
ان يصدق قول نبيه الامى
الامين • وبشره المزيد
بالتمكين • حيث قال صلى
الله عليه وسلم زويت لى
الارض فاريت مشارقها
ومغاربها • وسيبلغ ملك
امتى ما زوى لى منها •
فالهم تلك العصبة ان
يستولوا على اماكنها
ثغورا لاطراف فانشد
الاحضان بالتمثال •
ومرابطها عسكر وصار

وباحمه

وباخيه من يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة فلما خرج منها قبض عليه أيضا وكتب الى غياث الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

٭(ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان)٭

في هذه السنة اتفق صاحب مراغة وهو علاء الدين هو ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان وأخذها من صاحبها ابي بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر في احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز فلما علم صاحبها أبو بكر أرسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد وهو مملوك أبيه البهلوان وهو في طاعة أبي بكر الا انه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى أبي بكر فأرسل اليه أبو بكر يستنجده ويعرفه الحال وكان حينئذ ببلد الاسماعيلية فلما أتاه الخبر سار اليه في العساكر الكثيرة فلما حضر عنده أرسل الى صاحب اربل يقول له اننا كنا نسمع عنك انك تحب اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين فلما كان الآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب أموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجيء الينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انك هزمت هذا أما تعلم ان له مماليك أنا أحدهم ولو أخذ من كل قرية شحنة ومن كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انك ترجع الى بلدك وانما أقول لك هذا ابقاء عليك ثم سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلما سمعها مظفر الدين وبلغه مسير ايتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلم عسكره اليه وقال له انني قد كاتبني جميع امرائه ليكونوا معي اذا قصدتهم فلم يقبل مظفر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفا من الطلب ثم ان ابا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهم صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى أبي بكر هي كانت سبب الاختلاف واقطعه أبو بكر مدينتي استواوارمية وعاد عنه

٭(ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيلية)٭

وفي هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر الموت واستئصال أهلها فاتفق ما ذكرناه من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابي بكر كما ذكرناه

٭(ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلاد الجبل وما كان منهم)٭

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ايتغمش صاحبها مشغولا مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلو البلاد فلما عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين ايتغمش وصاحب مراغة سار ايتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال بين الطائفتين ثم انهزم

اولئك الضلال ٭ معجزة لم يسمع بمثلها قبلها ثمانية تجزع سيلا ٭ وتدفع فيلة وخيلا ٭ وبدر من لفظ السلطان ٭ عند عيان ذلك البرهان ٭ ان قال من قدر على السباحه ٭ فليتعب اليوم للراحه ٭ فاذا هو بخاصته ٭ ومعظم عامته ٭ خائضين ٭ واصعب الماء رائضين ٭ فتارة يسبحون بالاطواف ٭ واخرى يستريحون الى الاعراف ٭ حتى لفظهم النهر سالمين ٭ لم تشعب لهم جنيبه ٭ ولم تعطب لهم حريبه ٭ ولم تذهب بحمد الله قسيمه ٭ وحمل السلطان بهم وقد نزوا الى الظهور رجله توزعتهم بين عقير سكران ٭ من عقار الحدود ٭ وأسير حيران ٭ من اسر القدود ٭ وطريد يخاف وقع القواضب ٭ وقتيل برأى النجوم الثواقب ٭ فصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين فيلا ثقال الاجسام ٭ كثقال الغمام ٭ وطار الكافر هزيما ٭ لا يملك عزيما ٭ ولا يقدر تأخيرا

التقوا انهزموا وأخذهم السيف فقتل منهم وأسر خلق كثير ولم ينج منهم إلا اليسير وسبي نساؤهم وغنمت أموالهم وكانوا قد أفسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم

●(ذكر الغارة من ابن ليون على أعمال حلب)●

وفي هذه السنة والتي قبلها أغار ابن ليون الأرمني صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرق وأسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس إليه طريق لأن جميع بلاده لا طريق إليها إلا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول إليها لا سيما من ناحية حلب فإن الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل في مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه يعرف بميمون القصري منسوب إلى قصر الخلفاء العلويين بمصر لأن أباه أخذه منه فأحضر الظاهر ميرة وسلاحا إلى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وأمر ميمونا ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده إلى طريق هذه الميرة ليسير وأمنها إلى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر إلى ابن ليون فجد وأتاه وهو مخف من العسكر فنازله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون إلى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه وأثقاله على قلة من معه من المسلمين وكثرة الأرمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل وأسر وكذلك أيضا فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل وظفر الأرمن بأثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الميرة إلى دربساك ولم يشعروا بالحال فلم يرعهم إلا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضا وعاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم

●(ذكر نهب الكرج أرمينية)●

في هذه السنة قصدت الكرج في جموعها ولاية خلاط من أرمينية ونهبوا وقتلوا وأسروا وسبوا من أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج إليهم من خلاط من يمنعهم فتصرفوا في النهب والسبي والبلاد شاغرة لا مانع لها لأن صاحبها صبي والمدبر لدولته ليس بذلك المطاع على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا واجتمعت العساكر الإسلامية التي بتلك الولاية جميعها وانضاف إليهم من المتطوعة كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الأخيار الشيخ محمد البستي وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفي أراك ههنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحا بمحل البستي من الإسلام فأتى إلى مدبر العسكر والقيم بأمره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوي عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر إليهم فنزل منزلا فوصلت الأخبار إلى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من وضعهم بطرف الوادي إلى أعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين إذا أظلم الليل فأتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وأمسكوا عليهم فم الوادي وأسفله وهو واد ليس إليه غير هذين الطريقين فلما رأى الكرج ذلك أيقنوا بالهلاك

ولا تصدعاه. وقد كان السلطان قبل انتقاله [illegible] الكافر. ولبس سوابغ الدروع والمغافر. أحد ما لامن كان الله تعالى مدده. فاتضح ما سره. ليخرج له قوله تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون. فلما حمى الله وعده. ونصر عبده. [illegible] على [illegible] ابنين واحب [illegible] عدلا يرضاه الإمام. وعمر [illegible] الإسلام. وشكر [illegible] الإمام. لا جرم أن الله [illegible] وحامه. و[illegible] أعراض آماله وأمانيه. والذي تذكره من [illegible] العدل [illegible] مقاديره وأرجح مكاييل ومعايير

●(ذكر أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد والقاضي شيخ الإسلام أبي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى إليه أمرهما بنيسابور)

قد كان أبو بكر من وجوه [illegible] الباهرة في صدر هذه الدولة لمكانه [illegible] من الزهادة. ونصبه الأطراف على

ـقطما فى أيديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهـم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرا واسروا امثالهم
ولم يفلت من الكرج الا القليل وكفى الله المسلمين شرهم بعدان كانوا أشرفوا على الهلاك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامير طاشتكين مجير الدين أمير الحاج بتستر وكان قد ولاه
الخليفة على جميع خوزستان وكان أميرا على الحاج سنين كثيرة وكان خيرا صالحا حسن السيرة
كثير العبادة يتشيع ولما مات ولى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين
زوج ابنته وفيها اقتتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بالعراق وكان سبب قتله
سعى بأبيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فأمر بالتوكيل على أبيه فبقى مدة ثم أطلقه
الخليفة ثم ان سنجر اقتل أخاله اسمه ٣ فأوغر بهذه الاسباب صدور أهله واخوته فلما
كان هذه السنة فى شعبان نزل بأرض المشوق وركب فى بعض الايام ومعه اخوته وغيرهم من
اصحابه فلما انفرد عن أصحابه ضربه أخوه على بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته
اليه فقتلوه وفيها تجهز غياث الدين خسروشاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون
وحصر صاحبها لانه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم
الروس وقفجاق وغيرها برا وبحرا ولم يخرج منهم أحد الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر
عظيم على الناس لانهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام
العراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم يفتح
الطريق تأذوا أذى كثيرا فكان السعيد منهم من عاد الى رأس ماله وفيها تزوج أبو بكر بن
البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك ان الكرج تابعت
الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهما كه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه
عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما رأى هو أيضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والانفة ما
يدفع المناحس ما يترك ما هو مصر عليه وانه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل الى الذب عنها
بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل
غمد سيفه وسل أيره وفيها حمل الى اربل خروف وجهه صورة آدمى وبدنه بدن خروف وكان
هذا من العجائب وفيها توفى القاضى أبو محمد بن محمد المانداى الواسطى بها وفيها فى شوال توفى
فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المروروذى وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله
منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب
وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج وفيها فى ذى الحجة توفى أبو
الحسن على بن على بن سعادة الفارقى الفقيه الشافعى ببغداد وبقى مدة طويلة معيدا بالنظامية
ثم صار مدرسا بالمدرسة التى انشأتها أم الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طلب
للنيابة فى القضاء ببغداد فامتنع فألزم بذلك فوليه يسيرا ثم فى بعض الايام مشى الى جامع ابن
المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغير ثيابه وأمر الوكلاء وغيرهم بالانصراف وأقام به
حتى سكن الطلب عنه وعاد الى داره بغير ولاية وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكى المقيم
بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة وفيها

٣ هكذا بياض بالاصل

العبادة واقتداه نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه * وكان الامير ناصر الدين ابو منصور سبكتكين يرى من عصابته فى التزهد والتعفف * والترهب والتقشف * ماقل وجود مثله فى كثير من فقهاء الدين * واعيان المتعبدين * فحلى ذلك بقلبه * كما حلى بعينه * والمجاهد فى الله محبوب * وقد يكرم أهل الشفاعات من له ذنوب * واستقر السلطان بعده على وتيرته فى ملاحظتهم بعين الاحترام * وايثار طوائف الكرامية بالاكرام * حتى قال ابو الفتح البستى فيما شاهد من نفاق أسواقهم الفقه فقه ابى حنيفة وحده

والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا
بمحمد بن كرام غير كرام

واضاف الى هذه الوسيلة القريبة * والذريعة الالهية * انه لما تورد جيوش الخانية خراسان * عند غزوة السلطان ناحية الملتان * قبضوا بنيسابور على أبى بكر احتياطا لانفسهم من شيعته * واحترسا من غامض

أسما وفي العصمة أو المكارم عرفه بن علي بن صلا السد معي يعداد وكان رجلا صالحا منقطعا الى العبادة رحمه الله

(ثم دخلت سنة ستمائة)

ذكر ملك غياث باميان وعودها الى ابن أخيه

في هذه السنة ملك غياث باميان من علاء الدين وجلال الدين ولدي أخيه بها الدين وسبب ذلك ان عسكر باميان لما انهزموا من الغور وعادوا اليها أحضروا ان علاء الدين وجلال الدين أسروا وان الغوريين معه عزموا على أخذهم فأخذوا برأيهما المعروف بالصاحب من الاموال كثيرا ومن الجواهر وبرهان التصعوا جميلا وسار الى خوارزم شاه يستنجده في الخوارزمية عسكرا يستخلص به صاحبه فلما سار وملك باميان ورأى عمهما غياث خلو البلد منه ومن أصحابه أخذه مع أصحابه وطمع في البلد فملكه وسعد الى القلعة فملكها وأخرج أصحاب ابني أخيه علاء الدين وجلال الدين منها فلم يطلع الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان ومعه الجموع الكثيرة وحصر عمها في القلعة وكان مطاعا في جميع ممالك بها الدين والده من بعده وأقام محاصرا الاانه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انما كان معه ما أخذه ليصل الى خوارزم شاه فلما خلص جلال الدين من أسر الدر على ما نذكر وسار الى باميان ووصل الى أرض وهي مدينة باميان وجاء اليه وزير أبيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عماسا المتغلب عليها ولاطفوه وسلم الجميع الى جلال الدين وقال انما حفظتها حوفا ان يأخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى ملكه

ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان

لما سلم خوارزم شاه ومضى الى الطالسا لعها الصعبة والنحوى وكتب الحسين بن خرميل أمر اشكاوا الى غياث الدين محمود بالطالقان سمعه لعاد الرسول بالتسليم فسمع وسوخ الحاولد ومنه وجمع عسكره وخرج وصادف خوارزم شاه التقوا بالقرب من الطالقان فلما تقابل العسكران حمل سونج وحده حتى قارب عسكر خوارزم شاه والقى نفسه الى الارض وروى سلاحه وقبل الارض وسأل العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما علم انه صاح دمه وسبه وقال من يثق الى هذا او اشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودواب واخذه الى غياث الدين مع رسول وحمله رسالة تتضمن التقرب اليه والملاطفة واستناب بالطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج الحسام الدين علي ابن أبي علي صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فأرسل الى خوارزم شاه يقول له لم يسلم اليه قال انا الملوك وهذه الحصون نهي أمانة بيدي ولا أسلمها الا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذم سونج وللطالع غياث الدين حسن سونج وتسلم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده ونفي عليه بسلامة أصله وخرج الامير والمرع خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يكن ابن خرميل احد من الخوارزميين ان يطرح بالاذى الى أهلها وانما كان يسمع منهم الجماعة بعد الجماعة مقطوعون الطريق وهذه عادة الجواد رمسير ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه بالهدايا

مكيده ويتناولون حالهم من طلب رايات السلطان من مغاربها وأومن صرف الحوض من مغاربها الى ان وجد منهم فرسه الاثلاث والسلامة على من ملك الآفاق وابعد السلطان ذلك فيما يرمواه واوجب له حجابا طلبه دون من اعانه وسلب من أرباب البدع الباطنية على ما تأسس به الاعتقاد واقتلع ملهمه الصغائر والتبات فقام واقتصب تسلسل من السلطان اسمائهم وتعدد الدين الله تعالى في احتنال أموالهم فخرجوا من أطراف البلاد وطلبوا عن تلك العادة وكان أبو بكر هذا احد أعوان السلطان على بأمشر الله وبمو يالرأي علته فسار اليه كل من متعمر واه وعاد الملا في عارض الخطب شورى ورأى الناس ان يعتقه الهم الغائل ومدته السعد الكامل فصعدوا لما الطاعة وفرشوا الصدور الصراعة والعقيدة الراسخة في السنة الصوفية وجلالة الخاصة والعامة

بالهدايا ورأى الناس عجبا وذلك ان الخوارزميين لايذكرون غياث الدين الكبير والده‍ذا غياث الدين ولايذكرون أيضا شهاب الدين أخاه وهما حيان الا بالغوري وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الآن مع عظم شأنه وقلة هذا غياث الدين لايذكره الا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده وأما ابن خرميل فانه سار من هراة في جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفزار في صفر وكان صاحبها قد توجه الى غياث الدين فحصرها وأرسل الى من بها يقسم بالله لئن سلموها أن يؤمنهم وان امتنعوا أقام عليهم الى أن يأخذهم فاذا أخذهم قهرا لا يبقى على كثير ولا صغير فخافوا فسلموها في ربيع الاول فأمنهم ولم يتعرض الى أهلها بسوء فلما أخذها ارسل الى حرب بن محمد صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فأجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك في الخطبة والدخول في طاعته فغالطه ولم يجبه الى ماطلب ولما كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن خرميل قد أخرجه من هراة في العام الماضي وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلما وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه ان هذا يميل الى الغورية ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولي القضاء بهراة الصفي أبا بكر بن محمد السرخسي وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء بهراة

(ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك)

لما عاد الدز الى غزنة واسر علاء الدين وأخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فأجابه في هذه المدة أشد منه فيما تقدم فأعاد غياث الدين اليه يقول اما ان تخطب انا واما ان تعرفنا ما في نفسك فلما وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وأمره يخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلما سمع الناس ذلك ساءهم وتغيرت نياتهم ونيات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلا ان يخدموه وانما كانوا يطيعونه ظنا منهم انه ينصر دولة غياث الدين فلما خطب لنفسه أرسل الى غياث الدين يقول له عاذا تشتط علي وتتحكم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد أخذناه وانت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتني بامور لم تف بها فان أنت اعتقتني خطبت لك وحضرت خدمتك فلما وصل الرسول أجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما يريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلما أجابه الى العتق أشهد عليه به وأشهد عليه أيضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وأرسل الى كل واحد منهما ألف قباء وألف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل وأرسل الى كل واحد منهما رسولا فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له أصحاب وسار رسول أيبك اليه وكان بفرشابور وقد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه في أمن فلما قرب الرسول منه لقيه على بعد وترجل وقبل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال اما الجتر فلا يصلح للمماليك واما العتق فقبول وسوف أجازيه بعبودية الابد وأما خوارزم شاه فانه أرسل الى غياث الدين يطلب منه ان يصاهره ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسيرمعه

نعين المرجو والمخوف* ووجدت خاصته سوفا للاطماع* بعد الابتداع* فاستزبنوا الناس* واستفتحوا الاكياس* فن الطمنهم بكاس* رمى بفساد معتقده* أو يعطي الجزية عن يده* وغبرت على هذه الجملة سنون لا مطمع لاحد في تبديل شكلها* وتحويل فادح الحال عن اهلها* ولا علم لهم بأن الزمان بتغيير الاحوال ضمين* وبالخلاف عن صورة المعتاد رهين* ومن صبر على الايام رأى الرفيع وضيعا* والضليع ضريعا* وشاهد عن سموم القيظ صرا كالحاوصقيعا* واتفق للقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اثنتين واربعمائة وهو الامام المرموق* والزاهد الموموق* والفاضل الجزل* والبازل الفحل* قضى اكثر عمره على الحظ النفيس* من غرر الدرس والتدريس* تتطفل عليه الاعمال ويأباها* وتصب اليه الاعراض فيرى الخيار فيما عداها* ومن حاز شرف العلم لم يشتر به ثمنا قليلا* ولم يعدل به حظا وان كان جليلا* فلما حصل بدار السلام وانتهى الى

في الصباح كان ايدكز على غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال اثلاثاً ثلثاً لخوارزم شاه وثلثاً لعلاء
الدين وثلثاً للعسكر فأتاه الخبر وليس الا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بعزيمة صاحب
مازندران فسار من هراة الى مرو وجمع الجند والصلح خرج الشر بما عطم ليظهر أمره على
وأرسل الى غياث الدين يقول له انما جئت على هذا المال لحملي عليه عساكر وحلافة على تسار
الدز كما ذا أخذها والى حبس وبعث الاعمال ليملكها وقطع خطبة غياث الدين بها
وأرسل الى صاحب سجستان يأمره بإعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه
وأرسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهددهما بقصد بلادهما فخافه الناس من ان
الدز لم يخرج جلال الدين صاحب باميان من أسره وسير معه خمسة آلاف فارس مع أيدكز التتر
علاء الدين الى باميان ليعيدوا الى ملكه ويزيلوا ابن عمه وزوجه ابنته وسار معه
ايدكز ... لانه على ... خطبة الدز وقال أتم ما صنعت لسوء خطبة غياث الدين وهو
أكبر منكم واشرف فما تلبس خلعة هذا المأمون ... الى العود معه الى غزنة
واعلمه ان الاتراك كلهم مجمعون على خلاف الدز فصبحه الى ذلك فعاد ايدكز فأمر لا أسر
معك وعاد الى كابل وهي اقطاعه فلما وصل ايدكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين
ايبك الى الدز يعتبه ويأمره باقامة خطبة غياث الدين ويعتبر انه قد خطب له في بلاده
وصول لما انه لم يخطب له وإن اصطلح يؤمره وبعود الى طاعته والا قصده وحاربه فلما علم ايدكز ذلك
قوي قلبه على محاربة الدز وصمم العزم على قصد غزنة ووصل ايضاً رسول ايبك الى غياث
الدين بالهدايا والتحف وبشر بأنه خوارزم شاه الى ما طلب الا ... وقصد الفراغ من أمر
غزنة ليسهل أمر خوارزم شاه وغيره واستدعاها عليه اجمعه فكتب ايدكز الى ايبك بعزمه
عصيان الدز على غياث الدين وما فعل في البلاد وانه على عزم مسابقته الدز وهو ينتظر أمره
فأعاد ايبك جوابه يأمره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة أقام بها الى ان يأتيه وان لم يحصل
له القلعة وقصده الدز فليحضر اليها والى غياث الدين او يعود الى كابل فسار الى غزنة وكان
جلال الدين قد كتب الى الدز يعرفه مسير ايدكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوابه بقلعة غزنة
يأمرهم بالاحتياط فعرفوا ما أيدكز أول رجب السنة وقد حذروا ولم يسلموا اليه القلعة
وسمعوا منها فأمر أصحابه بنهب البلد فنهبوا اعلمه مواضع منه قتر سط القاضي الحلال فأبى ان
السمعي الى الحرانة مخمس ألف دينار ركبه وأخذه من التجار شيئاً آخر وخطب ايدكز
بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز فمرح الناس بذلك وكان موئدا لملك سريب عن الدز بالهلنه
ووصل الخبر الى الدز بوصول ايدكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه بعين بقصد
وخطب لغياث الدين في كان المتواصط امعصن ابطله مخطبه ورحل الى غزنة فلما
قاربها رحل ايدكز عنها الى بلاد الغور فأقام في تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وأنفذ
اليه المال الذي أخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعاً واعتقه وخاطبه بملك
الامراء ورد عليه المال الذي كان اخذه من الخزانة وقال له اما مال الخزانة فقد أعدناه
اليك لتصرفه وأما اموال التجار وأهل البلد فقد ارسلته مع رسول ليعاد الى أربابه لئلا يصح
دولتنا بالظلم وقد عوضناك عنه وأرسل أموال الناس الى غزنة الى قاضي غزنة وأمره ان

الصادر بالتأمير المؤمنين
حضره في جميع بيت الله
الحرام • فوبل عصبى
حمى الاسلام • من واجب
الاثرة والاكرام • وظاهر
التوقير والاعظام • وصدر
بالكتاب الى السلطان بما
عرض سابقه • وفي مهملة
أوجب الاحتياط شرحها
على لسان نصابه • فلما عاد
من وجهته • مضى الى
حضرة السلطان بغزنه
بعرض ما تحمله وقرر
ما تحمله • وادى من حق
الامانة اللازمة • وتم الاسناد
ابو بكر محمد بن ابي الحسن يجري
في شأنه ذكر الكرامة
واطلاق القول بالتعميم •
وتعريض الله تعالى لما لا
يليق بذاته الكريم • فأمر
السلطان لهذه السعا
من مقالهم • والعزيز من
فحوى سند الهم • ودعا
السلطان بأبي بكر بملاعنه •
وبالحاضرين بما لعنه •
فانكر أبو بكر اعتقاد
مقالته • وأظهر البراءة
مما حيل به عليه • فسلم مع
الانكار من مس العنف
والانكار • فأما المأمون
فان الكتب من السلطان
صدرت الى العمال في عدم
الاستماع عليهم في
اظهار البراءة من قوله
السليم • واعتقاد الموجب
للتبديع • وكذلك امر من

يرد المال المنفذ على اربابه فانهى القاضى الحال الى الدز وأشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال أنا الساعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجىء اليه وقال لا تسأل فى عبد أبق قد بان فساده واتضح عناده فاقام بغزنة هو والدز وسير غياث الدين عسكرا الى ايدكز التترفاقاموا معه وسير الدز عسكرا الى روين كان وهى لغياث الدين وقد أقطعها لبعض الامراء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله وأخذوا أولاده فمضى وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بست وتلك الولاية فاستردها وأحسن الى أهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى

(ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده)

فى هذه السنة توفى حسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج أخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك على شاه بن خوارزم شاه تكش أخو خوارزم شاه محمد وهو ينوب عن أخيه فيها فشكا اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه أن ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب على شاه الى أخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران وأخذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فسار واعن جرجان فاتفق ان حسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده أخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل على شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخربوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع وأقام بقلعة كوراوهى التى فيها الاموال والذخائر وحصروه فيها بعد أن ملكوا اسامة البلاد مثل سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون وخطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاه الى جرجان واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى بها أخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه وأخوه لا يرد جوابا ولا ينزل عن حصنه

(ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية)

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو وصاحب قونية وبلد الروم مدينة انطاكية بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انه كان حصرها قبل هذا التاريخ وأطال المقام عليها وهدم عدة ابراج من سورها ولم يبق الا فتحها عنوة فارسل من بها من الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينها وبين بلاده وأمرهم بقطع الميرة عنها فاستمر الحال على ذلك مدة حتى ضاق باهل البلد واشتد الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظن الفرنج ان الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع الخلاف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مجدا فى طائفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرر الحال بينه وبين الروم وتسلم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلمه وقتل كل من كان به من الفرنج

عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن أصر على دعواه * ولم يختر لنفسه سواه * جعل معناه عليه حصيرا * ورد لسانه دون الفضول قصيرا * وخلع السلطان على القاضى أبى العلاء * خلعة لاقت بجلالة قدره * وزخارة بحره * ورعاية أمير المؤمنين لحقه * وايعازه بتمهيد أمره * وصرف كلا منهما على جملة الاستئناس * والتفخيم على أعين الناس * ولم تزل غصة القول بالتجسيم ناشبة فى صدر أبى بكر يصارع الايام على نهزة المكافأة بها الى أن استتب له الامر فى عقد محضر على اتصاله بمذهب الاعتزال وتصنع خطوط قوم من الاعيان سلكوا فيه طريق المساعدة * وتنفقوا به عن وعرة المنافسة * فغيظ مالا يطاق داء دخيل * وهم على مر النفوس نزيل * واحتيل فى عرض المحضر على السلطان استفسادا لصورته لديه * فوقع التدبير موقعه من الاسقاط عليه فرأى السلطان أن يبعث

(ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده)
في هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه أرمن بن
سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن ايلغازي بن
ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك ان ولد بكتمر كان صبيا جاهلا فقبض على الامير شجاع الدين
قتلغ مملوك شاه أرمن وهو كان أتابكه ومدبر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند
والرعية فلما قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان
الشرب فكاتب جماعة من اهل خلاط وجماعة من الجند ناصر الدين صاحب ماردين يستدعونه
اليهم وانما كاتبوه دون غيره من الملوك لان اباه قطب الدين ايلغازي كانت أمه اخت شاه أرمن
ابن سكمان وكان شاه ارمن قد استحلف له الناس في حياته لانه لم يكن له ولد فلما قصدوه بعد هذه
الحادثة ذكروا تلك الاحوال وقالوا نستدعيه ونملكه فانه من أهل شاه أرمن فكاتبوه وطلبوه
اليهم ثم انفرد عن الملك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد كاشف ولد بكتمر بالعداوة والعصيان
فسار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط
فملكها واتفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظن ان أحدا لا يجتمع عليه ويسلمون اليه
البلد فنزل قريبا من خلاط عدة ايام فارسل اليه بلبان يقول له ان اهل خلاط قد اتفقوا على
الملك البلد وهم معي وقد اتى العرب والرأي ان ترحل عنا مرحلة واحدة ونسلم اليك
البلد فانه البلد لا يمكنني ان املكه الا هكذا فعمل صاحب ماردين ذلك فلما ابعد عن خلاط
ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والا جئت اليك وأوقعت بك وبمن معك وكان قد لحقه من
الجيش ما عاد الى ماردين وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابي بكر بن أيوب صاحب
حران والرها والجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين يطلب منه انه يريد قصد خلاط يقول له ان سرت
الى خلاط قصدت بلدك واخذته فان ملك خلاط يقوى عليهم فلما سار الى خلاط جمع
الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاحتد عليها وأقام يسيرا حتى جبى الاموال السلطانية
فلما فرغ منه عاد الى حران فكان وصول صاحب ماردين ═ ما قبل ... وسير
عادت بلاد دين وأما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيق على اهلها وبها ولد
بكتمر فجمع من عنده بالبلد من الاجناد والعامة وخرج اليه فانهزم أمامهم بلبان وعبر معه
من يعتمد عليه وعاد الى الذي بيده من البلاد وهو ملازكرد وأرجيش وعبر فيها من الحصون وجمع
العساكر واستكثر منها وعاد فحصر خلاط وضيق على اهلها فاضطرهم الى خذلان ولد بكتمر
لصغره وجهله بالملك واشتغاله باللهو ولعبه ثم قبضوا عليه في القلعة وأرسلوا الى بلبان وحلفوه
على ما أرادوا وسلموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع أعمال خلاط وحبس ابن بكتمر في
قلعة هناك واستقر ملكه فصار من اذا أراد امرا اصابه بالامس يقصدها شمس الدين
محمد بن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن أيوب فلم يقدر واحد منهما عليها والآن يظهر هذا
المملوك العاجز العاري من الرجال والبلاد والاموال فيملكها صبرا ثم ان نجم الدين
أيوب بن العادل صاحب ميافارقين سار نحو بلاد خلاط وكان قد استولى على عدة حصون من
أعمالها منها حصن موش وغيره فلما قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقاتلته فطمع

من صوره المرموع اليه
في احتماله موثوق • أو
انطالته ركود • أما هو
عامي قلبانه • واوحد
ثقاته • أبا محمد الناصحي من
لم يسر كأحدق اصطناعه
والملك الى العليا بيانه •
فانه احصيه على طرائه
شأنه المعتبر للوحدان
في فرح الانسان • فصلا
عن أحداث القصاد
والسنان • وهما العلم
والورع احواله ودهما الدر
بالسا قوته • والعمه تكفاف
الصوت • وأعلمه به دار
الملك قد بين القوى •
واصاح الناس من ساطع
نور في التقوى • حتى اذا
جرى كأنه • وطفح المسائل
مكانه • ولاه القضاء على
المساق عامه ديار عمالك
ثم مورثه وأماناته • وورعه
وراحته • فتولا نفس
كصفحه الشمس طهاره
ونقاء • أوروضه الفرتدعها
السماحه • وأمره ان
يستصحب القاضي أبا العلاء
صاعدا وأبا بكر الاسانق
وجوه الزوار • وأعيان
الشهود وبطالب بإقامة
الشهادة على الدعوى

وأوغل فى الدرب فاخذ عليه بلبان الطريق وقاتلاه فهزمه ولم يفلت من أصحابه الا القليل وهم جرحى وعاد الى ميافارقين

((ذكر ملك الكرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج))

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من أعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدة طويلة وضيقوا على من فيه وأخذوا دخل الولاية عدة سنين وكل من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة من عليه من الكرج فلا يجاب له دعاء فلما طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع يأخذه منهم وصارت دار شرك بعد أن كانت دار توحيد فانا لله وانا اليه راجعون ونسأل الله أن يسهل للاسلام وأهله نصرا من عنده فان ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سد الثغور وحفظ البلاد ثم ان الله تعالى نظر الى قلة ناصر الاسلام فتولاه فأمات ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرهم الى آخر السنة

((ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان))

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين أمير الحاج لانه زوج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس وأصبهان وخوزستان فقاتلوا أهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك ان مملوكا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من أكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوى الرازى واجتاز بخوزستان وأخذ منها ما أمكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظمه وزوجه ابنته ثم توفى أبو طاهر فقوى أمر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما أمر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسأل أن لا يقصده ويخرج الى الخروج عن العبودية فلم يقبل عذره فجمع أهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وأرسل الى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب أصبهان وهمذان والرى يعرفهما الحال ويقول انى لاقوة لى بعسكر الخليفة لما أضيف اليهم عساكر أخرى من بغداد وعادوا الى حربى وحينئذ لا أقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوى جنانه واستقر على حاله

((ذكر عدة حوادث))

فى هذه السنة قتل صبى صبيا آخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كل واحد منهما يقارب عشرين سنة فقال أحدهما للآخر الساعة أضربك بهذه السكين مازحه بذلك وأهوى نحوه بها فدخلت فى جوفه فمات فهرب القاتل ثم اخذ وأمر به ليقتل فلما أرادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

قدمت على الكريم بغير زاد * من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظن ان تعتد زادا * اذا كان القدوم على كريم

وفيها حج برهان الدين صدر جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة البخارى رئيس الحنفية

المذكورة على رؤس الملا من غير محاشاه * أو جنوح الى مداهنة ومحاباه * وقابل الامر بالامتثال * وتجافى من حرمة العلم لحشمة الملك وهيبة الجلال * وسأل ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال * وجلية المقال * وأما أبو بكر فانه اراد أن يلا فى بانى الخطب فزعم أن الاشتراك فى رتبة العلم أحدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبى التجسيم والاعتزال فلاصح ما نسبنى اليه * ولا تقرر ما ادعيته عليه * وأما الآخرون فمن جار على حكم المساعده * فى المحاباة والمهاوده * ومن حاذر لثام الاحتشام فى التصريح * والطلاق الدعوى باللفظ الفصيح * مكاشفة عدت الشهادة الى التعصب * وجاوزت حد المعلوم الى التغضب * وبين ذلك وجوه اهل الرأى حتى كادت تثور فتنة لولا أن هيبة السلطان أجرت الالسن الطوال * وضربت على القوس التطامن والانخزال * وتلطف قاضى القضاة

بصارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدي الخراج الى الخطا وسر بهم في البلد فلما حج لم
يحسن سيرته في الطريق ولم يصنع معروفا وكان قد أكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلما عاد لم
يلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاج وسماه الحاج صدر جهنم وفيها في شوال مات شيخنا أبو الحرم
مكي بن ريان بن شبة النحوي المقري بالموصل وكان عارفا بالنحو واللغة والقراآت لم يكن في
زمانه مثله وكان ضريرا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة
حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة
الى الليل وفيها مات أمير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج
عن سبع بقتاله المرحوم وبقي في طائفة من أصحابه الى الشام وسار الحاج ومعهم الجند
فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب فأقطعه اقطاعا كثيرا بمصر وأقام
عنده الى أن عاد الى بغداد سنة ثمان وستمائة في جمادى الاولى فانه لما التمس الوزير أمانا على
نفسه وأرسل يطلب العود فأجيب اليه فلما وصل أكرمه الخليفة وأقطعه الكوفة وفيها في
جمادى الآخرة توفي أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المقري وكان المتطوف في
بيمارستان بغداد وكان قد مضى الى المغرب في رسالة من الخليفة فحصل له بسببه عشرة
آلاف دينار مغربية ففرقها جميعها في بلده على معارفه وأصدقائه وكان صالحا خيرا نعم الرجل
رحمه الله وله شعر حسن وكان فقيها عالما بالادب وأقام بالموصل مدة يشتغل على الشيخ أبي الحرم
وانتفعت به كثيرا عند الشيخ أبي الحرم رحمه الله

(ثم دخلت سنة أربع وستمائة)

(ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها)

في هذه السنة عبر علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك أن الخطا
كانوا قد طال أمرهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على أهلها ولهم في كل
مدينة نائب يجبي اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل أن يملكوا وكان
مقامهم بنواحي أوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحي فاتفق أن سلطان سمرقند
وبخارا ويلقب خان خانان يعني سلطان السلاطين وهو من أولاد الخانية عريق النسب في
الاسلام والملك أنف وضجر من تحكم الكفار على المسلمين فأرسل الى خوارزم شاه يقول له ان
الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين
وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن
نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة
فأجابه الى ذلك وقال أخاف أنكم لا توفون لي فسير اليه صاحب سمرقند وجوه أهل بخارا
وسمرقند بعد أن حلفوا صاحبهم على الوفاء بما ضمنه وضمنوا له الصدق والثبات على ما بذل
وجعلوا عنده رهائن فشرع في اصلاح أمر خراسان وتقرير قواعدها فولى أخاه على بلد
طبرستان مضافا اليه جرجان وأمره بالحفظ والاحتياط وولى الامير كزلك خان وهو من أقارب
أمه وأعيان دولته نيسابور وجعل معه عسكرا وولى الامير جلدك مدينة الجام وولى الامير
أمين الدين أبا بكر مدينة زوزن وكان هذا أمين الدين حمالا فصار أكبر الامراء وهو الذي ملك

لعرض الحال • وتقرير
صورة الحال • واتفق أن
قبض الامير أبو المظفر نصر
ابن ناصر الدين في مجلس
السلطان فرصة القول
في باب القاضي أبي العلاء
ما علقته على سمعه وبصره
وأشاع ورعه وتقواه •
والتمس على سبيل التلطف
أن يجمع تلافي العصابة •
وتدارك المهانة الطارئة عليه
بمراسلة تجلي مكاتبته •
والتعرض لاستقرار مكانته •
موثقه السلطان بما قاله
وحدث ان صاعد اراد
من أن يعتقد الاعتزال •
وأمر بإحضار من اتهمه
لمراجعته • ومعاملته بما
التمسه حكم واجبه •
واستطلع القاضي قرارة
نيته • فلم يكن يبرأ الا عرض
نفسه • أو عليه • معتزيا
بالله تعالى فيما عنه •
ومستعيذا بالله عما قدروه عليه من
سيرة • ورأى ان نفسه
اليوم أحرى ان تضاع على
العمل والعال • وخدمه
فصول الآمال • ومراوله
ما يصم قلبه العلم بالاستدلال •
واستتاب ولد به كالقرد لس

كرمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقر الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها ألف فارس من الخوارزمية وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب في مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا وأمرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وجمع الخطا فخندوا وجمعوا وجاؤا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه

(ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة وأسر خوارزمشاه وخلاصه)

ثم ان ابن خرميل صاحب هراة رأى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية وتعديهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولا الى خوارزمشاه يعتذر ويعرّفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه محاققته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له انى قد أمرت عز الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام أن يكون عندك لما أعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل الى جلدك يأمره بالمسير الى هراة وأسرّ اليه أن يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو أول ساعة يلقاه فسار جلدك فى ألفى فارس وكان أبو طغرل ايام السلطان سنجر واليا بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلما قارب هراة أمر ابن خرميل الناس بالخروج بتلقيه وكان للحسين وزير يعرف بخواجه الصاحب وكان كبيرا قد حنكته التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقائه ودعه يدخل البلد منفردا فانى أخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزمشاه أمر بذلك فقال لا يجوز أن يقدم مثل هذا الامير ولا التقيه وأخاف ان يضطغن ذلك على خوارزمشاه وما اظنه يتجاسر على فخرج اليه الحسين بن خرميل فلما بصر كل واحد منهما بصاحبه ترجل للالتقاء وكان جلدك قد أمر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل وأصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعد للحصار ونزل جلدك على البلد وأرسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدده ان لم يسلم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورى وقال لجلدك لا أسلم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدموا ابن خرميل الى السور تخاطب الوزير وأمره بالتسليم فلم يفعل فقتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدم من أخباره عند شهاب الدين الغورى ما يدل على غدره وكفرانه الاحسان ممن أحسن اليه فلما قتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزمشاه بجلية الحال فانفذ خوارزمشاه الى كزلك خان والى نيسابور والى أمين الدين ابى بكر صاحب زوزن يأمرهما بالمسير الى هراة وحصارها وأخذها فسارا فى عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحل ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزمشاه سلمتها اليه فقاتلوه وجدوا فى قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصن هراة وعمل لها أربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلما فرغ من كل ما أراد قال بقيت اخاف على هذه المدينة شيأ واحدا وهو ان تسكر المياه التى لها اياما كثيرة ثم ترسل دفعة واحدة فتخرق اسوارها فلما حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا

أو الشعريين * أبا الحسن وابا سعيد شريكى عنان فى المروءة والفتوة * ورضيعى لبان فى أوامر النبوة * وأحكام آيات الله المتلوة * فى قضاء المواجب * واحتمال النوائب * فعفا له عن حقوق الناس * وفرغ لعلم النظر والقياس * وحظى بمثل ما أنبأ عنه ابو الفتح البستى من حاله

قد جمع الله أربعا لى
فيهن عزى وحسن حالى
بلاغ علم مساغ شرب
رفاغ عيش فراغ بال

نعم واطلق تمادى الايام على نباهة أبي بكر وارتفاع مكانته * واتساع حشمته ومهابته * وانبساط أيدى حاشيته * فى اموال واعراض اهل ناحيته * واستمرار العناد بينه وبين أعيان الاشراف فى جيرته * ألسن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله * وبغى من جرح خباله * ادلالا بأفاعيله * واعتمادا بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله * فتداركه الاحتمال * مدة من الزمان

المسلمين لحصب كثيرا ثم أطلقوها على هراة فأحاطت بها ولم تصل الى السور ولا الى ارض
المدينة من تقدمه فامتلأ الخندق ماء وصار حولها وحل فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال
لبعدهم من المدينة وهذا كان قصد ابن حرميل أن يملأ الخندق ماء ويمنع الوحل من القرب
من المدينة فأقاموا ينتظرون نشف الماء فكان قول ابن حرميل من أحسن الحيل وعاد الى
قتال خوارزم شاه الخطا وأسره وأما خوارزم شاه فانه دام القتال بينه وبين الخطا في بعض
الايام اقتتلوا واشتد القتال ودام بينهم ثم انهزم المسلمون هزيمة قبيحة وأسر كثير منهم وقتل كثير
وكان من جملة الاسرى خوارزم شاه وأسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود
أسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلامية الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فأرسلت
اخت كزلخان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة وأعلمته الحال فلما سمع الخبر سار عن هراة
ليلا الى نيسابور واخبر الامير أمين الدين أبو بكر صاحب زوزن [illegible] وهو ومن عنده من
الامراء فيهم [illegible] أن يجري بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم فيخرجون اليهم فيلقون
منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته وكان خوارزم شاه قد خرب سور نيسابور لما ملكها
من العنوة فشرع كزلخان بعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الحشد وعزم على
الاستيلاء على خراسان ان صح فقد السلطان وبلغ خبر عدم السلطان الى أخيه علي شاه وهو
بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعد لطلب السلطنة واختلفت خراسان
اختلافا عظيما وأما السلطان خوارزم شاه فانه لما أسر قال له ابن شهاب الدين مسعود دع
ان تدع السلطنة في هذه الايام وتصير خادما لعلي احتال في خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود
ويقدم له الطعام ويخلع نعله ويخدمه ويعظمه فقال الرجل الذي اسرهما لابن مسعود أرى
هذا الرجل يعظمك فمن أنت فقال أنا فلان وهذا غلامي فقام اليه واكرمه وقال لولا ان القوم
عرفوا بمكانك عندي لاطلقتك ثم تركه أياما فقال له ابن مسعود اني أخاف ان يرجع المنهزمون
فلا يراني أهلي معهم فيظنون اني قتلت فيعملون العزاء والمآتم ويقتسمون [illegible] ورهم
يقتسمون مالي فاهلك واحب أن تقرر على شيئا من المال حتى احمله اليك فقرر عليه مالا وقال
اريد أن تأمر رجلا عاقلا ليذهب بكتابي الى اهلي ويصدقوه [illegible] ويحضر معه من يحمل المال ثم
قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامي اثق به ويصدقه اهلي فاذن له الخطائي
فانفذه بعيده وأرسل معه الخطائي عدة من الفرسان يحمونه فساروا واحسن فلما قاربوا
خوارزم عاد الفرسان عن خوارزم شاه ووصل خوارزم شاه الى خوارزم فاستبشر به
الناس وضربت البشائر وزينوا البلد وأتته الاخبار بما صنع كزلخان بنيسابور وبما صنع
أخوه علي شاه بطبرستان

(ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان)

لما وصل خوارزم شاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلخان وأخوه علي شاه وغيرهم
سار الى خراسان وتبعه العساكر فتقطعت ثم وصل هو اليها في اليوم السادس ومعه ستة
فرسان وبلغ كزلخان وصوله فاخذ امواله وذخائره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علي شاه
مكانه وسار على طريق قهستان ملتجئا الى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه

مبنيتها قائمة على المنعة
من الانتزاع * والعارية
من الارتفاع * واهلها على
الحبل المرموق في القصص
ان لم يه الحطاط * أو يصل
له باباه * حتى اذا حاور
الاعمال بحده * واسع
المستراد بعده * بعد
السلطان ولاية نيسابور
لابي علي الحسن بن محمد بن
العباس وقد كان يتمثل
ملوك آل سامان محدودا *
وفي جملة الاصول والتبا
معدودا * وأثر قابوس آثار
الرجال محمودا * ووافى
ابواب السلطان * أول
مقدمه خراسان * وانتماء
منصب اصحاب الجيوش
بها لآل سامان * فاقبل
عليه [illegible] على مناسبة
الاسرار ومعرفة السابقة
وعرف السلطان له حق
الخدمة والاصطناع * غير
انه انبسط في سابقه فعاد
كما قيل

وكل امرئ يوما مناه الى الردى

وكان يصرف أبا النصر احمد
ابن ميكال هراة * واصر
مستنابه * فيا الى جملته
لسانا لملميل * ويرج يبرج

فتلقاه واكرمه وانزله عنده وأما خوارزم شاه فانه دخل نيسابور وأصلح امرها وجعل فيها نائبا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى أولئك الامراء واوثقهم لانهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا من هراة غرضا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزمشاه الى الوزير يقول له انك وعدت عسكري انك تسلم المدينة اذا حضرت وقد حضرت فسلم فقال لا أفعل لانى اعرف انكم غدارون لا تبقون على احد ولا أسلم البلد الا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزمشاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتفق جماعة من اهل هراة وقالوا اهلك الناس من الجوع والقلة وقد تعطلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يعد تسليم البلد الى خوارزمشاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزمشاه ولم يسلم ويجب ان نحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدة التى نحن فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكتب من البلد الى خوارزمشاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا ابرجين من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزمشاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستمائة واصلح حاله وسلمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرائه فلم تزل بيده حتى هلك خوارزمشاه واما ابن شهاب الدين مسعود فانه اقام عند الخطا مدية فقال له الذى استأسره يوما ان خوارزمشاه قد عدم فايش عندك من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال لم لا عرفتنى حتى كنت اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتكم عليه فقال الخطائى سر بنا اليه فسارا اليه فأكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك

(ذكر قتل غياث الدين محمود)

لما سلم خوارزمشاه هراة الى خاله أمير ملك وسار الى خوارزم أمره أن يقصد غياث الدين محمود ابن غياث الدين محمد بن سام الغورى صاحب الغور وفيروزكوه وأن يقبض عليه وعلى أخيه على شاه بن خوارزمشاه ويأخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار أمير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه أمير ملك وعلى على شاه أخى خوارزمشاه فسأله أن يحملهما الى خوارزمشاه ليرى فيهما رأيه فارسل الى خوارزمشاه يعرفه الخبر فأمره بقتلهما فقتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه وذلك سنة خمس وستمائة أيضا وهذا غياث الدين هو آخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من أحسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادا وكان محمود هذا عادلا حليما كريما من اكرم الملوك اخلاقا رحمه الله تعالى

(ذكر عود خوارزمشاه الى الخطا)

لما استقر أمر خراسان لمحمد خوارزمشاه وعبر نهر جيحون جمع له الخطا جمعا عظيما وساروا اليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام الملك فيهم المعروف بطاينكو وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبا كثيرة وكان مظفرا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزمشاه وصاحب سمرقند وتصافوا هم والخطا سنة ست وستمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدة وصبروا فانهزم

القدح قدح ابن مقبل* واحدث له شكر النعمة حشمه * وصفوا لخدمة أدبا وهممه * فلما مضى أبو نصر لسبيله * أنهى الى السلطان حاله فى كيسه وذلاقته * وظرفه ولباقته * فاستحضره ليخبره * فوافق أولى النظرة قبولا * وطرفا بمرود الاعجاب منه مكحولا * وازداد على طول الخبرة وفاقا * وعلى سوق الخدمة نفاقا * فما نمو الاشياء اصلحها التدبير * ولقحها التابير * والماء الثمير * حتى سمت به المراتب * وتوجهت اليه الرغائب * وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود * وسادات الاقلام والحدود * وكان غرض السلطان فى عقد الرياسة له أن يقمع به من انعقدت له بدالة التأله والتعبد * وسابقة الترهب والتزهد * فقدر ان الذى حظى به معقود بالدين فلا سبيل الى حله * ولا محاق أبدا لمستهله * ويرجع به الى ما يوجبه حكم التقية * من رفض المراتب العلية والمطامع

الخطا هزيمة منكرة وقتل منهم وأسر خلق لا يحصى وكان ممن أسر طاينكو مقدمهم وحمل
الى خوارزم شاه فأكرمه وأجلسه على سريره وسيره الى خوارزم ثم قصد خوارزم شاه الى بلاد
ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ أوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى
خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من أحسن الناس صورة وكان أهل خوارزم يجتمعون
حتى ينظروا اليه فزوجه خوارزم شاه ابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون
بسمرقند على ما كان رسم الخطا

(ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين)

لما عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة خوارزم شاه وأقام معه نحو سنة فرأى سوء سيرة
الخوارزميين وقبح معاملتهم فندم على مفارقة الخطا فأرسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند
ليسلمها اليه ويعود الى طاعته وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية ممن كان بها الذي
وجد بها وأخذ أصحاب خوارزم شاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الأسواق كما
يعلق القصاب اللحم وأساء إجابة الأمان ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه
فأغلقت الأبواب ووقفت بجواريها تمنعه وأرسلت اليه تقول أنا امرأة وقتل مثلي قبيح ولم يكن
مني اليك ما استوجب به هذا منك ولعل تركي أحمد عاقبة فاتق الله في تركها ووكل بها من
يمنعها التصرف في نفسها ووصل الخبر الى خوارزم شاه فقامت قيامته وغضب غضبا شديدا
وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء فنهته أمه عن ذلك وقالت ان هذا البلد قد أتاه الناس
من أقطار الأرض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل فأمر بقتل أهل سمرقند فنهته أمه
فانتهى وأمر عساكره بالتجهز الى ما وراء النهر وسيرهم أرسالا كل عسكر جماعة فعبروا وحصروا
سمرقند بخلق كثير لا يحصى ثم سار هو بنفسه في آخرهم ونزل على سمرقند وأرسل الى صاحبها
يقول له قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد
عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت فقال لا أخرج وافعل ما بدا لك فأمر
عساكره بالزحف فأشار عليه بعض من معه بأن يأمر بعض الأمراء إذا قصدوا البلد أن يقصدوا
الدرب الذي يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرق اليهم فإنهم غرباء وكلهم كارهون لهذا
الفعل فأمر بعض الأمراء بذلك وزحف ونصب السلالم على السور فلم يكن بأسرع من أن
أخذوا البلد وأذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من أهل سمرقند فنهب البلد وقتل أهله
ثلاثة أيام فيقال انهم قتلوا منهم مائتي ألف انسان وسلم ذلك الدرب الذي فيه الغرباء فلم يعدم
منهم الفرد ولا الآدمي الواحد ثم أمرهم بالكف عن النهب والقتل ثم زحف الى القلعة فرأى
صاحبها ما ملأ قلبه هيبة وخوفا فأرسل يطلب الأمان فقال لا أمان لك عندي فزحفوا عليها
فملكوها وأسروا صاحبها وأحضروه عند خوارزم شاه فقبل الأرض وطلب العفو فلم يعف
عنه وأمر بقتله فقتل صبرا وقتل معه جماعة من أقاربه ولم يترك أحدا ممن ينسب الى الخانية
ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لأحد معه في البلاد حكم

(ذكر الوقعة التي أفنت الخطا)

لما فعل خوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى من سلم منهم الى ملكهم فإنه لم يحضر الحرب فاجتمعوا

السيرة فلما وردها أناس
أهلها ساسة لو أنس اليها
وكد لما دال السياسة بعبس
استزاده فقص عليه
حتى صر الحاذق
وسكن حتى دبيب العقارب
وهدأ حتى معقب المراتب
وسكن حتى دوي المذاهب
فكأنما السلبه خضب
الماء
فلكل ساعة أو هلة في الوجار
انصار ومن للطار استتار
وقد سعدنا بمعروف انتقامه
في الملك حتى ما تنكب عماره
ها ان همة السلطان هي
التي حطمت الأمم
وخطبت الأقاليم ولو
وكل بعض همته برواسي
الجبال لا نقض ملوه
أو نظر الى البحار لعادت
مروره فما خطر خطه منه
منهاج الرشد تأنه ويعمى
عندها من قصد الصواب
فيه أو ماه ومن أحس
في حسن حاله عن عون
القدر وحكم الملك الدوار
على البشر أن القدر
يحمد على دعر المرتبهات
أو يقدح على سن الصرل دهاب

عنده وكان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديما ونزلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلي خان فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل الى خوارزمشاه يقول له أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد أتى من هذا العدو من لا قبل لنا به وانهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك انا اذا ظفرنا بهم لا نتعرض الى ما أخذت من البلاد ونقنع بما في أيدينا وأرسل اليه كشلي خان ملك التتر يقول ان هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف أننا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التي ينزلونها فأجاب كلا منهما اني معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى ان نزل قريبا من الموضع الذي تصافوا فيه فلم يخالطهم مخالطة يعلم بها انه من أحدهما فكانت كل طائفة منهم تظن انه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزمشاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم فلم يسلم منهم الا طائفة يسيرة مع ملكهم في موضع من نواحي الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الا من جهة واحدة تحصنوا فيه وانضم الى خوارزمشاه منهم طائفة وساروا في عسكره وأنفذ خوارزمشاه الى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بأنه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكن من الخطا فاعترف له كشلي خان بذلك مدة ثم أرسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما اننا اتفقنا على ابادتهم ينبغي أن نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندي غير السيف ولستم بأقوى من الخطا شوكة ولا أعز ملكا فان قنعت بالمساكتة والا سرت اليك وفعلت بك شرا مما فعلت بهم وتجهز وسار حتى نزل قريبا منهم وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزمشاه أهله وأثقاله فينهبها واذا سمع ان طائفة سارت عن موطنهم سار اليها فأوقع بها فأرسل اليه كشلي خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص والا ان كنت سلطانا كما تقول فيجب أن نلتقي فاما ان تهزمني وتملك البلاد التي بيدي واما أن أفعل أنا بك ذلك فكان يماطله ولا يجيبه الى ما طلب لكنه أمر أهل الشاش وفرغانة واسفيجاب وكاسان وما حولها من المدن التي لم يكن في الدنيا أنزه منها ولا أحسن عمارة بالجلاء منها والالتحاق ببلاد الاسلام ثم خرب جميعها خوفا من التتر أن يملكوها ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكزخان التمرجي على كشلي خان التتري الاول فاشتغل بهم كشلي خان عن خوارزمشاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان

* (ذكر ملك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط) *

في هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مدينة خلاط وسبب ذلك انه كان بمدينة ميافارقين من جهة أبيه فلما كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة موش وحصرها وأخذها وأخذ غيرها مما يجاورها وكان بلبان لم تثبت قدمه حتى يمنعه فلما ملكها طمع في خلاط فسار اليها فانهزم منه بلبان كما ذكرناه أيضا وعاد الى بلده وجمع وحشد وسير اليه أبوه جيشا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وأرسل رسولا الى مغيث الدين

وتطرّف الرئيس أبو علي حواشي المقصود ينتزع منهم بعض ما أخذوه رشى * واحتجنوه ثروة وكشى * ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن أكل بالله * وأظهر الزهد في الدنيا ثم لم يتوكل على الله * ووهم بصاحبهم فأخذ حذره * وأرخى من دونه ستره * ولم يقصد السلطان قصد استئصاله * ولا انقضه عن فضول ماله * فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة * وغصص الفطام عن العادة * وعطف من بعد الى جماعة الاشراف العلوية * ذوي الاقدار العلية * وأشعرهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة * وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحد مكفولة * فتلقوه بالاجلال * وقابلوا أمره بالامتثال * علما بأنه ظل الله في أرضه فما يغني عنه غير الانقياد * والميل على العلو للاقتصاد * واستخلف أبو علي على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة أبا نصر منه ودين رامش وهو يضربه بقرابة أبي السلطان الا قطعها عليه صيانة له

طغرل شاه بن قلج أرسلان وهو صاحب أرزن الروم يستنجد على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعوا هو وبلبان وحصرا موش فأشرف الحصار على أن يملك فغدر ابن قلج أرسلان ببلبان صاحب خلاط وقتله طمعاً في البلاد فلما قتله سار الى خلاط فمنعه أهلها فسار الى ملازكرد فرده أهلها أيضاً وامتنعوا عليه فلما لم يجد له شيئاً من البلاد طمعاً عاد الى بلده فأرسل أهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكوه فحضر عندهم وملك خلاط وأعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفاً من أبيه وكذلك أيضاً ساءه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها لان المسلمين من ذلك أنهم قصدوا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من أعظم الحصون وأمنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فأرسل نجم الدين الى أبيه الملك العادل يعرفه الحال ويطلب منه نجدة وأن يسير اليه أخاه الملك الأشرف موسى بن العادل في عسكر فاجتمعا في عسكر كثير وحصرا القلعة وان وبها الخلاطية وجدوا في قتالهم فضعف أولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحاً وخرجوا منها وسلموها لنجم الدين واستقر ملكه بخلاط وأعمالها وعاد أخوه الأشرف الى بلده حران والرها

•(ذكر غارات الفرنج بالشام)•

في هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الأكراد وأكثروا الإغارة على بلد حمص وولايتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيراً فلم يكن لصاحبها أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بهم قوة ولا يقدر على دفعهم فاستنجد الظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده أحد الا الظاهر فانه سير له عسكراً أقام عنده وقصدوا الفرنج ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت بينهم وأطلق أسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس وحاصر موضعاً يسمى القليعات وأخذه صلحاً وأطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب وأحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم يستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادهم قبل البرد فترك طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وعادت عساكر الجزيرة الى أماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر أن أهل قبرس الفرنج أخذوا قطعة من أسطول مصر وأسروا من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في رد ما أخذوا وبينهم صلح فلم يفعل فاحتج بأن أهل قبرس ليس لي عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان أهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم لتعذر عليهم الأقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا وأعاد العادل من أمسكه فلم يتصل حال الفرنج بالعساكر ووصل عكا ما ذكرنا أنه استنجد صاحبها الى ما طلب وأرسل الأسرى

•(ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها)•

لما ملك خلاط وأعمالها الملك الأوحد نجم الدين بن العادل سار منها الى ملازكرد ليقرر

قواعدها

من عبيد الكرام • وتقرب الرسل عنده كالأرحام • وطوع له البلاد الأحرار • والأشراف الكبار • وأراد أن يصدموا بكرة وأصيلا • ويجتمعوا لطاعته جملة وتفصيلا • لا على ورم أمصرهم ما كان أو ميسورها في بلده • ويرى عما يصده • فقيض الله الاعيان • وأحدث ما به الاحداث • واستتب رواية لا عهد لاحد بمثلها من رؤساء أهل الأماصدا له العصبي ما به بلغ سلها ولكن على عرمنده • وعرعنده • وبأس شديد • وحزم وكيد • ومال سائل على الصلاة من مريد • وحرش في زمانه بساط العدل • سواء الأحساس • كرحالات القروة والرماس • اسرا كا في الاسداف • وتقت سوق الاحساب بالدر سوق الاسكار • فربعه من فرصه • ودبته عرصه وسدود على الحق مقلمه • وعبور على التحرز لسلامة • وطلب معها المناقات والمواجير • وحرب العداوة

قواعدها أيضا ورتبه على ما ينبغي أن يفعله فيها فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من العسكر فأخرجوه من عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه أرمن وان كان ميتا يعنون بذلك رد الملك الى أصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف أهلها فمال اليه بعضهم حسدا للآخرين فملكها وقتل بها خلقا كثيرا من أهلها وأسر جماعة من الاعيان فسيرهم الى ميافارقين وكان كل يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يسلم الا القليل وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة وتفرقت كلمة الفتيان وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرهم فانهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكا ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانما الحكم لهم واليهم

(ذكر ملك أبي بكر بن البهلوان مراغة)

في هذه السنة ملك الامير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك ان صاحبها علاء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفل وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فقضى عليه أمير كان مع أبيه وجمع جمعا كثيرا فأرسل اليه الخادم من عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقر ملك ولد علاء الدين الا انه لم تطل أيامه حتى توفي في أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد فلما توفي سار نصرة الدين أبو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما عدا قلعة روين دز فانها اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر فامتنع بها على الامير أبي بكر

(ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة)

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الري من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة الري ولقي من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا وحكم ابنه صاحب المخزن فلما كان في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل وأغلق بابه وكان سبب عزله انه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانه هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستمائة فارق الحاج بالمخروم وأرسل يعتذر ويقول ان الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعي الخلافة وقال الناس في ذلك فأكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

ألا مبلغ عني الخليفة أحمدا * توقّ وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * فعالك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق * فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فعزله وقيل في سبب ذلك غيره ولما عزل أرسل الى الخليفة يقول انني قدمت الى ههنا وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار ويسأل أن يؤخذ منه الجميع ويمكن من المقام بالمشهد أسوة ببعض العلويين فأجابه انا

والمزامير * وركدت ألحان الناعمات والسكارى * واستوت في الانحجار واللياذ بجاورات الاستار عون النساء والعذارى * فأما شوارع أسواق البلد فقد كانت منذ بنيت نيسابور فضاء لا يكنها أغشاء * ولا يظلها دون السماء سماء * تخرقها الاعاصير تارة وتردغها الأهاضيب أخرى فاما التراب مثارا * واما الانداء ثلوجا وأمطارا * لم يفطن أحد من ملوك خراسان وأصحاب الجيوش بها * لالحاقها بأخواتها * من ديار خراسان تسقيفا لها وتستيرا * وتنظيفا من الاقذاء وتطهيرا * حتى ورد الرئيس أبو علي وطالب أهلها به فلم يمض شهران حتى سمقت نحو السكك سقوفها * وقامت على ركائز الاعواد صروفها * فمن بين منقش ومزخرف * ومدبج بالاصباغ ومفوف * تنفتح منها فرج بقدر ما يلي ضياء النهار على الابصار * دون ما توسع لذرور الغبار * وتمكن لدرور القطار * ويخن البصراء

ما أنعمنا عليه شيء سوى ما أعاده ولو كان بملء الأرض ذهبا وتصدق على أمان الله وأماننا
ولم يلمه أهلها الستر حسبه ذلك فعراه الأعداء لئلا كثروا إليك فاختر لنفسك موضعا تنتقل
إليه وقر لعمرنا أحسن أن يكون هذا الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يمكن منه العدو
فتذهب نفسه فتفعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبا إلى الناس حسن ألفاظهم والإيناس
معهم صعبا على أموالهم صبرا طائلهم فلما قدم علاء الدين أمير الحاج من مصر إلى الخليفة عادله
وعادا إليها فسروا وأقام في النيابة في الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن أمسينا الواسطي
إلا أنه لم يكن متمكنا

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الأرض وقت السحر وكثرت
بالموصل ولم يكن لها حدة وخاف الأحوال كثير من البلاد الشام والمراد ولم يكن بالعراق
وفيها أطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حق البيع وما يؤخذ من أرباب الأمتعة من المكوس
من سائر المعاملات وكان حملها كثيرا وكان سبب ذلك أن بنت العز الدين نجاح شرابي الخليفة
وحسب أمري لها صدقة تذهب وتصدق بما حملها الرفعوا في حساب ثمنها مؤنة العمرة فكاتب
عسكره فوقف الخليفة على ذلك وأمر بإطلاق المؤنة جميعها وفيها في شهر رمضان أمر
الخليفة بإنشاء دور في المحال ببغداد لمصلحة الفقراء ودور الضيافة تطبخ فيها اللحم
الضأن والخبز الجيد على ذلك في سائر بغداد وحمل في كل دار من يوثق بأمانته وكان يعطي كل
إنسان قدحا مملوءا من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق
لا يحصون كثرة وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء إلى حرم بغداد من الجانب
الغربي خيف على البلد من الغرق فأمر الخليفة بسد الجدي وركب فخر الدين نائب الوزارة
وعز الدين الشرابي وحضر الملك الظاهر بالحصى بسد الجدي وفيها توفي الشيخ حسن بن صدقة بن
ابن الفرج الكبير صاحب الرصافة وكان عالي الإسناد يروي عن ابن الحصين مسند أحمد بن حنبل
وله إسناد حسن وقدم للموصل وحدث بها وبغيرها

•(ثم دخلت سنة ست وستمائة)•

•(ذكر ملك الكرج أرجيش وعودهم عنها)•

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها إلى ولاية خلاط وقصدوا مدينة أرجيش فحصروها
وملكوها عنوة ونهبوا جميع ما فيها من الأموال والأمتعة وغيرها وأسروا وسبوا أهلها
وأحرقوها وخربوها بالكلية ولم يبق بها من أهلها أحد فأصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن
بالأمس وكان نجم الدين أيوب صاحب أرمينية عند سنة خلاط وعنده كثير من العساكر لم يقدم
على الكرج لأسباب منها كثرتهم وخوفه من أهل خلاط لما كان أسلف إليهم من القتل
والأذى وخاف أن خرج منها لا يمكن من العود إليها فلم يخرج إلى قتال الكفار وعادوا إلى
بلادهم سالمين بما معهم من غنائمهم وقد عظم ذلك وكان خطبا شديدا على الإسلام وأهله فإنه سبب
السنة إلى ما كان عند كرسنة أربع عشرة إلى سنة سبع عشرة وستمائة

•(ذكر قتل صاحب شاملوك ابن محمود)•

أسعرا في قتل العمان ما تماأنه قد بدا عن طلب التعوض وفصل الكروب لم يكلف أحد عليها ولم يشكره دون المثال فيها بل عمهم الماهاء وشملهم المبارات فاتخذوا مؤمرين ومستعمرين ولا تقسيم على الحصر دون المراد مستقصر به على توفي لمعا أو أعمارا ليس ماوثنا أو تيار إلى الكامل قد أمه وزل على شغل النظر أسقاه سالها من حمل سالحص فو السماه وراثه ملكا ثاسا على الإقلاله وللعاد الرئيس إلى الحصرة وقرر ما لماولاه • ومن مرئه وولاه وأي هوى السلطان ورماه • فصادف مريرا وتكساه ولما دار إليها مستثناه وسوء بدسع ما يصتدمن هذه الأحوال إن أراد الله تعالى ذلك ويسره

•(ذكر الأمير صاحب الحسن أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين)•
قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما ملك خراسان

في هذه السنة قتل سنجرشاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازي ولقد سلك ابنه في قتله طريقا عجيبا يدل على مكر ودهاء وسبب ذلك أن سنجرشاه كان سيء السيرة مع الناس كلهم من الرعية والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبيح فعله مع اولاده أنه سير ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلد الزوزان وأخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة أسكنه فيها ووكل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل اليه منها الحيات والعقارب وغيرهما من الحيوان المؤذي ففي بعض الايام اصطاد حية وسيرها في منديل الى أبيه لعله يرق له فلم يعطف عليه فأعمل الحيلة حتى نزل من الدار التي كان بها واختفى ووضع انسانا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل وأظهر أنه غازي بن سنجر فلما سمع نور الدين بقربه منها أرسل نفقة وثيابا وخيلا وأمره بالعود وقال ان أباك يحتج لنا الذنوب التي لم نعملها ويقبح ذكرنا فاذا صرت عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والبشاعات ونقع معه في صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام وأما غازي بن سنجر فانه تسلق الى دار أبيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به أكثر من بالدار فسترت عليه بغضا للاب وتوقعا للخلاص منه لشدته عليهن فبقي كذلك وترك أبوه الطلب له ظنا منه انه بالشام فاتفق ان أباه في بعض الايام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه فكان يقترح على المغنين ان يغنوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكي ويظهر في قوله قرب الاجل ودنو الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى آخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففي الليل دخل الخلاء وكان ابنه عند تلك الحظية فدخل اليه فضربه بالسكين أربع عشرة ضربة ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجواري فلو فتح باب الدار وأحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنه أمن واطمأن ولم يشك في الملك فاتفق ان بعض الخدم الصغار خرج الى الباب وأعلم استاذدار سنجر الخبر فأحضر أعيان الدولة وعرفهم ذلك وأغلق الابواب على غازي واستحلف الناس لمحمود بن سنجرشاه وأرسل اليه أحضره من فرح ومعه أخوه مودود فلما حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازي ودخلوا عليه ليأخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه وألقوه على باب الدار فأكلت الكلاب بعض لحمه ثم دفن باقيه ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بمعز الدين لقب أبيه فلما استقر أخذ كثيرا من الجواري اللواتي لابيه فغرقهن في دجلة ولقد حدثني صديق لنا أنه رأى بدجلة في مقدار غلوة سهم سبع جوار مغرقات منهن ثلاث قد احرقت وجوههن بالنار فلم أعلم سبب ذلك الحريق حتى حدثتني جارية اشتريتها بالموصل من جواريه ان محمودا كان يأخذ الجارية فيجعل وجهها في النار فاذا احترقت ألقاها في دجلة وباع من لم يغرقه منهن فتفرق أهل تلك الدار أيدي سبا وكان سنجرشاه قبيح السيرة ظالما غاشما كثير المخاتلة والمواربة والنظر في دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم من أخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقا وعرا من قطع الالسنة والانوف والآذان وأما اللحى فانه حلق منها ما لا يحصى وكان جل فكره في ظلم يفعله وبلغ من شدة ظلمه انه كان اذا استدعى انسانا يحسن اليه لا يصل الا وقد قارب الموت من شدة الخوف واستعمل في أيامه السفهاء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرق

وأخلاها من شرذمة آل سامان * عرف لمولانا اياه وهجرته فيها اسمعيل بن ناصر الدين أخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه نيسابور ومظنة أصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمان الغابر سادا به مكانه من قبل اذ هو سائس الجمهور * ومدبر هاتيك الامور * ومن وضع أخاه موضعا قد سده قبل بنفسه * ورآه أهلا لبعض قدره * فقد بالغ في البر والتوقير * وخرج من عهدة التقصير * فوليها سنين عدة حميد السيرة في الخيرة كريم الفعال * في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الآثار في مطاردة أبي ابراهيم المنتصر عند ركضانه وكفاية ما كان يطرأ من معرته وشذانه * ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك أن يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه * وأحل به مستجمه ومغزاه * فلم يزايله بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال * وكان يراه

أهل الاسلام فلعنة الله عليه أقرب الخلق إليه فقتله قتل المعادي وبعد قليل قتل والله محمود
أيضاً مودوداً وجرى في دارهم من التحريق والتغريب والتقريب ما ذكرناه ولو لم يكن سار ح
لم سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد لكل ظالم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ثاني المحرم توفي أبو الحسن ورام بن أبي فراس الزاهد الحلي الشيعي وهو منها
وكان صالحاً وفي صفر توفي الشيخ مصدق بن شبيب النحوي وهو من أهل واسط وفي شعبان
توفي القاضي محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عال
وهو آخر من حدث بمسند أحمد بن حنبل عن ابن الحصين وفيه توفي القوام أبو فراس نصر بن
ناصر بن مكي المدائني صاحب الخبر ببغداد وكان أديباً فاضلاً كامل المروءة يحب الادب
وأهله ويحب الشعر ويحسن الخط آثر مطلعه ولما توفي ولي بعده أبو الفتوح المبارك بن الوزير عضد
الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء وأكرم وأعلى محله من منزلنا الى سابع ذي القعدة وعزل
العز وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان أشدها بنيسابور وخرج أهلها الى
الصحراء أياماً حتى سكنت وعادوا الى مساكنهم

(ثم دخلت سنة ست وستمائة)

(ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصره سنجار وعوده عنها
واتفاق نور الدين أرسلان شاه ومظفر الدين)

في هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع
من أعمال الجزيرة وهي بيد قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود وسبب ذلك أن قطب الدين
المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل
عداوة مستحكمة وقد تقدم ذكر ذلك فلما كان سنة خمس وستمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين
والعادل فان ولد العادل تزوج بابنة نور الدين وكان لنور الدين وزير مضرور ان يستقل صحبتهم
فحسن له مراسلة العادل والاتفاق معه على أن يقتسما البلاد التي لقطب الدين والولاية التي
لولد سنجر شاه بن غازي بن مودود وهي جزيرة ابن عمر وأعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل
ويكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هوى نور الدين فأرسل الى العادل في المعنى
فأجابه الى ذلك مستبشراً وجاءه ما لم يكن يرجوه لانه علم أنه متى ملك هذه البلاد أخذ الموصل
وغيرها وأطمع نور الدين أيضاً أن يعطي هذه البلاد اذا ملكها الولد الذي هو زوج ابنة نور
الدين ويكون مقامه في خدمته بالموصل واستقرت القاعدة على ذلك وسار
العادل الى الجزيرة من دمشق الى الفرات لما ذكره وقصد الخابور وأخذه فلما سمع نور الدين
بوصوله كأنه خاف واستشعر فأحضر من يرجع الى رأيهم وقولهم وعرفهم وصول العادل
واستشارهم فما منهم أحد أشار عليه بشيء وكانوا فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظم الامر
وأشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخائر وما يحتاج اليه فقال نور الدين لمن
فعل ذلك وجرى ما جرى فقال بأي رأي يجيء الى العادل وهو أقوى منك وأكثر جمعاً وهو بعد
ملك قطب الدين يعدل بك فلا ندعه الا ولقد عرفتم من جميع ما ترونه حتى يسر لي

في مقاماته أول من سمع
روحه في الحلبة على
دين الله والمراد الملتمس دون
حق الله ووالى أشياعها
عمهم بعصبة ان كتف
رحام أو حلم على حوض
حق الله استطام وسعه
عيس بالحمية العربي وعنه
من الرحم السياسية وكان ينصر
مذهب الامام أبي حنيفة
رحمه الله تعالى اعتقادا
ويرى الاسماعيلية رشادا
فأمر بمدرسة بنيسابور في
جوار القاضي أبي العلا
صاعد بن محمد وأنفق مالا
حتى انتابها وحبس حوانيت
على من أواها ودارس بأمالي
العلم في دراها فحيث
ذكر صيته تقدى بالعلم
وتراح وتلي عليها الامساء
والاصباح ولم يسمع
السلطان منه طول أيامه
قولا فحالا ولفظا دون
الصواب محالا ولا سكا
أحد من الكتاب لما نابا
وعلا لاشماء الرؤس على
الاتباع مقاما وقضى الله
أن جاء السابق ولما
أسرف أمده وتقص بأمل
الامل بينه ولقي بالواحد

منك ويزداد قوة الى قوته ثم ان الذى استقر بينكما انه له يملكه أولا يغير تعب ولا مشقة وتبقى
أنت لا يمكنك ان تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل ههنا هذا ان وفى لك بما
استقرت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانه قد صار له ملك خلاط
وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد أولاده فمتى سرت عن الموصل أمكنهم أن
يحولوا بينك وبينها فما زدت على أن آذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك وجعلته شعارك
وقد فات الامر وليس يجوز الا ان تقف معه على ما استقر بينكما لئلا يجعل ذلك حجة ويبتدئ بك
هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان فى عزم صاحبها قطب
الدين ان يسلمها الى العادل بعوض يأخذه عنها فمنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن برنقش
مملوك أبيه زنكى وقام بحفظ المدينة والذب عنها ووجه نور الدين عسكرا مع ولده الملك القاهر
ليسيروا الى الملك العادل فبينما الامر على ذلك اذ جاءهم أمر لم يكن لهم فى حساب وهو أن مظفر
الدين كوكبرى صاحب اربل أرسل وزيره الى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع
العادل عن سنجار وان الاتفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلا فوقف مقابل دار نور
الدين وصاح نعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلا وأبلغه الرسالة فأجاب نور الدين
الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفر الدين واجتمع هو
ونور الدين ونزلا بعسكرهما بظاهر الموصل وكان سبب ما فعله مظفر الدين ان صاحب سنجار
أرسل ولده الى مظفر الدين يستشفع به الى العادل ليبقى عليه سنجار وكان مظفر الدين يظن انه
لو شفع فى نصف ملك العادل لشفعه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذب عن مملكته غير مرة
كما تقدم فشفع اليه فلم يشفعه العادل ظنا منه انه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفر الدين
فلما رده العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولما وصل الى الموصل واجتمع بنور
الدين أرسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو بن قلج
أرسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما فكلاهما أجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة
وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وأرسلا أيضا الى الخليفة
الناصر لدين الله ليرسل رسولا الى العادل فى الصلح ايضا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار
على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك استاذ الدار والامير
آقباش وهو من خواص مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل
وهو يحاصر سنجار وكان من معه لا يناصحونه فى القتال لاسيما أسد الدين شيركوه صاحب
حمص والرحبة فانه كان يدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرا ولا يقاتل عليها
وكذلك غيره فلما وصل رسول الخليفة الى العادل أجاب أولا الى الرحيل ثم امتنع عن ذلك وغالط
وأطال الامر لعله يبلغ منها غرضا فلم ينل منها ما أمله وأجاب الى الصلح على ان له ما أخذ وتبقى
سنجار لصاحبها واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلهم وعلى ان يكونوا يدا
واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل وبقى
كل واحد من الملوك فى بلده وكان مظفر الدين عند مقامه بالموصل قد زوج ابنتين له بولدين
لنور الدين وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى

الغفار
ان الكرام قليلة الأعمار
وكتبت فى مرثيته رسالة سئلت اثباتها فى ذكره ففعلت اذ كان فى ضمنها ما يفى بشرح حاله * وتقرير بعض خصاله * وهى

بسم الله الرحمن الرحيم

آه من سفرة بغير اياب
آه من حسرة على الاحباب
آه من مضجع الامير المفدى
فوق فرش من الحصى والتراب
نصير بن الامير ناصر دين الله
صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرق
تاج الـ * ـفخر غوث الكرام والكتاب

نعاء يا ساسة الرجال * يا سادة الفعال * يا أعيان العلوم يا اخوان النجوم * يا شيوخ الاسلام * يا عيون الكرام يا أحرار الزمان * يا أنصار السلطان

نعاء الى كل حى نعاء
فتى الكرم احتل ربع الفناء

أتدرون أى ركن انهدم وأى حد انثلم * وأى عقد انفصم * وأى سوار انقصم وأى روض ذبل * وأى نجم أفل * وأى بحر نضب * وأى طود تصعب * وأى خطب

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة في ربيع الاول عزل فخر الدين بن امسينا من نيابة الوزارة بالخليفة وأغلق بابه ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي نيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن برز القمي كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين ووصل الى دار الوزارة بمقابل باب النوبي وفيها في شوال توفي مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وفيها توفي فخر الدين أبو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والاصولين وغيرهما وكان امام الدنيا في عصره وبلغني ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها في ذي الحجة توفي أخي مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب مولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وكان عالما في عدة علوم منها الفقه والاصولان والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من اهل عصره يعلم أني مقصر وفيها توفي المجد المطرزي النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو له فيه تصانيف حسنة وفيها توفي المؤيد بن عبد الرحيم ابن الاخوة باصفهان وهو من أهل الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستمائة)

(ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه)

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين أمير الحاج كما ذكرناه فلما كان سنة ست وستمائة امتنع عن الطاعة فروسل في القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن المخالفة على البلاد الى الامر كذلك الى ربيع الاول من هذه السنة فتقدم الخليفة الى مؤيد الدين نائب الوزارة والى عز الدين بن نجاح الشرابي خاص الخليفة بالمسير بالعساكر الى خوزستان واخراجه منها فسارا في عساكر كثيرة فلما سمع سنجر بقصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو أتابك عز الدين سعد بن دكلا ملتجئا اليه فأكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان في ربيع الآخر من السنة فلما استقروا في البلاد راسلوا سنجر يدعونه الى الطاعة فلم يصغ الى ذلك فساروا الى أرجان عازمين على قصد صاحب شيراز فأدركهم الشتاء فأقاموا شهورا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز في تسليمه الى سلمه فلما دخل شوال ساروا يريدون شيراز فحينئذ أرسل صاحبها الى الوزير والشرابي يشفع فيه ويطلب المهلة على ان لا يؤذى فأجيب الى ذلك وحمله اليهم هو وماله وأهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولي الخليفة بلاد خوزستان مملوكا كان لأمير الحاج ووصل الوزير الى بغداد في المحرم سنة ثمان وستمائة هو والشرابي والعساكر وخرج أهل بغداد الى تلقيهم فدخلوها وسنجر معهم راكبا على بغل باكاف وفي رجله سلسلتان في يد كل جندي سلسلة ولم يزل سائرا الى أن دخل سنجر خيمة الخليفة الكثير من الامراء والاعيان الى دار مؤيد الدين نائب الوزارة فأحضر سنجر وقرر ما وقع

ريل وأي قصر وحل ورحل والمقلصرين الامور للخليل ناصر الدين الاعراس الامير والسهات ابن الاثير والنصر ابن السيرة ولطيراس النصير والعمراني العمر مرج الملك أوصاف وسور الدين أوسواه وركن العز أوعرا ووراء المجد أوعرانه عارف به عصر الادب التي اسعدتها السعادة وصلت مد العلم التي ولسطرها الماء وعز سدوحه الكرم التي حطها العطاء وحيطته الفضل التي سدمها الكماء وطلب كريه العز التي درس عليها التوحيد وحدى بها اليافع والوليد وأحيت عليها مواصل النهار وحلت بها عوامل الامصار وأقسمت باسم أسماء الدين بوارقها وساق أحراب العسكر والطود صوامعها بلا عار ولا ماء ولا سوف ولا راحة فأمسى به حسب الزمان مسموعا وسكر المدان مسوقا وسار العز ممنوعا ولوا المجد مخفوقا ودمع الدين مسفوحا وطرف

نسبت اليه منكرة فأقربها فقال مؤيد الدين للناس قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا أمير المؤمنين عنه وأمر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل ان أتابك سعد نهب مال سنجر وخزانته ودوابه وكل ماله ولاصحابه وسيرهم فلما وصل سنجر الى الوزير والشرابي طالبوا المال فأرسل شيأ يسيرا والله أعلم

(ذكر وفاة نور الدين أرسلانشاه وشئ من سيرته)

في هذه السنة أواخر رجب توفي نور الدين أرسلانشاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وكان شهما شجاعا ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه فكانوا يخافونه خوفا شديدا وكان ذلك مانعا من تعدي بعضهم على بعض وكان له همة عالية أعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة في طلب الملك الا انه لم يكن له صبر فلهذا لم يتسع ملكه ولو لم يكن له من الفضيلة الا انه لما رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرنا سنة خمس وتسعين وخمسمائة عف عنها وأبقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوة الامتناع لان من كان بها كانوا قد هلكوا أو ضجروا ولم يبق لهم رمق فأبقاها على صاحبها ولما ملك استغاث اليه انسان من التجار فسأل عن حاله فقيل انه قد أدخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتم له البيع ويريد اخراجه وقد منع من ذلك فقال من منعه فقيل ضامن البز يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فسأله عن العادة كيف هي فقال ان اشترط صاحبه اخراج متاعه مكن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتى يؤخذ ما جرت العادة بأخذه فقال والله ان هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاي شئ يؤخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شك في فساد هذه العادة فقال اذا قلت أنا وأنت انها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدم باخراج مال الرجل وأن لا يؤخذ الا ممن باع وسمعت أخي مجد الدين أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصا به يقول ما قلت له يوما في فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى في بعض الايام أخي المذكور فركب الى داره فلما كان بباب الدار لقيته امرأة وبيدها رقعة وهي تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فأخذها فلما دخل اليه جارا في مهم له فقال قبل كل شئ تقف على هذه الرقعة وتقضي شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا أعلم الا اني رأيت امرأة بباب الدار وهي متظلمة شاكية فقال نعم عرفت حالها ثم ارتعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما القيمان بأمور دولته فقال لاخي ابصر الى أي شئ قد دفعت مع هذين هذه المرأة كان لها ابن وقد مات في الموصل وهو غريب وخلف قماشا ومملوكين فاحتاط نواب بيت المال على القماش واحضروا المملوكين الينا فبقيا عندنا ننتظر من يستحق التركة ليأخذها فحضرت هذه المرأة ومعها كتاب حكمي بان المال الذي مع ولدها لها فتقدمنا بتسليم مالها اليها وقلت لهذين اشتريا المملوكين منها وانصفاها في الثمن فعادا وقالا لم يتم بيننا بيع لانها طلبت ثمنا كثيرا فأمرتهما باعادة المملوكين اليها من مدة شهرين وأكثر والى الآن ما عدت سمعت لها حديثا وظننت انها أخذت مالها

الاسلام مجروحا وأقبل العلم في صورة المفجوع * وبرة الخشوع * بقرمط خطوه * ويتفت الى أهله شكوه * مغرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع * وتتقصد عليها لواحب الضلوع *

فلو غير المنون أتانا أهوى اليه أخوه بالبيض البواتر

يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر

ولكن القضاء له مضاء تذل لعزه ضربة الناخر

ألا يا صاحبي تمعكما الى أن كنتما مسعدين * وجامعين الي كاتا الدين الما على نصر وقولا لقبره يقتلك العوادي مريعا ثم مربعا فيا قبر نصر أنت أول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود ميت

ولا يدل اتهم الرسالة المذكورة اليها وقد استعاذت الى ما لم يسمعها ساقها الملك وكل من
رأى هذه المرأة تشكو وتبعث بطلب الى أن يستعملهم ما يأتيكم وتنتمي الى العلم وليس
لي علم وكل هذا عمل هذين اشتهى أن تقتل أسد المملوكين وسلمهما اليها فأخذت المرأة مالها
وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا نطول بذكره

ذكر ولاية ابنه الملك القاهر

لما حضر نور الدين الموت أمر أن يرتب في الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأحلف
له الجند وأعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل ذلك وجعله مقدما له بعد وفاته وأعطى ولده
الاصغر عماد الدين زنكي قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتهما وسيره الى العقر وأمر أن
يتولى تدبير ملكهما والنظر في مصالحهما أتابكه الامير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من
عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ عشر
سنين ولما اشتد مرضه وأيس من نفسه أمره الاطباء بالانحدار الى الحامة المعروفة بعين القيارة
وهي بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفا فأحدر الى الموصل فاصعد
في الشبارة الى الموصل فتوفي في الطريق ليلا ومعه الملاحون والاطباء فيهم سرو كان مع
بدر الدين عند نور الدين مملوكا فلما توفي نور الدين قال لهم ما لا يسمع أحد بموته وقال للاطباء
والملاحين لا يتكلم أحد فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل في الليل فأمر الاطباء
والملاحين بمفارقة الشبارة لئلا يروه ميتا وأبعدوا والحمل هو والمملوك وأدخله الدار وتركه في
الموضع الذي كان فيه ومعه المملوك ونزل على بابه من يثق به لا يمكن أحدا من الدخول
والخروج وتقدم الى الناس بعدة أمور كان يحتاج الى الاهتمام بها فلما فرغ من جميع ما يريده
أظهر موته وقت العصر ودفن ليلا بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره وضبط البلد ضبطا
حسنا بحيث ان الناس في البلد لم يزالوا مرقدين لم يعدم من أحد منهم مقدار حبة العرد واستقر
الملك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر في مصالحها

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر درس القاضي أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج قاضي
تكريت بالمدرسة النظامية ببغداد اسند من تكريت اليها وفيها تمت دجلة بالعراق نقصا
كثيرا حتى كان يجري الماء في دار الخليفة أدرع وأمر الخليفة أن تكرى دجلة فجمع
الخلق الكثير وكانوا كلما حفروا اساعاد الرمل وغطاه وكان الناس يعبرون دجلة فوق بغداد
وهذا لم يعهد مثله وحج بالناس هذه السنة علاء الدين محمد ولد الامير عماد الدين طاشتكين أمير
الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وجعله هو أمير الحاج وجعل معه من يدبر الحاج لانه كان
صبيا وفيها في العشرين من ربيع الآخر توفي ضياء الدين أحمد عبد الوهاب بن علي بن عبد الله
الامير السكيني البغدادي وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وعشرون سنة
وشهور وكان صوفيا فقيها محدثا له مصنفات كثيرة رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير
العبادة والصلاح وفيها توفي أبو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي وكان
عالي الاسناد

ولو كان حيا ... حتى
... تعا
ملك الموصل الملك ... ولم يدع
... أن ملك الموصل ...
من ... في ... بعده
كما كان ... امرسا
والملك ... المرصد ... الموصل
واسعى
وأصبح ... أحدعا
ثم سار ... أن يعصب
الامير ... الى أن
أصبحا ... معن من
... الشرفه وسار
جمهور الملوك والعاكفين
في المرقدين على القرن
سلطان الزمان بين الدوله
وأمين الله من دان لعزه
القروم واستكانت لهيبته
... والروم في ...
سماك ... لم ... اليه
... ولم تلقه
ذكر ... فقال
... من سلطان ...
... اذا الحرب قامت
على ساق ودارت كووسها

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة

ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش

في هذه السنة في شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربا من منكلي وسبب ذلك ان ايتغمش كان قد تمكن في البلاد وعظم شأنه واتسع صيته وكثر عسكره حتى انه حصر صاحبه ابابكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلما كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلي ونازعه في البلاد وكثر اتباعه وأطاعه المماليك البهلوانية فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلما وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال به في اللقاء فخرج الناس كافة وكان يوم وصوله مشهودا ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فأكرمت وأنزلت عنده وبها واقام ببغداد الى سنة عشر وستمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره

ذكر نهب الحاج بمنى

وفي هذه السنة نهب الحاج بمنى وسبب ذلك ان باطنيا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنا منه انه قتادة فلما سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاج ولد الامير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن أمير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الاطراف وأقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاج وباتوا باسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاج لينتقل بالحاج الى منزلة حجاج الشام فأمر بالرحيل فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا الى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم أذن لهم في ذلك فدخلوها وتمموا حجهم وعادوا ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من أصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أظهر الاسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن فلان بن حسن بن الصباح الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وامر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وأرسل مقدمهم رسلا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وأرسل والدته الى الحج فاكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة وفيها سلخ جمادى الآخرة توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا اليه انتهت رياسة الشافعية لم يكن في زمانه مثله وكان حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله وفيها في شهر ربيع الاول توفي القاضي أبو الفضائل علي بن يوسف بن أحمد بن الآمدي الواسطي قاضيها وكان نعم الرجل وفيها في شعبان توفي المعين أبو الفتوح عبد الواحد بن أبي أحمد بن علي الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كيش مضى اليها رسولا من الخليفة وكان من أصدقائنا و بيننا و بينه مودة متأكدة وصحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين

بين حاس وساق * وقد نصحه ابن بنان في جوده * وفضله بالسطاء عن موجوده * ثم لم يعترض له صيانة لفعاله * ولم يقترف عليه من بعد ذهابا بعز حاله وجماله * هالة الامير نصرا ورث العز أباه * ولم يخدم مدى العمر الأشباه ولم يثنه غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب * والوال الاسياف عن قراع الكتائب * وقطيعة الدنيا في صلة الرحم * وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم * نشأ بين القرآن والتفسير والايمان والتذكير * والعلم بالصلاة والصيام * والفرق بين الحلال والحرام * ويحذر الورى بطرف العنان * ومن العلا بحد السنان * قد اقتسمت أيامه شرائط السلم باسمة الثغور * أو الحرب ظاهرة البسور * فاما المغافر والبواتر * واما الدفاتر والمحابر واما المحاضر والمنابر

رحمه الله ورضي عنه وله كتب حسنة وشعر جيد وكان عالما بالفقه وتفسيره والمولد وسائره
زين الدين سعد الله بن أبي أحمد وكان ناظرا على المارستان العضدي فتركه واقتصر على
الرباط وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن يوسف بن محمد بن عبيد الله التناوري الكاتب المليح
الخط وكان موته في طريق خراسان وكان شيخا حسنا متكلما وفيها توفي عمر بن محمد بن معمر بن أبي
الغرا أبو العلم البزاز البغدادي ونهار كان من العالين سمع عليه القراء كثيرا ونقص إليهم
وتوفي أيضا أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون المعلى البغدادي وهو مصنف
التذكرة وكان عالما

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة)

(ذكر قدوم ابن منكلي بغداد)

في هذه السنة في المحرم قدم محمد بن منكلي المستولي على بلاد الجبل إلى بغداد وسبب ذلك أن
ابن منكلي لما استولى على بلاد الجبل وهرب أغلمش صاحبها إلى بغداد خاف أن تساعده
الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الأمر عليه لأنه لم يكن قد تمكن في البلاد فأرسل ولده محمدا
ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وأنزل وأكرم ولم يزل ببغداد
إلى أن قتل أغلمش فخلع عليه وعلى من معه وأكرموا وسيرهم إلى أبيه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر والشام على أمير اسمه أسامة
كان له إقطاع كثير منه حصن كوكب من أعمال الأردن بالشام وأخذ منه حصن
كوكب وخربه وعفى أثره وبنى عوضه حصنا بالقرب منه على جبل يسمى الطور وهو معروف
هناك وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح وفيها توفي الفقيه محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني
فقيه الحرم الشريف بمكة

(ثم دخلت سنة عشر وستمائة)

(ذكر قتل أغلمش)

في هذه السنة في المحرم قتل أغلمش الذي كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان أنه لجأ إلى
بغداد وأقام بها ما أقام فعظمه الخليفة وسيره مكرما وأعطاه الكرامات وما احتاج إليه وسيره إلى
همذان فسار في جمادى الآخرة من بغداد قاصدا إلى همذان فوصل إلى بلاد ابن ترجم
وأقام بها ينتظر وصول عساكر بغداد إليه لتسير معه على قاعدة استقرت بينهم وكان
الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم عن الإمارة على عشيرته من التركمان الإيوانية وولى أخاه
الأصغر فأرسل سليمان إلى ابن منكلي يعرفه حال أغلمش وبعده عن عسكره فوجهه إليه فأخذوه فقتلوه
وحملوا رأسه إلى ابن منكلي وهرب من معه من أصحابه في البلاد فلم يلو أحد على أحد ووصل الخبر
بقتله إلى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وأرسل إلى ابن منكلي ينكر عليه ما فعل فأجاب جوابا مغالطا
وتمكن من البلاد وقوي أمره وكثرت جموعه وعساكره وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس في هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلي نائبا عن أمير الحاج ابن ياقوت

• وأما القساطر والمناظر
• فيوما في حمى القصبة
• ويوما في حمى الأدب • ويوما
بين ظلال السيوف • ويوما
بين هالة الحروف • ومنه
إذا احتمى ريح أو نفحة •
• وبدعه إذا احتسى حكمة
أو شربة • فكم له في دار
الهند من وقائع أطيب
الدند • وأحرب الولد
• وبكرت السوف • وحرف
العروف • وغادرت بعض
الرماح في غضبه العمل
• وحسب الحدرف عن
علة الكحل • وكم في وادي
القصل لمن قاس علم
أطرافها الكلم • وتعس
أوساطها الأمم • ونهد
لأعقابها الحكم • وتأوي
إلى رد ظلالها الكرم •
وتلعب بمذوب العقول •
من صفو الشمول • وتعلو
المال • عن كف العرال
ونعمر الراهب • من ربة
الرباحيت • فالمليل على

ومنع ابن ياقوت عن الحج الماجرى للحاج فى ولايته وفيها فى المحرم توفى الحكيم المهذب على بن أحمد بن مقل الطبيب المشهور وكان أعلم أهل زمانه بالطب روى الحديث وكان مقيما بالموصل و بها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن فى الطب وفيها توفى اسمعيل بن على البغدادى الفقيه الحنبلى صاحب ابن المنى وفيها توفى أيضا احمد بن مسعود التركستانى الفقيه الحنفى ببغداد وهو مدرس مشهد أبى حنيفة وفيها فى جمادى الاولى توفى معز الدين أبو المعالى سعد بن على المعروف بابن حديدة الذى كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد ألزم بيته ولما توفى حمل تابوته الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام بالكوفة وكان حسن السيرة فى وزارته كثير الخير والنفع للناس

﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة﴾

﴿ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند﴾

هذه الحادثة لا أعلم الحقيقة اى سنة كانت انما هي اما هذه السنة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل لان الذى اخبربها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد وأقام بها عدة سنين وسار مع الامير ابى بكر الذى فتح كرمان ثم عاد فاخبرنى بها على شك من وقتها وقد حضرها فقال خوارزمشاه محمد بن تكش كان من جملة أمرائه امير اسمه ابو بكر ولقبه تاج الدين وكان فى ابتداء امره جمالا يكرى الجمال فى الاسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزمشاه وصار سيروان جماله فرأى منه جلدا وامانة فقدمه الى أن صار من اعيان أمراء عسكره فولاه مدينة روزن وكان عاقلا ذا رأى وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدما كثيرا فوثق به اكثر من جميع امراء دولته فقال أبو بكر لخوارزمشاه ان بلاد كرمان مجاورة لبلادى فلو أضاف السلطان الى عسكرا لملكتها فى اسرع وقت فسير معه عسكرا كثيرا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن أبى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوة وضعف فملك أبو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزمشاه وحمل عنها مالا وخطب له بقلهات وبعض عمان لان اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بعد الشقة والبحر يقطع بينهم انهم يتقربون اليه بالطاعة ليأمن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فان هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار من أقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز و بين صاحب كيش حروب وغاورات وكل منهما يمنع أصحاب المراكب ان ترسى ببلاد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزمشاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قتل مؤيد الملك الشجرى وكان قد وزر لشهاب الدين الغورى ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنا الى العلماء وأهل الخير يزورهم ويبرهم ويحضر الجمعة ماشيا وحده وكان سبب قتله ان بعض عسكر الدز كرهوه وكان كل سنة يتقدم

ذكره مشهور * وكان سيبويه من نشره منشور * وأئمة الهدى عليه عكوف * وملائك العرش حوله صفوف * فمن صحيفة للذكر منشوره * وأخرى بأقلام العدل مسطوره * لا العو فيها ولا تأثيم الاقبال وأبا وحديثا كخالص التبر مذابا نفس عليه الدهر كأنه ان الدهر غيور * وعلى عقائل الزمان جسور * فصرعه كيدا للنظار * وأضجعه عنادا للاحرار * شاغلا عن الجود يمينه * وعن السجود جبينه * وعن الذكر لسانه * وعن الغزو

الى البلاد المارة بين القراول السما فسارهذه السنة كعادته فجاءه بعون سرا الى الملوك السلطان فقوى بذلك تمصر حريد في صحبتهم تمرا وتحت دقسار معهم يريد مصر فلما وصلوا العرب ما السد تلوهم واوامر طل بهم حوار وساء جدد قتلهم وبها في رجب توفي الركن أبو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي البغدادي ببغداد وكان قد ولي عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة حتى انه رأى أبوه ماعليه فصار تاركها بما احتاط العصر فقال عارى قال ابو هذا خير مما رأيت سمع مسلم والبخاري وأما كثر والبخاري ما جمعا وأحدث كتبه قبل موته بمدة يسيرة وأظهرت في ملابس الناس وروى فيها من تصيرا القوم ومخاطبة زحل بالالهية وغيرذلك من الكفريات ثم أحرقت باب العامة وحبس ثم أفرج عنه سماعا أبيه واسمع في بعد ذلك وفيها توفي ابو العباس احمد بن هبة الله بن العلا المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالما بالنحو والفقه وفيه مات منها وفي أبو المظفر محمد بن علي بن البل الدوري الواعظ ودفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائه وفي شوال منها توفي عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وكان من صلاه الحديث واسمع وعالون سنة

سنة وستمائة حتى اذا كثر طمع في استعاده واستكانه وقدرته على مصار القدا واضعاف حماة ومنعه روحه الطاهر • وثنية الى الم تعتد الالمعم الآخرة • فما من العز أنصر ما كان فمن شباب • وأطلقه وصل جناب • وأكرمه عود بسار • وأعطاه من دمار وأوثقه بالبيادار ودرار • فكم هنالك من سرور مهموكة • ودموع منسوكة وحروف مفرقة • ورؤس متلوقة • وصدور مكلومه • وجلود وسهال السن ملطومه • وفي الحدثان لمسوة آل بعض

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستمائه)

(ذكر قتل منكلي وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك)

في هذه السنة في جمادى الاولى انهزم منكلي صاحب همذان واصفهان والري وما بينهم من البلاد ومن هاربا فقتل وسبب ذلك انه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فأرسل اليه من الديوان الخليفي رسول ينكر ذلك عليه وكان أوحش الامرا ورفض البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه وعدوه فارسل الخليفة الناصر يحرضه على منكلي وبعث الشيره وارسل ايضا الى جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم ألوت وغيرها يأمره بمساعدة أوزبك على قتال منكلي واستقرت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ولجلال الدين بعضها فلما استقرت القواعد على ذلك جهز الخليفة عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم مملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وأرسل الى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك وهو اذ ذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يأمره أن يسير بعساكره ويكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع في الحرب فسار وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمعت العساكر كلها فارتاح منكلي من بين ايديهم وتعلق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو في أعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاق الميرة والاقوات على العسكر الخليفي جميعه ومن معهم فلو أقام منكلي بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشر ايام لكنه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل فقاتل الامراء وزيك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك وانهزم منهم فعاد اصحاب منكلي وصعدوا الجبل وعادوا وزيك الى خيامه فطمع منكلي حينئذ ونزل من الغد في جميع عسكره واصطفت العساكر للحرب واقتتلوا أشد قتال يكون فانهزم منكلي وصعد الجبل فلو أقام عكانه لم يقدر أحد على الصعود اليه وكان قد صار اهم العود فيه لكنه

انحدا الليل بحلا وفارق موضعه ومضى منهزما فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرقوا أيدى سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان استقر له وأخذ الباقى اوزبك فسلمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجه الى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقى عنده ثم عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولاه اوزبك البلاد وعاد كل طائفة من العسكر الى بلادهم واما منكلى فانه مضى منهزما الى مدينة ساوه وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستأذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبل الارض بين يديه وادخله البلد وأنزله فى داره ثم اخذ سلاحه واراد أن يقيده ويرسله الى اغلمش فسأله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل رأسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخوله يوما مشهودا الا أنه لم تتم المسرة للخليفة بذلك فانه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن

﴿ذكر وفاة ابن الخليفة﴾

فى هذه السنة فى العشرين من ذى القعدة توفى ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقب الملك المعظم واسمه ابو الحسن على وكان احب ولدى الخليفة اليه وقد رشحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريما كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبا الى الخاص والعام وكان سبب موته انه أصابه اسهال فتوفى وحزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى انه أرسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورؤى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولما توفى أخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدى تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخى فدفن عندها ولما أدخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة وأما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجدا شديدا ودامت المناحات عليه فى اقطار بغداد ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن وما سمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول رأس منكلى الى بغداد فان الموكب أمر بالخروج الى لقاء الرأس فخرج الناس كافة فلما دخلوا بالرأس الى رأس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فأعيد الرأس وهذا دأب الدنيا لا يصفو ابدا فرحها من ترح وقد تخلص مصائبها من شائبة الترح

﴿ذكر ملك خوارزمشاه غزنة واعمالها﴾

فى هذه السنة فى شعبان ملك خوارزمشاه محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك ان خوارزمشاه لما استولى على عامة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدمت اخباره حتى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا ليصالحه ويبقى بيده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامراء وأعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغورى ايضا واليه الحكم فى دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال الرأى أن تخطب له وتعطيه ما طلب وتستريح من

عقد ارسه دن لا تسمود فرقشعور رهن السود بيضا وردوجوه هن البيض سودا حتى اذا نشر رداء الردى عليه * وقربت حولة البلى اليه * تنازعته اكناف الرجال كما تنازعته من قبل طماء الآمال * فكان الشمس غبراء من حثو التراب * والارض غرقى من دموع المصاب * والآذان موقورة من رفع العقائر والابصار مخطوفة من نقض العدائر * وقد غدت الوجوه مسفورة للنظار * والجوع محشورة للاعتبار * والعيون بين جوم تجرى سواقيه * وجود لا تندى ماقيه * وودت زهر النجوم لو صادفن ليلا

الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوة فقال الجماعة نرسل نحن فعادت الرسل الى ما طلب منه
وحمل الى خوارزم شاه وعرف الملك انه وارسل اليه رسولا واعاد رسوله اليه ومضى الى
الهند فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزم شاه يطلبه ليسلم اليه غزنة فسار مجدا وسبق
خبره فسلم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلما دخل اليها قتل من بها من عسكر الغورية لا سيما
الاتراك فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال لقتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده بها
فقيل هو الذي احضره وسلم اليه فلما سار تاج الدين الدز ومن معه الى لهاوور وأتاه خوارزم شاه
بغزنة فلما تمكن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالما به وانما اراد
ان يكون له اطلاع عليه فقال كلا انما انا مملوك شهاب الدين ولم يكن الدز بغزنة الا بعد الامير
السعيد أنا الحاكم بها والمرجع الي في كل الامور فقال له خوارزم شاه اذا كنت لا ترعى
لصاحبك ولمن احسن اليك حقه واحسانه كيف يكون حالي انا معك وما الذي تصنع
مع ولدي اذا تركته عندك فقبض عليه وأخذ منه من الاموال ما حملها ثلاثون دابة من
اصناف الاموال والامتعة واحضر اربعمائة مملوك فلما أخذ ماله قتله وقيل وانه فعل
الدز لم يشفع جماعة من عسكره وأمرائه وقيل ان ملك خوارزم شاه غزنة كان بعد هذه
السنة وحقيقته

ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله

لما هرب الدز من غزنة الى لهاوور وبها صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من مماليك شهاب الدين
الغوري ايضا وله من البلاد لهاوور وملتان واوجه وديبل وغيرها الى ساحل البحر ومعه
نحو خمسة عشر الف فارس وكان الدز مع الدز الف وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصاف
واقتتلوا فانهزم من معه الدز وبقي وأخذت الفيلة التي معه ولم يبق غير فيلين معه في القلب
فقال الفيال اذا الخاطر يساعدك وامر احد الفيلين أن يحمل على العلم الذي لقباجة فأخذه
وامر الفيل الآخر الذي له ايضا أن يأخذ خبر الذي فأخذه ايضا والفيلة المقاتلة منهم
ما يقاتل بها غير ما يأمر الفيال فحمل الفيلان وحمل معهما الدز في نفر من العسكر وكسر
رأسه وقال الفيلة معا ما أمرك واتاه ... واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان
ما أمرهما الفيال من أخذ العلم والخيز فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثم سار
الى بلاد الهند ليأخذ مدينة دهلي وغيرها مما بيد المسلمين وكان صاحب دهلي أمير اسمه التمش
ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضا كان قد ملك الهند
بعد سيده فلما سمع به التمش سار اليه في عساكر كثيرة فلقيه عند مدينة سمانا فاقتتلوا فانهزم
الدز وعسكره وأخذ وقتل وكان الدز محمود السيرة في ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية
لا سيما التجار والغرباء ومن محاسن اعماله انه كان له أولاد واليهم معلم يعلمهم فضرب المعلم أحدهم
خشبة فاصابه فات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما الذي حملك على هذا فقال والله ما أردت الا تأديبه فاتفق ان
مات فقال صدقت واعطاه نفقة وقال له تغيب فان امه لا تصبر على السكوت عنك فلا تقتل
ولا أقدر أمنع عنك فلما سمعت ام الصبي بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فلم يكن هذا من
أحسن ما يحكى عن احد من الناس

ومن كان يدعو ويتلو ويتاوه
على الصائب شيئا لحلاه
وأما الليل بعدا أحسن منه
من طاله واندرك الارصال
له تدبر كيف الثاني فدحنا
لوب الفر مصباح الاثام
فاعماس النجوم الزهر حتى
ثم من مدامعها السجام
ويطل جهري كل ما كل سائر
وسار الى موقف الوداع سائر
من كل مسرور اعود بأمرها
فلما نسيره بوجه نهار
صد الناس سوا مرا بعده
بالصبح قبل سطع الاسحار
يمسي حروبه على من
في الشمائل طلب الاحار
مذكرا بصاب الوجود بسيرا
فاليوم حتى يرد التذكار
ها انا والله راجعون حين
شعوب بركب العلو سعودها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي الوجيه المبارك بن أبي الازهر سعيد بن الدهان الواسطي النحوي الضرير كان نحريرا فاضلا قرأ على الكمال بن الانباري وعلى غيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه أبو البركات بن زيد التكريتي

ألا مبلغا عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تدينا * ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما انا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك الظاهر)

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالا وكان شديد السيرة ضابطا الامور كلها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من أهل البيوتات من أطراف البلاد والشعراء وأهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجري عليهم الجاري الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولده صغيرا اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لان الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل ابي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن أعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه أرسل رسولا الى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله أي حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض أولادي فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب وحلف فاتفق في تلك الايام أن توفي الملك الظاهر والرسول في الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل أتابكه ومربيه خادما روميا اسمه طغر بل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفي الظاهر أحسن هذا شهاب الدين السيرة في الناس وعدل فيهم وأزال كثيرا من السنن الجائرة وأعاد أملاكا كانت قد أخذت من أربابها وقام بتربية الطفل أحسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر أن يتعرض اليه فلما توفي ملكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما أقبح بالملوك وأبناء الملوك أن يكون هذا الرجل الغريب المنفرد أحسن سيرة وأعف عن أموال الرعية وأقرب الى الخير منهم ولا أعلم اليوم في ولاة امور المسلمين أحسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغني عنه كل حسن وجميل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم وقع بالبصرة برد كثير وهو مع كثرته عظيم القدر قيل كان أصغره مثل

واوسعت الاكباد ثقوبا * وكظمت النفوس كروبا * وسقت العيون غروبا * ونصت الوجوه قطوبا * ونثرت فيها الاصلاب أنبوبا فأنبوبا * وسار شخص العلا الى فرضة البلى * فريدا وحيدا * لم يعن عنه جوده * ولم تجد عليه جنوده * ولم تقاتل عنه فيوله * ولم تناضل دونه مرده وكهوله خلا انه فاح ذكاء ما آثره * كما فاح كامجامره * ووهت على عرشه الرقاب * كما وهت حين أثقلها النعم الرغاب *
وليس نسيم المسك ريح حنوطه
ولكنه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير العرش ما تسمعونه
ولكنه أصلاب قوم تقصف
آباؤيل العفاة من بعده ما حالهم * وما فعلت بهم آمالهم * لقد انقصم محالهم

التأوله الكمية وقيل في أكثر ما يسمى الانسان أن يذكره من كثير من درس الفصل وفي المحرم أرسل الخليفة الناصر لدين الله ولدي ابنه المعظم علي الى تستر وهما المؤيد والموفق وسار معهما مؤيد الدين نائب الوزارة وعز الدين الشرابي فأقاما بها يسيرا ثم عاد الموفق مع الوزير والشرابي الى بغداد وأقام في ربيع الآخر وفيها في شعبان هبت ريح شديدة ادرجت صورها ببلده كثيرة للعامة والشام وأصحر ملاكثيرا وقلعت كثيرا من الشجر فخاف الناس وتصرموا وفيها توفي الشيخ الاستاذ ابو الثلث الليل وانكسر فيها وفي التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندي أبو اليمن البغدادي المولد والمنشأ انتقل بالشام فأقام بدمشق وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالي في الحديث وكان ذا فنون كثيرة من أنواع العلوم رحمه الله

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة)

•(ذكر ملك خوارزم شاه بلد الجبل)•

في هذه السنة سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته في هذا الوقت أشياء أحدها انه كان قد استولى على ما وراء النهر وظفر بالخطا وعظم أمره وعلا شأنه وأطاعه القريب والبعيد ومنها انه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضد لانه كان لا يخلو ديوان الخلافة من قول وكان يشتهي أيضا اداورد الى بغداد أن يحتج عليه ولعل في عسكره ما يعمل الذي ما لم يصل عليه فكان يريد مع ذلك سببه ومنها ان يعلن ليملك بلاد الجبل ويخطب فيها حسبما كان ذكرناه فلما قتل اغلمش الناصب له وخرج لتلك البلاد عن طاعته فسار في عساكر تطبق الارض فوصل الى الري فملكها وكان أتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لما بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعا في ملكها لخلوها من حام ومانع فوصل الى اصفهان فأطاعه أهلها وسار منها يريد الري ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه فلقيه مقدمة خوارزم شاه فظنها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه من البلاد فقاتلهم وجد في قتالهم حتى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك اذ ظهر له جتر خوارزم شاه فسأل عنه فأخبر به فانهزم أصحابه وانهزم عساكره وأخذ أسيرا وحمل الى خوارزم شاه فأكرمه ووعده الاحسان والجميل وأمنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرت القاعدة بينهما على ان يسلم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها وأطلقه وسير معه جيشا الى بلاد فارس ليسلم اليهم ما استقرت القاعدة عليه فلما قدم على ولده الاكبر رآه قد تغلب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى أبيه ثم انه ملك البلاد كما ذكره وخطب فيها لخوارزم شاه وسار خوارزم شاه الى ساوه فملكها وأقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من أهلها ثم سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلها بغير مانع ولا مدافع ثم سار الى همذان فملكها وأقطع البلاد لأصحابه وملك اصفهان وكذلك قم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرت القاعدة بينه وبين أوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان واران بأن يخطب له أوزبك في بلاده ويدخل في طاعته ثم انه عزم على المسير الى بغداد فقدم بين يديه أميرا كبيرا في خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حلوان فسار حتى وصل اليها ثم أتبعه بأمير آخر فلما سار من همذان يومين أو ثلاثة سقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم

وانقطع دون هاتيك المرات سهوم وعقالهم كأنهم على سنه سكان بالاوان ملتزم وبالاقرا تسلم • ونصير وكلها بسكنه • وصدمة أركانها شامله قد أقفرت فلا ملك ولا أواب • ولا أصحاب ولا أهل • يسألون أين الامير • وما فعل السرير • وأين الصاحب والوزير • وأين النادم والسمير • وما هذه الوحشة المستطابه والقفرة المثاله • والتلة الناعبه • والغمة الشاحبه • يسألون ركب الامير وراءه • ويحيى بالسلام عنه • فمضى تمر الاشكال على راء • ويستدعي همه طال عليها مداه • أين بركب السلام فسند أبوابه • ويعدم تراه • ويدل حله • ويوحش مثناه •

وطمع فيمن بقي بنو ترجم الاتراك وبنو هكار الاكراد فتخطفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزم شاه الا اليسير فتطير خوارزم شاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر لانه ظن انه يقضي حاجته ويفرغ من ارادته في المدة اليسيرة فخاب ظنه ورأى العسكر بين يديه طويلا فعزم على العود وولى همذان أميرا من أقاربه من جهة والدته يقال له طائيسي وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متوليا لامر دولته عماد الملك الساوي وكان عظيم القدر عنده وكان يحرض على قصد العراق وعاد خوارزم شاه الى خراسان فوصل الى مرو في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وسار من وجهه الى ماوراء النهر ولما قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وأمر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انه قد مات وكان ذلك في ذي القعدة سنة أربع عشرة وستمائة ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارا وسرخس وبقي خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الا عن قصد اتركها لان البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان احبوا خطبوا وان أرادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسي لم يقصده أحد بأذى الا لقيه فعله وخبث نيته لا جرم لم يمهل هذا خوارزم شاه حتى جرى له ما نذكره مما لم يسمع بمثله في الدنيا قديما ولا حديثا

(ذكر ما جرى لاتابك سعد مع أولاده)

لما قتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من البلاد جمع أتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن بلاده الى اصفهان فملكها وأطاعه أهلها فطمع في تلك البلاد جميعها فسار عن اصفهان الى الري فلما وصل اليها لقي عساكر خوارزم شاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدمة العسكر فقاتلها حتى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزم شاه ورأى الجتر فسقط في يديه وأتى نفسه وضعفت قوته وقوة عسكره فولوا الادبار وأخذ أتابك سعد أسيرا وأحضر بين يدي خوارزم شاه فأكرمه وطيب نفسه ووعده الاحسان واستصحبه معه الى ان وصل الى اصفهان فسيره منها الى بلاده وهي تجاورها وسير معه عسكرا مع أمير كبير ليتسلم منه ما كان استقر بينهما فانهما اتفقا على ان يكون لخوارزم شاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزم شاه في البلاد جميعها وكان أتابك سعد قد استخلف ابنه على البلاد فلما سمع الابن بأسر أبيه خطب لنفسه بالملك وقطع خطبة أبيه فلما وصل أبوه ومعه عسكر خوارزم شاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى أبيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلما تراءى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم أتابك سعد وتركوا ابنه في خاصته فحمل على أبيه فلما رآه أبوه ظن انه لم يعرفه فقال له أنا فلان فقال اياك أردت فحينئذ امتنع منه وولى الابن منهزما ووصل أتابك سعد الى البلاد فدخلها مالكا لها وأخذ ابنه أسيرا فحبسه الى الآن الا انني سمعت الآن وهو سنة عشرين وستمائة انه قد خفف حبسه ووسع عليه ولما عاد خوارزم شاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذي عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزم شاه واشتغل خوارزم شاه بالحادثة العظمى التي شغلته عن هذا وغيره لكن الله انتقم له بابنه غياث الدين كما ذكرناه سنة عشرين وستمائة لان سعدا كفر احسان خوارزم شاه وكفر الاحسان عظيم العقوبة

هاانه الركوب فتي المعاد يقولون ميعاده والله المعاد ألم تروا عروشه بالامس مهدوده * وغروسه مخضوده * وجياده مهلوبه * ومروجه مقلوبه * وأياماه مفجوعه * وأيدي يتاماه فوق الهام موضوعه * هنالك نادوا ثبورا * وعلموا أنه الحق مقدورا * وعقدوا دون حامة البيت مناحه وندبوا عين الورى أدبا وفصاحه * وكرما وسماحه وأفعالا كما أسفر الصريم وأبرز كفه الكليم * مغداه ومراحه يعتمون على الجباب * وقد غدوا في بيض الثياب * أينزع السواد قد كذب الحداد * الآن أحوج ما كنتم اليه نزعتموه هلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب وهلا وقفتم وقفة الجباب للسيد المحجوب

ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين

كان من أول هذه الحادثة الى آخرها أربع سنين غير شهر وانما ذكرناها ههنا لان ظهورهم كان
فيها وذكرناها ههنا متتابعة ليتلو بعضها بعضا فنقول في هذه السنة وصلت امداد الفرنج
في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الا أن المتولي لها كان
صاحب رومية لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة أمره ولا العدول عن حكمه
فيما سرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وأمر غيره من ملوك
الفرنج أن يسير بنفسه أو يرسل جيشا ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بمدينة عكا من ساحل الشام وكان
الملك العادل أبو بكر بن أيوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وبرز
الفرنج من عكا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى
أطراف البلاد مما يلي عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم
الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه في قلة من العسكر لان العساكر كانت
متفرقة في البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم ير أن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من
هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل
الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان أهل بيسان وتلك الاعمال
لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم أن الفرنج لا يقدمون عليه
فلما أقدموا وسار العادل جفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فأخذ الفرنج كل ما في بيسان
من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيأ كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى نابلس وبثوا
السرايا في القرى فوصلت الى خسفين ونوى وأطراف السواد ونازلوا بانياس وأقاموا عليها
ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى
ما قتلوا وأحرقوا وأهلكوا فأقاموا أياما استراحوا ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا
بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من
نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد كان محفوظا قد نقل الى الحصون واحرز بها وحكي أن
العادل لما سار الى مرج الصفر رأى في طريقه رجلا يحمل شيأ وهو يمشي تارة ويقعد
أخرى فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال
يا سلطان المسلمين أنت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف
لا نعجل وبالجملة فالذي فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر بالمسلمين على حال تفرق من
العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق
في قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج من البيت المقدس

ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها

لما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا وأخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة
الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدموا
اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق

يا قوم لبس بياض الثوب
زينتكم
وقد لبستم عزا كله كرم
بدوا عليكم جميعا فضل
لبسكم
ان الحداد على المفقود ملتزم
وطمعوا فتشاهدون بهم
غشا على الزمان * ويده
للفضل والاحسان
يا دهر دولة ما أملت بعده دا
مت كل ما تشتهي الرجال سلما
من ذا الذي يرجو رجالا
بعدما
غادرت نصرا في التراب رهينة
من كان أعذب شيمة وسجية
والمكرمة وأطيب منها
ومن الهبات والغائب منه
أن لا تلام وقد عثرت ملما
يا دهر مالك طول وقتك ربي
ربع المعالي دارسا ومحيا
يا دهر مالك والكرام
أولي النهى
ماذا أسر لو تركت كريما
لعسر الاعسر أناه بلماه

ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور أقاموا قريبا ثم ساروا في البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان ألحقها بالارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

(ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها)

لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا في البحر الى دمياط فوصلوا في صفر فأرسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بنى في النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظا ومدوها في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد في النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر أحد على منعها عن أقاصي ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا في قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجا يزحفون بها في المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى أرضها وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشيء وكسرت مرماتهم وآلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك أربعة أشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويتحكموا في البر فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه أيضا قتالا شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع أخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملأها وخرقها وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه فوق المراكب التي جعلت في النيل وأجروا الماء فيه الى البحر المالح وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على أرض الجيزة أيضا مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هنالك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا اليه غير مرة فلم يظفروا بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم أذى وأبوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل أن الملك العادل توفي في جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانه السلطان حقيقة وأولاده وان كانوا ملوكا الا انهم بحكمه والامر اليه وهو ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر أمير يقال له عماد الدين أحمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو أكبر أمير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون اليه ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير

وشق لوعة فلته وصداه لقد ساء أخاه بأن عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه ووكل من بعده الى نواهس الارض ولو أحس التراب قراه لكنه ما يصنع وسيف القضاء أحد وحكم السماء حتم لا يرد

ومن قبله ما قد أصيب نبينا أبو القاسم النور المبين بقاسم

وخبر قيس بالجلية في ابنه ولم يتغير وجه قيس بن عاصم

وقال علي في التعازي لاشعث

وخاف عليه بعض تلك المآثم أتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر أو تسلو سلو البهائم

خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغواني للبكا والمآتم

لا درّ درّ الموت من وقاح وقرن كفاح ما انتشب نابه الا افترس ولا ألح مخلبه الا انتهس سواء عليه

مع جماعة من الامراء أرادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا أخاه الملك الفائز بن
العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلا جريدة
وسار الى قرية يقال لها اشموم طناح فنزل عندها وأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل
انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على أخيه ولم يقدروا على احمال شئ من خيامهم وذخائرهم
وأموالهم وأسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب
وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل وأما الفرنج فانهم أصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين أحدا
على شاطئ النيل كعادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذا قد أتاهم من أخبرهم الخبر على
حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم في العشرين
من ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فغنموا ما في عسكر المسلمين فكان شيئا يعجز العادين
وكاد الملك الكامل يفارق الديار المصرية لانه لم يثق بأحد من عسكره وكاد الفرنج يملكون
الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى بن الملك
العادل وصل الى أخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس في أمر مريج فقوى به قلبه
واشتد ظهره وثبت جنانه وأقام بمنزلته وأخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك
الاشرف وصار من جنده فلما عبر الفرنج الى أرض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف
قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا وبالغوا في الافساد فكانوا
أشد على المسلمين من الفرنج وكان أضر شئ على أهل دمياط انها لم يكن بها من العسكر أحد لان
السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة
فلم يدخلها أحد من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لا جرم لم يمهله الله وأخذه أخذة
رابية على ما نذكر ان شاء الله وأحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليهم خندقا
يمنعهم ممن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم وأداموا القتال واشتد الامر على أهلها
وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال
عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا صبرا
لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع
والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقي من أهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر
القوت عندهم فسلموا البلد الى الفرنج في هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم وأقام آخرون
لعجزهم عن الحركة فتفرقوا أيدي سبا

(ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج)

لما ملك الفرنج دمياط أقاموا بها وبثوا سراياهم في كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون
فجلى أهلها عنها وشرعوا في عمارتها وتحصينها وبالغوا في ذلك حتى انها بقيت لا ترام وأما الملك
الكامل فانه أقام بالقرب منهم في أطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط
على أصحابهم أقبلوا يهرعون من كل فج عميق وأصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب
دمشق الى الشام فخرب البيت المقدس في ذي القعدة من السنة وانما فعل ذلك لان الناس كانوا
خافوا الفرنج وأشرف الاسلام وكافة أهله وبلاده على خطة خسف في شرق الارض وغربها

الملك المجد والسلطان
المطلب والقتل المستعجب
والسوقة المنتصب
الا انما هذا الموت كنب
ارتقى الى
حتى قصره العالى المنيع
الجوانب
فمر على ملك القبائل والبنا
وسار على ملك الصوامع
العواصب
فما الموت ليس بعجب
ومنه انا مكرب كل العجائب
لعمري لقد سرا امصر عن اهل
جهل تمويس واقتال
الكتائب
وبهمة مع المعصوم وانها
سواى المراق مانياب
المراتب
وصيره بالفتك يعرونه
ودى الرزايا والمراض
المصارب
فكر عليه مثله اليسر انني
كطوف غول النسوء حول
القرائب

أقبل التترمن المشرق حتى وصلوا الى نواحي العراق واذربيجان واران وغيرهاعلى مانذكره ان شاء الله تعالى وأقبل الفرنج من المغرب فلكوا مثل دمياط في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء وأشرف سائر البلاد بمصر والشام على أن تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحاومساء وأراد أهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفامن العدو ولات حين مناص والعدو قد أحاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينية وغيرهما يستنجدهما ويحثهما على الحضور بأنفسهما فان لم يكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرآه مشغولا عن انجاده بماذهمه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثيرممن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستمائة ان شاء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فلبطلب من هاله فعذره وعادعنه وبقي الامر كذلك مع الفرنج وأما الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستمائة والملك الكامل مقابل الفرنج فلمادخلت سنة ثمان عشرة وستمائة علم بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده وأتاه صاحب دمشق وسار صاحب دمشق يحثه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمن معه من العساكر وأمر الباقين باللحاق به الى دمشق وأقام بها ينتظرهم فأشار عليه بعض أمرائه وخواصه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفامن اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجت للجهاد ولابد من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قدساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمى بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنواهم وكل الناس أنهم يملكون الديار المصرية وأما الاشرف فانه سار حتى وصل مصر فلما سمع أخوه الكامل بقربه منهم توجه اليه فلقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهم لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا وأما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار أيضا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنامنه ان اخويه وعسكريهما قد نازلوها وقيل بل أشير في الطريق ان الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم واخواه من خلفهم والله أعلم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل وقاتلوا شواني الفرنج فأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيهامن الرجال ومافيهامن الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم هذايجري والرسل مترددة بينهم في تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين ماعدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضاعن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم أمر وقالوا لابد من الكرك فبينما الامر في هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم مايقوتهم عدة أيام ظنامنهم ان العساكر

ومن عجيب الامور في حكم المقدور * أن اخترم الامير الماضي برد الله حفرته * ونور غرته * حتف أنفه * على اخطاره بنفسه * في خم المتوف * واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف * كخالد بن الوليد حين وافى أجله اذ قال ثاورت الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة * الاوفيه ضربة أو وخز طعنه * وها أنا أموت ميتة الحمار * ان الحكم لله الواحد القهار * أوكلاما شبيها به أما ان خالدا لم يدر أن سيف الله لا يقتل بالسيف * وكذا القتل يرنو الى موت الشباب من خصاص الحيف * وأن الله تعالى لما جعله أكرم النفوس مناقب * وقبض له أجمل الامور عواقب * وقد فرغ ابن الرومي من

الاسلاميه لاتقوم لهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بأيديهم فبينما أرادوا من
الامر يريده الله تعالى ثم فتح المسلمون الماء على الارض التي عليها الفرنج من النيل
فركب الماء أكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق
فنصب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند أشموم وعبرت العساكر عليها فملك الطريق الذي
يسلكه الفرنج ان أرادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق في تلك الحال انه وصل
اليهم مركب كبير للفرنج من أعظم المراكب يسمى مرمه وحوله عدة حراقات تحميه والجميع
مملوءة من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شواني المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمة
وبما معها من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا
الصواب بمفارقة دمياط في أرض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب
ويحملون على أطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم
وأرادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط فرأوا ما أملوه
بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والماء حولهم والوجه الذي يقدرون على
سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا أنهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وان الميرة قد تعذر
عليهم وصولها وأن الهلاك قد كشر لهم عن انيابه ذلت نفوسهم وتكسرت صلبانهم وضل
عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض
فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جمع كثير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه
المسلمون نجدة أتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان
قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا وذلا
وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة في تاسع رجب من سنة ثمان عشرة
وستمائه وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقمامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على
تسليم دمياط ملك عكا ونائب البابا صاحب روميه وكندريش وغيرهم وعدتهم عشرون ملكا
وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب
المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر
فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا
ولم يبق بها من أهلها الا آحاد وتفرقوا أيدي سبا فمنهم من فارقها لما حصرت ومنهم من مات
ومنهم من أخذه الفرنج ولما دخلها المسلمون رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما
بحيث بقيت لاترام ولا يوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى أربابه
وأعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم ان يسلموا البلاد التي أخذت
منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بأيديهم على حالها فالله
المحمود المشكور على ما أنعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر
على ما ذكرناه ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم كانت ببغداد فتنة بين أهل المأمونيه وبين أهل باب الازج بسبب قتل

هذا المدى طرّد ويعص
وسه الرهان تموّد
ان لم يكن طهر الهماسته
تكرم التت شرى عبر عتمه
امالترى الفرس لاتلدى
كرامه
الاهلى سو اهاى آخر الامد
لمه السبقوم يسرعون
بها
اسوا في الهدى علياته المعد
م الملمات ومر الموت ما احمعا
آسى فأبى ليث العسر
ى المعد
موت السلامة للانسان
نعمه
واما القتل السما للامد
لم يعدل السيف طالما
في صرائه
فلم يسلط عليه كفدى قود
ولعمرى ان الربه
قدس الله روحه لفاطره
الهموم فما مازيين
الرجال على الهموم وعن
ان القاضي أبا العلاء

سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا الجرح بينهم كثير فحضر نائب الباب وكفهم عن ذلك فلم يقبلوا ذلك وأسمعوه ما يكره فأرسل من الديوان أميرمن مماليك الخليفة فرد أهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة وفيها كثر الفار ببلد دجيل من اعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر أن يجلس الا ومعه عصا يرد الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان مثلها وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك وأعدوا السفن لينجوا بها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما أرى بمال أو غيره لفعلت ولو دفع بحرب لفعلت ولكن أمر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما الجانب الغربي فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلة قطفتا وفيها توفي أحمد بن ابي الفضائل عبد المنعم بن ابي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن أبي الخير الميهني الصوفي أبو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحا من بيت التصوف والصلاح

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة﴾

﴿ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى أن استقرت الامور﴾

في هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ابن آقسنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة أشهر وكان موته انه أخذته حمى ثم فارقته الغد وبقي يومين موعوكا ثم عاودته الحمى مع قيء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثم بردت له وعرق وبقي كذلك الى وسط الليل ثم توفي وكان كريما حليما قليل الطمع في أموال الرعية كافا عن اذى يوصله اليهم مقبلا على لذاته كانما ينبهها ويبادر بها الموت وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت * حكى لي بعض من كان يلازمه قال كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لي قد وجدت ضجرا من القعود فقم بنا نتمشى الى الباب العمادي قال فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادي فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ثم قال لي والله ما نحن في شيء أليس مصيرنا الى ههنا وندفن تحت الارض وأطال الحديث في هذا ونحوه ثم عاد الى الدار فقلت له الا تمشي الى الباب العمادي فقال ما بقي عندي نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفي بعد أيام وأصيب أهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم ففي كل دار لاجله رنة وعويل ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ودولة أبيه نور الدين قبله وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله وسيرد منها أيضا ما يزيد الناظر بصيرة

صاعد بن محمد وسائر شيعته الشاربين من زلال شريعته أوفر من الاحزان اقساطا وأشد على مرود الاشجان ارتباطا * فقد كان عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا موردا * وكهفا مقصودا * ولواء على نصرة الدين معقودا * ولولا أن الله سدّ ثلمة المصاب * وخلة الاكتئاب * بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله في الارض سلطان الزمان يمين الدولة * وأمين الملة * أطال الله تعالى بقاءه * وحفظ على الدين والدنيا بهاءه وسناءه ففي بقائه عوض من كل ذاهب * وخلف من كل غارب أو عازب * لاتسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب المضي * والثاقب الالمعي * غير ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية اللباس * نامية الغراس * ناضرة الاكناف

به المالكي فقام بدر الدين بأمر نور الدين وأحلفه في مملكة أبيه وأرسل الى الخليفة يطلب
له التقليد والتشريف وأرسل الى الملوك وأصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد
العهد لنور الدين على القاعدة التي كانت بينهم وبين أبيه فلم يصبح الا وقد فرغ من كل ما يحتاج
اليه وجلس للعزاء وحلف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغير مع صغر السلطان
وكثرة الطامعين في الملك فانه كان معه في البلد أعمام أبيه وكان عمه عماد الدين زنكي بن
ارسلان شاه بن مودود في قلعة عقر الحميدية يحدث نفسه بالملك لا يشك أن الملك يصير اليه بعد
أخيه فرتب بدر الدين ذلك الترتيب ودبر ذلك التدبير وشمل الاحسان والخلع على كافة الناس
وعم أرباب البلد انعامهم فلم يمض ذلك الشهر الا وهو معروف ولا يكاد دون صغير وأحسن
السير وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد أيام وصل التقليد من
الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر في أمر دولته والتشريفات لهما أيضا وأتتهم
رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لهما

﴿ذكر ملك عماد الدين زنكي قلاع الهكارية والزوزان﴾

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستمائة أنه أعطى ولده الاصغر زنكي قلعتي العقر وشوش
وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته مصاحبا لكثرة تلونه وكانت قلعة
العمادية مسلمة الى غلام من غلمان جده عز الدين مسعود بن مودود فقيل انه جرى له مع زنكي
مراسلة في معنى تسليم العمادية اليه فنمي الخبر بذلك الى بدر الدين فبادر بالعزل مع أمير كبير
وجماعة من الجند لمكنه الامساك وسلم القلعة الى ناصر الدين كذلك وجعل بدر الدين في
غير العمادية من القلاع نوابا له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضا من جروح كانت به
وغيرها من الامراض وكان في المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فأرسل زنكي الى من
بالعمادية من الجند يقول انني أحق من بيت نور الدين بعد البلاد وأنا أحسن بطاعة آبائي
وأجدادي فلم يزل بهم حتى استدعاه الجند فسلموا اليه فوصل في شهر رمضان سنة خمس عشرة
وستمائة وركبوا الى الباب البدري وعلى من معه فوصل الخبر الى بدر الدين بذلك الحق
الامر ونادى في العسكر لوقته بالرحيل فسار واعتدى الى العمادية وبها زنكي ليحصروه فيها
فلم يطلع الصبح الا وقد فرغ من تسيير العساكر فسار والى العمادية وحصروها وكان الزمان
شتاء والبرد شديدا والثلج هناك كثيرا فلم يتمكنوا من قتال من بها لكنهم أقاموا يحصرونها وقام
مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل في نصر عماد الدين وتصدى لمساعدته فراسله بدر
الدين يذكره الايمان والعهود التي من جملتها انه لا يتعرض الى شيء من أعمال الموصل ومنها
قلاع الهكارية والزوزان فانها تسلمها ومتى تعرض الى أحد من الناس من كان معه نصبه
وعساكر وأعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفاء بها وأمره بالكف عن هذا ووصى
بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل وأظهر معاضدة عماد الدين زنكي فأمده وكاتب
زنكي بالرسائل والعساكر لقرب هذا الحصن من الموصل وأعمالها الا ان العسكر البدري
حاصر العمادية وبها زنكي ثم ان بعض الامراء من عسكر الموصل ممن لا علم له بالحرب وكان
شجاعا وهو حديث الامارة أراد أن يظهر شجاعته ليزداد تقدما وأشار على من هناك من

حاله الاخلاف ولا زال
صلى الله عليه عظما
وجعله حسناه ولطفه
كرماه ولا حقق عنه الزمان
سماه وألهمه ما عرفه
واجتهاد الصبر وترقيه لما
مرا ماضيه النصر ولقاه
مل الوهم مواهب شرط
البيان ملكه وتقررها
من الوجوب في قصه
ملكه ٭ ورسم اقتداء
الامير المقدم التطهر
والحلل ٭ القصد المثل
والدليل وجهة تردد مرتبته
ونفس روحه وريحه ٭
وعرف امساكه في الحب
من دين الله ٭ والسعي في
سبيل الله ٭ والقرض من
ماله لاولياء الله ٭ وعوض
الله السامع لساده عما
دهاهم وجاههم ولا بسط
عليهم ديمهم ٭ وجعل في
موقف العدل موازينهم ٭
وجعلهم المسعدين
ليوم الدين ان يحكم الله

العسكر

العسكر بالتقدم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شيأ يسيرا لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وفجروا رأيه فتركهم ورحل متقدما اليهم ايلا فاضطروا الى اتباعه خوفا عليه من أذى يصيبه ومن معه فسار واليه على غير تعبية لضيق المسالك ولأنه أعجلهم عن ذلك وتحكم الثلج عليهم أيضا فسمع زنكى ومن معه فنزلوا ولقوا أوائل الناس وأهلكوا أكثر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطروا الى العود فلما عادوا راسل زنكى باقى قلاع الهكارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فأجابوه وسلموا اليه فجعل فيها الولاة وتسلمها وحكم فيها

(ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف)

لما رأى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدة وانهما لا يزالان يسعيان فى أخذ بلاده ويتعرضان الى اطرافها بالنهب والاذى أرسل الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلها الا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار فى طاعته منخرطا فى سلك موافقته فأجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما أخذ من القلاع التى كانت له وكان الملك الاشرف حينئذ بحلب نازلا بظاهرها لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم التى بيد المسلمين قونية وغيرها الى أعمالها وملكوا بعض قلاعها فأرسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان هذه القاعدة تقررت بين جميعنا بحضور رسلك وانتا نكون على الناكث الى أن يرجع الى الحق ولا بد من اعادة ما أخذ من بلد الموصل لندوم على اليمين التى استقرت بيننا فان امتنعت وأصررت على معاضدة زنكى ونصرته فأنا أجىء بنفسى وعساكرى وأقصد بلادك وغيرها واسترد ما أخذتموه واعيده الى أصحابه والمصلحة انك توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم فلم تحصل الاجابة منه الى شئ من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتفقا مع مظفر الدين فلما رأى الاشرف ذلك جهز عسكرا وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم

(ذكر انهزام عماد الدين زنكى من العسكر البدرى)

لما عاد العسكر البدرى من حصار العمادية وبها زنكى كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التى له ليتسلط على أعمال الموصل بالصحراء فان بلد الجبل كان قد فرغ منه وأمده مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر فلما اتصل الخبر ببدر الدين سير طائفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فأقاموا على أربعة فراسخ من الموصل ثم انهم اتفقوا بينهم على المسير الى زنكى وهو عند العقر فى عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم يأخذوا أمر بدر الدين بل أعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الا سلاحهم ودواب يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبحوا زنكى بكرة الاحد لاربع بقين من المحرم من سنة ست عشرة وستمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فأنزل الله نصره على العسكر البدرى فانهزم عماد الدين وعسكره وسار الى

على العباد بالموت يقرى الجفلى * والخلق بها شرع * والآخر للأول تبع * والحمد لله على كل حال * والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله خير آل
*(ذكر ما انتهى اليه أمرى بعد بلوغ هذا المكان من شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة * من قصد الوزير شمس الكفاه * واقتضائه حق الخدمة والموالاة)
قد سبق فى أول الكتاب ما سلف لى الى الامير ناصر الدين * أبى منصور سبكتكين أنار الله برهانه من خدمه * وتقدم عنده من ال وذمه وغرست أثناء ذلك فى التقرب الى الوزير شمس الكفاه * والتكفل بما رآه والتجرد لما أرضاه ما رجوت على الايام ايراق شجره وايناق نوره وثمره * بعد أن

أرامل منهم ما وعاد العسكر البدري المنهزمة الى كل منهما وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف في عقد الصلح فاصطلحوا وعاد كل الى ما كان بيده قبل هذه الحرب

•(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك أخيه)•

ولما تقرر الصلح توفي نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لابن القاهر ابنا بعده امراض فرتب بدر الدين في الملك بعده أخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولد غيرهما وحلف له الجند وركب فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركب اعلموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الفتنة

•(ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين)•

لما توفي نور الدين وملك أخوه ناصر الدين بعده طمع مظفر الدين وعماد الدين طمع لصغر سن ناصر الدين فجمعا الرجال وتحركا فظهر ذلك وقصد بعض أصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان بدر الدين قد سير ولده الاكبر في جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد أن يدخل بلاد الفرنج التي بساحل الشام ليمنعها وعزم الفرنج ومن معهم من دمياط الى بلادهم ليضعف الامر على الملك الكامل صاحب مصر فلما رأى بدر الدين تحرك مظفر الدين وعماد الدين وان اكثر عسكره بالشام أرسل الى عسكر الملك الاشرف الذي بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة خمس عشرة فلما رآهم بدر الدين استقلهم لانهم كانوا أقل من العسكر الذي له بالشام أو مثلهم فأخرج ايبك الى عبور دجلة ولقصد بلاد اربل لقصد مظفر الدين من ذلك وأمر بالامراء ان تنزل بظاهر الموصل أياما وأمرهم بعبور دجلة فعبرها بدر الدين مع العسكر ونزلوا على فرسخ من الموصل شرقي دجلة فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكي فعبر الزاب وسبق خبر مسيره بدر الدين فجمع أصحابه وجعل ايبك في الميمنة ومعه جماعة من أصحابه وأكثر معه منهم حسب انه لم يبق معه الا النفر وجعل في ميسرته أميرا كبيرا وطلب الانتقال منها الى الميمنة فنقله فلما كان وقت العشاء الآخرة أعاد ذلك الامير طلب الانتقال من الميمنة الى الميسرة والخصم بالقرب منهم فلم يمكن بدر الدين من ذلك وقال متى انتقلت أنت ومن معك في هذا الليل ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف أحد فأقام بمكانه وهو في جمع كثير من العسكر فلما انتصف الليل سار ايبك فأمر بدر الدين بالمقام الى الصبح ليعرف العدو ومن لم يعمل بالجهة بالحرب فاضطر الناس لاتباعه فعطلوا في الليل والظلمة وتفرقوا وهم والخصم في العسكر من دجلة على ثلاثة فراسخ من الموصل فأما ناصر الدين فانه تياسر والتقى بالميمنة وحمل في طلائعه هو والميمنة على ميسرة مظفر الدين فهزموها وهم اربكي وكان الامير الذي انتقل الى الميمنة قد أشهد عليهم ذلك فلما رأى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدم اليه مظفر الدين فلم يمكنه في القلب فلم يعرفوا لم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة وبرز لعبها الى البلد فلما رآه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدو بازائه بينهما دجلة فنزل مظفر الدين فيمن بقي معه من عسكره ونازل حصن حيري فأقام بلادة أياما فلما رأى اجتماع العسكر البدري

صادف من آثار رعايته ما لم يكن يلوح الا بهمته وما المس كرمه الصادق صيان ذمته • ورأى عدد ورود البيه • وعرض موضوع الكتاب وتمويهه عليه • أن يعتني بالتقليد ويسير الى كم رساله على البريد • وعليها مرمون من انوار لسان المعوى القوي سيج طالعه ونور وما له ديوانه وسحار سمع السمع وبعمر رد لريب وأول سورة العامل • وآخره قرون السائل • فاتبع وعدي عليه ما استقام تناسب سمعه الاخرامولا حرمة الاقلام والمنابر يوهم من جانب انه معروف ومن آثر ان المقدور ورب وقد كسد ان الرعاة من منيع السر سيحال ووراثة تجاب الاولاد حلال • وما عليها ان رموا الا اباه معاداة الآباء واتخذوا الدا

بالموصل وانهم لم يبق منهم الا اليسير وبلغه الخبر ان بدر الدين يريد العبور اليه ليلا بالفارس
والراجل على الجسور وفي السفن ويكبسه فرحل ليلا من غير ان يضرب كأسا او بوقا وعادوا
نحو اربل فلما عبروا الزاب نزلوا ثم جاءت الرسل وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان كل من بيده
شيء يحوله وتقررت العهود والايمان على ذلك

(ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشي وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الاشرف سنجار)

كواشي هذه من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لما رأوا ما فعل
اهل العمادية وغيرها من التسليم الى زنكي وانهم قد تحكموا في القلاع لا يقدر احد على
الحكم عليهم احبوا ان يكونوا كذلك فأخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت
رهائنهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فترددت الرسل في عودهم الى
الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكي في المجيء اليهم وتسلم القلعة واقام عندهم فروسل مظفر الدين
يذكر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشي فلم تقع الاجابة الى ذلك فأرسل حينئذ
بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران واختلفت عليه
الامور من عدة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف ان مظفر الدين كان
يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسن لهم الخروج على الاشرف ويخوفهم منه
اذا خلى وجهه فأجابه الى ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد
الروم وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين واتفقوا كلهم على طاعة كيكاوس
وخطبوا له في بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لما قصد بلاد حلب فهو
موغر الصدر عليه فاتفق ان كيكاوس مات في ذلك الوقت وكفى الاشرف وبدر الدين شره ولا بد
الا ما اقعص عنك الرجال وكان مظفر الدين قد راسل جماعة من الامراء الذين مع الاشرف
واستمالهم فأجابوه منهم احمد بن علي بن المشطوب الذي ذكرنا انه فعل على دمياط ما فعل وهو
اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عز الدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا
بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة
بدر الدين فلما اجتمعوا هنالك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقر الصلح بينهما
وسلم اليه الاشرف مدينة حاني وجبل جور وضمن له اخذ دارا وتسليمها اليه فلما فارقهم
صاحب آمد انحل امرهم فاضطر بعض اولئك الامراء الى العود الى طاعة الاشرف وبقي
ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من
الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرق من معه من الجمع ومضى منهزما فاجتاز بطرف
بلد سنجار فسير اليه صاحبها فروخشاه بن زنكي بن مودود بن زنكي عسكرا فهزموه واخذوه
اسيرا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقا للاشرف وبدر الدين فلما صار عنده ابن المشطوب
حسن له مخالفة الاشرف فأجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه من يريد الفساد فقصدوا البقعاء
من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدة قرى وعادوا الى سنجار ثم ساروا وهو معهم الى تل يعفر وهي
لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا في تلك الناحية فلما سمع بدر الدين بذلك سير اليه
عسكرا فقاتلوهم فمضى منهزما وصعد الى تل يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه وفيها افسار

يكاشح ولده * ويطوى على
الداء الدفين معتقده * حتى
يباغض من وافقه وعاهده *
وضرب على وجوب عقد
الموالاة يده * وسامى
خزانة الدين بمواطأته على
كل ما تعلق الرقاب * وتوجب
في عواقبها العقاب * حتى
اذا علم ان مثلي لا يقر على
الباطل * ولا يرضى باستهلاك
الايامى والارامل * رام ان
يغرقني في دردوره * ويشويني
في تنوره فاحتالوا كل
وحرش على الامراء الاشبال *
وابى الله لعلمه بسداده الا ان
يحيق به مكيدته * ويكشف
عن اقواه الزور وابطال
الغرور قصيدته * ولما
ايس مما رامه * وابلس دون
ما جرد له اهتمامه واعترامه *
عرج على استنزال شمس
الكفاة بسحر التمويه *
وعرض صورتي عليه في

بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء التاسع عشر من ربيع الاول سنة سبع عشرة وستمائة وبعد
في عسكره ورحل الناس بعد أخرى ولكنها الى عشر ربيع الآخر من هذه السنة وأخذ
ابن المشطوب معه الى الموصل فحبسه بها فأخذه منه الاشرف فحبسه بحران الى أن توفي
في ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاه الله عمره ما صنع بالمسلمين بدمياط وأما الملك
الاشرف فانه لما أطاعه صاحب الحصن وآمد وعرف الامراء كما ذكرناه رحل من حران الى
دنيسر فنزل عليها وأرسل الى بلد ماردين ونهب منه وأقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحشر
معه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين في الصلح فاصطلحوا على أن يأخذ
الاشرف رأس عين وكان هو قد أقطعها لصاحب ماردين وأن يحمل اليه ثلاثين ألف دينار
ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى
نصيبين يريد الموصل فبينما هو في الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب
العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب في ذلك أحد بني عمه الذي فعله الى الخلع اليه والتجأ الى خلاط
ابن عمه ونصائح ساعية وزاد ذلك ربما وخافه فقد وتعدوا ان يقضى عليهم ولانه
قطع رحمه وقتل أخاه الذي ملكه سنجار بعد أبيه قتله كما ذكرناه شاء الله وملكها فلما قصده
فعله ولم يبق معه من الملك الا من رحيل الاشرف فقصر في أمره فأرسل في التسليم اليه فأجابه الاشرف
الى العوض وسلم اليه الرقة وتسلم سنجار مستهل جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها
صاحبها وأخوته بأهليهم وأموالهم وكان هذا آخر ملوك البيت الاتابكي بسنجار فسبحان الحي
الدائم الذي ليس لملكه آخر وكانت مدة ملكهم لها أربعا وتسعين سنة وهذه عادة الدنيا بأبنائها
فبئسا لها من دار ما أغدرها بأهلها

ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين

لما ملك الملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليصير بها ويقدم بعيده عساكره وكان يصل
كل يوم منهم جمع كثير ووصل هو في آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة
المذكورة وكان يوم وصوله مشهودا وأتاه رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وبذل تسليم
القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكي وان المصلحة
قبول هذا القول القبيح وهم الاشد صار يميل الى الحرب وطال الحديث في ذلك فعزم على
رحيل الاشرف بعد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من الزاب
وكان مظفر الدين نازلا عليه من جانب اربل فأعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والسلب
قد عصروا وناصر الدين صاحب آمد يميل هواه الى مظفر الدين فأشار بالاجابة الى ما بذل
وأعانه عليه غيره ممن يطلب الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وحمل لتسليمها اهل وحمل زنكي الى
الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلمت قلعة العقر وقلعة شوش أيضا
وهما لزنكي الى نواب الاشرف رهنا على تسليم ما استقر من القلاع فاذا سلمت أطلق زنكي
وأعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلم الاشرف الى زنكي القلعتين وبلاد
الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثاني شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فأرسلوا الى
القلاع لتسلم الى نواب بدر الدين فلم يسلم اليه غير قلعة جل صورا من أعمال الهكارية وأما الى

معرض التسوية * مرهما
اياه انه لو صبروا لعصى
من باطره وربما عمل رتبه
الفائدة * أو رواية بعباد
المواراة والممالة * على
ستره بالوجه لا تستعف
الاعداء الثار * واذا رأيته
لاستنزل الاول مثل هذا
التميل * حتى تعذب فيه
رقبته * وحلف في استراله
دحيه * فلسرب سقدا
ولا الارض من صوبه
المهاده * والكف من وشم
الوداده * والتوسع من لون
المساده * أو صبغ القرصاد
وعلم الله اني لم اكن لأصير
كدرا على صفائه أو أسر
حسوا في ارتقائه * أو أصير
تحت الفيئة * أو طما على
عن سريعه * صرى من
فكيف عن سهم الوفا *
وعيب دونه من الصماء *
وودع عن الهم المتعب *

القلاع فان جندها أظهر والامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلم الاجل صورا ولازم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى بن الملك العادل وخدمه وتقرب اليه فاستعطف الله أخاه الملك الاشرف فمال اليه وأطلقه وازال نوابه من قلعة العقر وشوش وسلمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تل يعفر وانها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلمها اليه بدر الدين

(ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان الى بدر الدين)

لما ملك زنكى قلاع الهكارية والزوزان لم يفعل مع اهلها ماظنوه من الاحسان والانعام بل فعل ضده وضيق عليهم وكان يبلغهم أفعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلما كان الآن اعلنوا بما فعل معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا اشياء من أقطاع تكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستأذنه فى ذلك فلم يأذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع جموعا وحصر قلعة العمادية فلم يبلغ منهم غرضا وأعاد وامراسلة بدر الدين فى التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف فى المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين ليأذن له فى اخذها فاذن له فارسل اليها النواب وتسلموها وأحسن الى اهلها ورحل زنكى عنها ووفى لهم بدر الدين بما بذله لهم فلما سمع جند باقى القلاع بما فعلوا وانهم وصلهم من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم فى التسليم فسير اليهم النواب واتفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب ان العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها فى استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلما تفرقوا احضر أهلها وسألوا أن تؤخذ منهم فعادت صفوا عفوا بغير منة ولقد أحسن من قال

لاسهل الاماجعلت سهلا * وان تشا تجعل بحزن وحلا

فتبارك الله الفعال لما يريد لامانع لما اعطى ولامعطى لما منع وهو على كل شئ قدير

(ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس)

فى هذه السنة سار عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدا للتغلب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر ابن صلاح الدين عن رعيته فاوغروا صدره فلقى الناس منهم مشقة فلما توفى الظاهر وولى الامر شهاب الدين طغرل أبعدهما وغيرهما ممن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعله ولم يطرق اليه أحدا من اهله فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وتاربهما الناس وآذوهما وتهددوهما لما كانا أسلفاه من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقررا فى نفسه انه متى قصدها لايثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك مابعدها فلما عزم على ذلك أشار عليه ذوو الرأى من اصحابه وقالوا له لايتم لك هذا الا بان يكون معك أحد من بيت ايوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل ابن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة

وردّ الجرعلى قرارة القليب ونزعى عما ادليه بقدم من أهل جرجان لايعرف الرشد من الغى * ولا الظل من الفى * ولا النشر من الطى * ولا النقد من الى ولا الاثبات من النفى * ولا جرجان من الرى * شوهة بوهة قد صبغ من طول الفناء * وزرقة البزاه * وابقة الدواه * وصفاقة الصفاه * وتجدير الصحف بالعشرات طالما عثر على العشرون تشمما التراب * وتكففا للعصا فى الجراب * وتصرفا على الكمس بالصروف وتم هجا الالف بنقطتين من بين الحروف * وطفق من بعد يرتضخ لكنة عجمية فى شعر كشعره الموصوف بوبارة الصوف * مستميحا كل صراف واسكاف * وعطار وبيطار * على سعر

الى بعضهم ولم يقرر بينهما قاعدة فيما تحصله من البلاد في كل بعد أطاعك الناس
وسهل عليك تمام تريد فاحضر الافضل من سميساط إليه واكرمه وحمل اليه شيئا كثيرا من
الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما أن يكون ما يفتحه من حلب
وأعمالها للافضل وهو في طاعة كيكاوس والخطبة له في ذلك أجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة
فما يفتحونه مما بيد الملك الاشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاوس
وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل فمال
الناس حينئذ اليهما ثم سارا الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقي
فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل
فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب فعل به هكذا فلا
يحصل الا ان تكون قد قلع بيته بغيره فبرت نيته وأعرض عما كان يفعله وكذلك اهل
البلاد فكانوا يظنون ان الافضل يملكها فسهل عليهم الامر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا وأما
شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم القلعة لا يفارقها
اليه وخشية كاستعاده ملك الظاهر وقام بتربية ولده فلما حدث هذا الامر خاف ان
يحصروه ولا يعلم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك الاشرف
ابن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له
ويخطبون له ويجعل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولان ولد الظاهر هو ابن
أخيه فاجاب الى ذلك وسار اليهم في عساكره الى حلب وأرسل الى البادية يطلبهم اليه ومن
ذلك المصلحة العامة لهم وأحضر اليه امراء العرب من طي وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما أخذ
كيكاوس تل باشر كان الافضل يشير عليه بقصد حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل أن يحتاطوا
ويحصروا فعاد عن ذلك وصار يقول الرأى اننا نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا
من نقصدهم فعادا وعبروا الزمان في لا شىء فسار من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الاشرف
نحوهم وسارت العرب في مقدمته وكانت طائفة من عسكر كيكاوس نحو ألف فارس قد سبقت
مقدمة فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفي فاقتتلوا فانهزم عسكر
كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب فلوده حيلهم وذهب حياتهم
الروم فلما وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على أعقابه يطوي المراحل الى بلاده خائفا
يترقب فلما وصل الى أطرافها أقام وابما فعل هذا لانه صبي غر لا معرفة له بالحرب والا فالعساكر
ما زالت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان وحصر تل باشر
وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوا حتى غلبوا وأخذت القلعة منهم وأطلقهم الاشرف فلما
وصلوا الى كيكاوس جعلهم في دار وأحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة
واستعظموه واستقبحوه ولا جرم لم يمهله الله تعالى وعجل عقوبته القوم قد بيته ويده معه ويصبوا لعدم
الرحمة في قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الاشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب
الدين اتابك صاحب حلب وكل عازما على اتباع كيكاوس ودخول بلاده فاتاه الخبر بوفاة أبيه
الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لان الفرنج بديار مصر وملك تلك السلطان

فمن قصيدته الاولى اذا السلطه
* وللملك راعيه
والسمه بطويه * والتله
باوزه وعمر وما يأملى
هذه الحياه في الواعيه
والواعيه * ثم اتسع
حر امار بصاعته المرحلة
موافق على النظره
الفرامقو لاه ولسيس
من الطاعة عمر ومقولا *
فالتمعيا التامل * علوان
من الاستقاده مع المال *
واو رب الوبال * وأهمل
عدولا * ويعود في قدر
بعره من دولا * الى أن مر
ممن الكفاه عن نفسه
فاسأل بعلى * وبعده
مكنه العوى العوى في *
دعسفك من المكروه في
الروح * ودونها بالمروح *
بما لولا مكان الامير السيد
أبي سعد مسعود بن يمين
الدوله وامين المله * وصل

العظيم اذا توفى ربما يجرى خلل فى البلاد لاتعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منهما اذى صاحبه

﴿ذكر وفاة الملك العادل وملك أولاده بعده﴾

توفى الملك العادل أبو بكر بن ايوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند ملك عمه أسد الدين شيركوه ديار مصر سنة أربع وستين وخمسمائة ولما ملك أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر بعد عمه وسار الى الشام استخلفه بمصر ثقة به واعتمادا عليه وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن السيرة فلما توفى أخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقى مالكا للبلاد الى الآن فلما ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة اربع عشرة وستمائة قصدهم مرج الصفر فلما سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فأقام به ومرض وتوفى وحمل الى دمشق فدفن بالتربة التى له وكان عاقلا ذا رأى سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما ذا أناة يسمع ما يكره ويغضى عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف فى شئ واذا لم تكن حاجة فلا وكان عمره خمسا وسبعين سنة وشهورا لان مولده كان فى المحرم من سنة أربعين وخمسمائة وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة من الافضل ابن أخيه وملك مصر فى ربيع الآخر من سنة ست وتسعين منه ايضا ومن أعجب ما رأيت من منافاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قط الا وأخذها منه عمه العادل فأول ذلك ان صلاح الدين أعطى ابنه الافضل حران والرها وميافارقين سنة ست وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلما وصل الى حلب أرسل ابوه الملك العادل بعده فرده من حلب وأخذ هذه البلاد منه ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فأخذها منه ثم ملك مصر بعد وفاة أخيه الملك العزيز فأخذها ايضا منه ثم ملك صرخد فأخذها منه وأعجب من هذا انى رأيت بالبيت المقدس سارية من الرخام ملقاة فى بيعة صهيون ليس يوجد مثلها فقال القس الذى بالبيعة هذه كان قد أخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثم ان العادل أخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فأخذها وهذا غاية وهو من أعجب ما يحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين أولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمدا وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك الاشرف موسى وأعطى الرها لولده شهاب الدين غازى وأعطى قلعة جعبر لولده الحافظ أرسلان شاه فلما توفى ثبت كل منهم فى المملكة التى أعطاه اياها أبوه واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجرى بين أولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق الى الآخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد ملكهم ورأوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره أبوهم ولعمرى انهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية وأما الملك الاشرف فليس للمال عنده محل بل يمطره مطرا كثيرا كعفته عن أموال الرعية دائم الاحسان لا يسمع سعاية ساع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن أرض دمياط لانه بلغه ان جماعة

احسانه * واستنقاذه اياى من فوات أشداقهما بأحد غلمانه * امتداق انطاب الى مايه زلالا فيه * ولعاق رهن الحياة بما فيه * ولو كنت عرفت من سيرة البغوى قبل ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره * واحترست من مساقط أحجاره * لكن السرائر بيد الله تعالى لا يكشفها الا الاختبار والنظر فى خلق النفوس فان تجد ذاعفة فلعله لا يظلم وقد كتبت الى جماعة الافاضل فى ذكر المذكور وشكواه * وتقرير سجاياه * ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة أرباب الصناعة * وعصابة أعلام الاصابة * من مبادى الاشراق * الى أقاصى العراق * من محمد بن سعد

من الامر ما قد احتجروا الى ملك أصحابنا التتر خوفا منهم فصار لهم مرتبة فانتقل الفرنج الى مصر واحتشد ما طبر او صار بعكا من ذلك وقد تقدم مستقصى سنة أربع عشر وستمائة وفيها في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرسا في عدة مدارس بالموصل وكان صالحا كثير الخير والدين سليم الصدر رحمه الله وفيها توفي عز الدين نجاح الشرابي خاص الخليفة وأقرب الناس اليه وكان الخليفة في دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والصدقة للناس وأما صحبه وتقدمه فإنه كان التهاية وبه يضرب المثل وفيها توفي علي بن نصر بن هرون أبو الحسن الحلي النحوي الملقب بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره

•(ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة)•

•(ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباد أخيه)•

في هذه السنة توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونيه والقصرا وملطيه وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكر وسار الى ملطية على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكة في بلادهم واتفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطية فسمع الملك الاشرف من المسير الى الموصل لنجدة لصاحبها بدر الدين لئلا يقصد مظفر الدين من اربل بلاد الموصل ايضا وكان قد علق به السل فلما اشتد مرضه عاد فمات وولي الملك بعده أخوه كيقباد وكان محبوسا قد حبسه أخوه كيكاوس لما أخذ البلاد وأشار عليه بعض أصحابه بقتله فلم يفعل فلما لم يخلف ولدا اصطلح الامراء فأخرجوا كيقباد وملكوه ومن بغى عليه لينصره الله وقيل بل أرسل كيكاوس لما اشتد مرضه فأحضره بعد من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له فلما ملك سالمه صاحب ارزن الروم وخاف أصحاب الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهد أهل المصافاة والتعاضد وتظاهرا وكفى الاشرف شر تلك الجهة وتفرغ باله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القائل وحلت طعنة بعد سنان وهذا امر حسن السعه فانه حسن التدبير فيه وإصابة كالقاص أدى تطرق اليهم سنة غير قاصد الى البلاد المجاورة للادمادي ومقطع صعب أصحابها وقوته لاخرم مايسه البلاد حصروا معوا

•(ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك أخيه)•

وفي هذه السنة ثامن صفر توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وكان كريما حسن السيرة في رعيته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم وأما أصحابه فكانوا معه في أرغد عيش يعمهم باحسانه ولا يخافون أذاه وكان عاجزا عن حفظ بلده مسلما الامور الى نوابه ولما توفي ملك بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه وركب الناس معه وبقي مالكا لسنجار عدة شهور وسار الى تل أعفر وهي له فدخل عليه أخوه عمر بن محمد بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه وملك أخوه عمر بعده فمن كان كذلك الى أن سلم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذي قطع رحمه وأراق الدم الحرام لاجله ولما سلم سنجار أخذ عوضها الرقة ثم أخذت منه عن قريب وتوفي بعدها فخاب امله وعدم روحه وشبابه

(في الهامش:) الجار المعروف بابن التعبر العبسي رسالة مضمن كل حاسر وجود • ورسم كل لاحق مولود • ما جمع لجمو اكان • وأطلق على الكثر صان • وشمر في سبيل الله حسام • وأقدم على كتاب الله تعالى وأهام • سلام عليكم ما راى سار وموصوف • وأراق سار وسكوب • ورد على الانسان حلو • وكر في روضة الناس فارح تصوب • فلا ما عبد على شمات السمر قصائد • ونسم في قتاب المسك والعبر أرادانه • أما بعد فانه تعالى حشده فاراسمه الى منطع السارين صياحها • وسرح السائرين وساحها فمعدلة القدود • موردة الخدود • مصفرة العروق • مورة السوق • مطلقة الدوارس عدته

وهذه عاقبة قطيعة الرحم فان صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر

(ذكر اجلاء بنى معروف عن البطائح وقتلهم)

فى هذه السنة فى ذى القعدة أمر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معدا متولى بلاد واسط أن
يسير الى قتال بنى معروف فتجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار
والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم ومقدمهم حينئذ معلى بن
معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربى الفرات تحت سوراء وما يتصل بذلك من
البطائح وكثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا الطريق وافسدوا فى النواحى
المقاربة لبطيحة العراق فشكا أهل تلك البلاد الى الديوان منهم فأمر معدا أن يسير اليهم فى
الجموع فسار اليهم فاستعد بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقير وهو تل كبير بالبطيحة
قرب العراق وكثر القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأخذت
أموالهم وحملت رؤس كثير من القتلى الى بغداد فى ذى الحجة من السنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين وفيها فى العشرين من
رجب انهزم بدر الدين من مظفر الدين صاحب اربل وعاد مظفر الدين الى بلده وقد تقدم ذلك
مستوفى فى سنة خمس عشرة وستمائة وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج
مدينة دمياط وقد ذكر سنة أربع عشرة مشروحا وفيها توفى افتخار الدين عبد المطلب بن
الفضل الهاشمى العباسى الفقيه الحنفى رئيس الحنفية بحلب روى الحديث عن عمر
البسطامى نزيل بلخ وعن أبى سعد السمعانى وغيرهما وفيها توفى أبو البقاء عبد الله بن الحسين
بن عبد الله العكبرى الضرير النحوى وفيها توفى أبو الحسن على بن أبى محمد القاسم بن على بن
الحسن بن عبد الله الدمشقى الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان
وسمع بها الحديث فأكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حرامية فجرح وبقى ببغداد وتوفى
فى جمادى الاولى رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام)

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فأنا أقدم اليه
رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه
ذكر ذلك فياليت أمى لم تلدنى وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا انى حثنى جماعة من
الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول هذا الفعل
يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الايام والليالى عن مثلها عمت الخلائق
وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها
لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من
الحوادث ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت
المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها أضعاف البيت

المعارض * مخضبة
الاطراف معطرة الاردان
والاعطاف * مناسمة على
عباده ابتداء يقتضيه حكم
كرمه * وابتلاء لا تنذرهم
فى جنب نعمه * نقمها
قائدها شؤم الخذلان *
وسائقها لؤم الكنود
والكفران * تخالط أبناءها
مشوهة المطالع * منغصة
المنازع * مرونقة المكاشح
* مقلصة المشافر * مغولة
المدارى والحاسر * تصرفهم
بين أخلاق مذمومة *
وأخطار مناوئة * وأعراض
مكلومة * وأذيال بعاجل
العار * وآجل النار *
مخرومة * وقد تستحيل النعم
بأعيانها نقما منكورة *
كا تستحيل المحن على أربابها
منحا مشكورة * تطبعا على
خلق المكارم وترعرعا على
عادة المقصود بالاحسان

المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني
اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا ياجوج
وماجوج وأما الدجال فانه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل
قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت
في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد
تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما
فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا
وتخريبا وقتلا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى
حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج
الا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا
الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان
واللكز ومن في ذلك الصقع من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد
قفجاق وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤوس
الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار
مسيرهم لا غير ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة وأعمالها وما يجاورها من
بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء وأشد هذا ما لم يطرق الاسماع مثله
فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في
نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا انما رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر
المعمور من الارض وأحسنه وأكثره عمارة وأهلا وأعدل أهل الارض اخلاقا وسيرة في
نحو سنة ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم
اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك
من الدواب يأكلون لحومها لا غير وأما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها
وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شيء من خارج
وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا فانهم يأكلون جميع الدواب
حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال
فاذا جاء الولد لا يعرف اباه ولقد بلي الاسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد
من الامم منها هؤلاء التتر قبحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من
سمع بها وستراها مشروحة متصلة ان شاء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من الغرب
الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على
أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة ومنها أن
الذين سلموا من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق وقد ذكرناه أيضا فانا
لله وانا اليه راجعون ونسأل الله أن ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين

كالطلع يعار من واقع
الشدود والمطاره • والحر
مدر بدواخ المسوس
للامر • والمريسط • على
عرصة الروض • وقوله
طهار ولسانه • وسطا لي
فرو الكلبة دمطامه
وقداره • والماء القراح
يسقى عروق الشجر •
ومعنى عليها باختلاف
الثمرة فضله كل منها على
ما يحسنه من حران
وحلاوة • ومرارة
وحرافة • وكثافة ولطافة
• تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل
• قدرهن الدي • الاول •
والانثى الموجود في الازل
• انه خلق الله ستا وستين •
وأحيهم قدرا وقيمة • من
يسمعه سمع الله وانه من
ما الطلاقة • فراته من
منها الثانية • فسادس

والذاب عن الاسلام معدوم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فان هؤلاء انما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه أن خوارزمشاه محمدا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضي الله أمرا كان مفعولا وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم الى البلاد

(ذكر خروج التتر الى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه)

في هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة أشهر وكان السبب في ظهورهم ان ملكهم ويسمى بجنكزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزمشاه وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ارسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزمشاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيأ كثيرا فلما وصل الى خوارزمشاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ما وراء النهر من الخطا قد سد الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وان طائفة من التتر أيضا كانوا تدخرجوا قديما والبلاد للخطا فلما ملك خوارزمشاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هؤلاء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها وصاروا يحاربون عساكر خوارزمشاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل في سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر

فكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فلما قتل نائب خوارزمشاه أصحاب جنكزخان أرسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من الترك وما يريد أن يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا اليه فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء وانهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم فندم خوارزمشاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم وحصل عنده فكر زائد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث أمر عظيم لابد من الفكر فيه فأخذ رأيك في الذي نفعله وذلك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة ونكاتب الاطراف ونجمع العساكر ويكون النفير عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم نذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فنكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب فجمع خوارزمشاه أمراءه ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم

غال السماحه * ميسان في حال المباحه * حتى اذا حط رحاله * وخالط بالبشر الخصيب أهله * قراه من بؤس الخصال * وعبوس الملال * وضرة الاستبدال ومضرة الابتذال * ما يطير واقعه * ويهيج وادعه * وينشر دوده * ويعقر عليه ولوده * فرحل في سواد الحداد شاكيا سوء الجوار * وشقرة الذمار * وذلة المقدار * وغلظة الاحياء والاصهار * ثانيا على ثنية الوداع صليفه متمثلا بقول القائل

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الاسلام

وتخ الثوب والعامة والبرذون * والوجه والقفا والغلام

فلم يروا بعده على رأيه بل قالوا نتركهم يعبرون سيحون الشاش ويسلكون هذه الجبال والمضايق
فإنهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنظفر بهم ونهلكهم فلا ينجو منهم أحد
فبينا الأمر كذلك إذ ورد رسول من هذا الملك جنكزخان معه جماعة يتهدد خوارزم شاه
ويقول تقتلون أصحابي وتأخذون أموالهم استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل
لكم به وكان جنكزخان قد سار إلى تركستان فملك كاشغر وبلاساغون وجميع البلاد وأزال
عنها التتر الأول فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم أثر بل بادوا كما أصاب الخطا وأرسل الرسالة
المذكورة إلى خوارزم شاه فلما سمعها خوارزم شاه أمر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى
الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم إلى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له
إن خوارزم شاه يقول لك أنا سائر إليك ولو أنك في آخر الدنيا حتى أنتقم وأفعل بك كما فعلت
بأصحابك وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم فأدمن السير
فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر ووصل إلى بيوتهم فلم ير فيها إلا النساء والصبيان والأطفال
فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم أنهم ساروا
إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلو خان فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقيهم في
الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلفيهم فجدوا السير فأدركوه قبل أن يخرج عن بيوتهم
وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله وبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها فقتل من الطائفتين
ما لا يعد ولم ينهزم أحد منهم أما المسلمون فإنهم صبروا حمية للدين وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق
للمسلمين باقية وأنهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم وأما الكفار فصبروا لاستنقاذ أهليهم
وأموالهم واشتد بهم الأمر حتى إن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا ويتضاربون
بالسكاكين وجرى الدم على الأرض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفد الطائفتان
وسعهم في الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر أبوه الوقعة ولم يشعر
بها فأحصي من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين ألفا وأما من الكفار فلا يحصى
من قتل منهم فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد
الكفار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون أيضا كل منهم سئم القتال فأما
الكفار فعادوا إلى ملكهم جنكزخان وأما المسلمون فرجعوا إلى بخارى فاستعد للحصار لعلمه
بعجزه لأن طائفة من عسكره لم يقدر خوارزم شاه على أن يظفر بهم فكيف إذا جاؤوا جميعهم مع
ملكهم فأمر أهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل في بخارى
عشرين ألف فارس من العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين ألفا وقال لهم احفظوا البلد حتى
أعود إلى خوارزم وخراسان وأجمع العساكر وأستنجد بالمسلمين وأعود إليكم فلما فرغ من ذلك
رحل عائدا إلى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك وأما الكفار فإنهم
رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعد خمسة أشهر من وصول
خوارزم شاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة أيام قتالا شديدا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمي
بهم قوة ففارقوا البلد عائدين إلى خراسان فلما أصبح أهل البلد وليس عندهم من العسكر أحد
ضعفت نفوسهم فأرسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضي خان ليطلب الأمان للناس فأعطوهم

ولولا أن المعاب • بيع
قطاب • وأن التأمر على
الأمراض شؤم • ولي حكم
الاعتبار ونص الكتاب •
وأن غارات الشعرا عمر
معاني الكتاب • لا أدعت
عسى الله على نفسه من
أسلافها بعار ورء الابتذال •
ووراءها من مطالب الاعتصام
من كرام الرجال • فمن أن
المقصود بها الكرامة وقد
ماثلها بالاعتصام • وكان
صفقه في جوارها نصير
الانصاف • أولى بأن يعد
فاحل الذهب • ويسمى
آحل اللهب • فكم من
واردها أمر قد غمره • وقادح
رد أمر قد سعره • وشاحذ
حد قطع به وريده • وراكب
جواد قصم عليه جيده •
ولقد عتقت مواقع النسم
من أربابها على بينها من

الامان

الامان وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما
اجابهم جنكزخان الى الامان فتحت أبواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست
عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم يتعرضوا الى أحد بل قالوا لهم كل ماهو للسلطان
عندكم من ذخيرة وغيره أخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة وأظهروا عندهم العدل
وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد بان لايتخلف أحد ومن
تخلف قتل فحضروا جميعهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان
الكفار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون
وبحق سمى الله نفسه صبورا حليما والا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثم تابعوا
الزحف الى القلعة وبها نحو أربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة
اثني عشر يوما يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم
ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل
مايجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين ورد أصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا
في القتال وقد تعب من بالقلعة ونصبوا وجاءهم مالاقبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة
وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة أمر ان يكتب له رؤس
البلد ورؤساؤهم ففعلوا ذلك فلما عرضوا عليه أمر باحضارهم فحضروا فقال أريد منكم النقرة
التي باعكم خوارزمشاه فانها لي ومن أصحابي أخذت وهي عندكم فأحضر كل من كان عنده شئ
منها بين يديه ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع أحد
منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين فأمر
أصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان
وتفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا وأصبحت بخارا خاوية على عروشها
كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولايستطيعون
أن يدفعوا عن انفسهم شيأ مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل
حتى قتل وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولايرى مانزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام
زاده وولده فانهما لما رأيا مايفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان
ومن استسلم أخذ أسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع
العذاب في طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهو بمكانه
بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارا اسارى فساروا بهم مشاة على أقبح
صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة
والاسارى والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيأ فشيأ ليكون أرعب لقلوب المسلمين فلما رأى اهل
البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل
عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة وأحاطوا بالبلد وفيه خمسون
ألف مقاتل من الخوارزمية وأما عامة البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان أهله وأهل
الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء

مارست لبسه * ونال امن
مالت به واختباره وقبح
آثاره عليه * فالاحداث
فيها أحسن حالا * وازين
خصالا * من الكهول
الطاعنين في الاسنان *
والشيوخ الحالبين أشطار
الزمان * فليس من قرح
وحنك * وسبر وسبك *
وأخذ على وجه الاستبصار
وترك كالغر لم تلفحه هواجر
الامور * والغمر لم تردعه
زواجر الدهور * والغفل لم
تدربه الحادثات بأحوالها
والمهر * لم ترضه الرجال
بأكفالها * وقديما عذر
الناس في طول الجهالة
بالشباب الذي هو طليعة
الملماة * وشرية الشهوات
واللذات * وان سائس العقل
لم يضرب عليه عقاله * وصيقل
التجريب لم يحكم على متنه

الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعونهم ويطمعون
فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم وحالوا بينهم وبين البلد
ورجع الباقون الذين أنشبوا القتال أولا فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب فلم
يسلم منهم أحد قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين ألفا على ما قيل فلما رأى
الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وأيقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا أتراكا
نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الأمان فأجابوهم إلى ذلك ففتحوا أبواب البلد ولم يقدر
العامة على منعهم وخرجوا إلى الكفار بأهلهم وأموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا إلينا
سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم إلى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما أخذوا أسلحتهم
ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم ودوابهم ونساءهم فلما
كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال
والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارا من النهب والقتل والسبي
والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا
الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم
سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيره إلى سمرقند
فيرجعون ولا يقدمون على الوصول إليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس
فعادوا وسير عشرين ألفا فعادوا أيضا

﴿ذكر مسير التتر إلى خوارزم شاه وانهزامه وموته﴾

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا
خوارزم شاه أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر
المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لأنهم هم الذين أوغلوا
في البلاد فلما أمرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى پنج آب ومعناه خمس مياه
فوصلوا إليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوها
جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء وأمسكوا
أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة إليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل
يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه
إلا وقد صاروا معه على أرض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا وقد اختلفوا
فيما بينهم إلا أنهم كانوا يتماسكون بسبب أن النهر يحجز بينهم فلما عبروه إليهم لم يقدروا على الثبات
ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه
لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم
يستقر حتى وصل أولئك التتر إليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون
السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم فلما سمع بقربهم منه رحل إلى مازندران وهي له أيضا
فرحل التتر المغربون في أثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل عن منزلة
نزلوها فوصل إلى مرسى من بحر طبرستان يعرف بآبسكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل

فعاله • وإن الرزية موته
لا يمنعها الأكرام الحديد
بدر يدور • ونفس تطلع ثم
تغور • وزمان يأتي
بعد النور والنور • وإن
الناس بعضهم من الموت •
وإن لم التكليف صروع
من الموت • والحدث الغر
كأنما خرجها ساحر •
وضعها دون سماتها
أعذار • فما للناس خلع
لباس الحداد • ووضع فيه
سلبات الغرام • يا أحلى
جار المسك صافيا • وأي
ثلاث عام الوانا •
سوداء وأحمر ويعقوب معرى
وأحلوا لونا بعد ذلك هيمانا

هو وأصحابه في السفن وصلت التتر فلما رأوا خوارزمشاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما يئسوا من لحاق خوارزمشاه رجعوا فهم الذين قصدوا الري وما بعدها على ما نذكره ان شاء الله فهكذا ذكر لي بعض الفقهاء ممن كان بخارا وأسروه معهم الى سمرقند ثم نجا منهم وقد ذكر غيره من التجار أن خوارزمشاه سار من مازندران حتى وصل الى الري ثم منها الى همذان والتتر في اثره ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب في البحر الى هذه القلعة وكان هذا هو الصحيح فان الفقيه كان حينئذ مأسورا وهؤلاء التجار أخبروا أنهم كانوا بهمذان ووصل خوارزمشاه ثم وصل بعده من أخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك أيضا هؤلاء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم بيعض نهار فهم يخبرون عن مشاهدة ولما وصل خوارزمشاه الى هذه القلعة المذكورة توفي فيها

(ذكر صفة خوارزمشاه وشيء من سيرته)

هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش وكان مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا واتسع ملكه وعظم محله وأطاعه العالم بأسره ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم (حكى) لي بعض خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد عاد من خراسان قال وصلت الى خوارزم فنزلت ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان علاء الدين فحين حضرت اقيني انسان فقال ما حاجتك فقلت له أنا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني بالجلوس وانصرف عني ثم عاد الي وأخذني وادخلني الى دار السلطان فتسلمني منه حاجب من حجاب السلطان وقال لي قد أعلمت السلطان خبرك فأمر باحضارك عنده فدخلت اليه وهو جالس في صدر ايوان كبير فحين توسطت صحن الدار قام قائما ومشى الي بين يدي فاسرعت السير فلقيته في وسط الايوان فاردت أن اقبل يده فمنعني واعتنقني وجلس واجلسني الى جانبه وقال لي أنت تخدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نعم فأخذ يدي وأمرها على وجهه وسألني عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معي فلما خرجت من عنده قال لولا اننا على عزم السفر هذه الساعة لما ودعتك ايما نريد أن نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث رأينا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ودعني وأرسل الي جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق في غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو أردنا ذكر مناقبه لطال

(ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران)

لما يئس التتر المغربة من ادراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها في

وكان له ان يصحو عن قهوة البطالة * وينزل عن صهوة الاستطالة * ويبكي لضحك المشيب براسه * وتصول الانقاس عن قرطاسه * وتمشي الوهي في عظامه * وقعود القوى به عند قيامه * واصطباحه على خمارندمه * وانتضاحه بعثار قدمه * ونداء برهان الله عليه باتساع محجته * وانقطاع حجته * واتلاع النار اعناقها الالتقاطه * واخنطافه هاويا عن سراطه * يستجيز المعصى عن سبيل الله * والصمم دون أمر الله * خبطا في ليل الضلال * وحطبا في حبل الضلال * ورجوعا في حافرة الادبار * وولوعا بفاجرة الآثار * وخلا في شطن العتو والغلو * واباء الاعلى

أسرع وقلّ مع حماتها ومن يعرفه المسلك اليها او تسمع تلاعها القائم برأس جمعه قدم الزمان وحدته حتى ان المسلمين لما ملكوا البلاد الا كاسرة جميعها من العراق الى أقاصي خراسان بقيت أعمال مازندران يؤدون الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملك أيام سليمان بن عبد الملك سنة ثمان وتسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا الامر بيده فتعالى ولما ملكوا مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه وأموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزمشاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت الري لتصل الى اصبهان وهمذان وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها في الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الى الري فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع ونفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند

•(ذكر وصول التتر الى الري وهمذان)•

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الري في طلب خوارزمشاه محمد لانهم بلغهم انه سار نحو الري فجدّوا السير في اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك انضاف اليهم المفسدون من يريد النهب والشر فوصلوا الى الري على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التي لم يسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزمشاه فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا في الجميع اضعاف ما فعلوا في الري واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شيء وجدوا على حالهم الى همذان وكان خوارزمشاه قد وصل اليها وقد تفرق عنه اصحابه فلم يبق معه احد وكان آخر العهد به فلا يدرى ما كان منه الا انه هلك كما نذكره وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فأمنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد في باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين فعدّ القتلى من أهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل

•(ذكر وصول التتر الى اذربيجان)•

لما هجم الشتاء على التتر بهمذان وبلد الجبل رأوا البرد شديدا والثلج متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعي به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى

التمس الامان بالسوء ولا
يركن الى السبب ...
السلب • ولا تورث اماني
القتال • الا على مكارم
الاعمال
فالتمس ما استلاه الطارف وما
صار السلف في حق المعال
نعوذ بالله من غضب الرحمن •
وحدة العمر بطالع
الخذلان • وتعريضه
السبب لما يحمل من
أسبابه • وينكص
أسراره • ويعصى من
... • ويعرض من ...
شأنه • ويعمم أقدار
الكرام • واسرار الانام •
في مصرع الموت أي
المنقوص الموت ...
الاجيال • وسلطة
الاعمال • وحراب المدارس
وسرداب الطالع ومغرب
التصرف • ويطلع

موقان وتطرقوا الى طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل أكثرهم وأرسل الكرج الى أوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر فاصطلحوا ليجتمعوا اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون في الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركي من مماليك أوزبك اسمه أقوش وجمع أهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وراسل التتر في الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا أهلها ونهبوا أموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم أقوش أولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من أصحاب أقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم أيضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم مالا يحصى كثرة وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر مالم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا أشك ان من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرناه نحن وكل من جمع التاريخ في ازماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين أذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلاد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط وأقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن أعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزمشاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان وأخفي موته وتارة يقال دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفي موته لئلا يقصدها التتر في اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفي في جزيرة هناك وبالجملة فقد عدم ثم صح موته ببحر طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم أصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما أراد ويترك ما أراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا

الاكاذيب * وشبه التدليس وزئبق التمويه ومرآة الغريب * ومقراض المغيب * وآفة الجود * وخرافة الموعود * وحرباء الالحاد * وكيمياء العناد * ويربوع النفاق * ويعسوب الشقاق * وضبة العقوق * وفأرة الفسوق * وثعلب الخداع * وخنزير القصاع * وكلب الهنات * واسود التراث * وحرضة الانذال * وفرضة الخبث والخبال * وسكين الارحام * ومبرين الدم الحرام * ولعل بعض من يتصفح هذه الالفاظ منسوقه * والاسجاع مجموعة ومفروقه * يظن بها ركوب البهت في حلبة الاقتدار * وعصيان القصد في طاعة الاهجار * اذ لا يستناض البلاغة *

ويلقون منه الثار وكذلك غير من الائمه

•(ذكر ملك التتر مراغة)•

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانهم نهبوا تلك السنة وهم في بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين أيديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصراع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصالحهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهي مقيمة بقلعة رويندز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون كرها وهم المساكين كما قيل كالاشقر ان تقدم نحر وان تأخر عقر وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فاقاموا عليها عدة ايام ثم ملكوا المدينة عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف في أهلها فقتل منهم ما يخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ما يصلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل (وبلغني) ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل أخذته أسيرا (وسمعت) من بعض اهلها ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى افناهم ولم يمد أحد يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا عنها نحو مدينة اربل ووصل الخبر بذلك الى الموصل فخاف الناس حتى ان بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جماعة صالحة من عسكره واراد ان يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يعبرها أحد فانها جبال وعرة ومضايق لا يقدر أن يعبرها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليه جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وأرسل الخليفة أيضا الى الملك الاشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى أخيه الاشرف وهو بحران يستنجده على الفرنج الذين بمصر ويطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوة الفرنج وان لم يتدارك خرجت البلاد عن أيديهم وشرع بتجهيز المسير الى الشام ليدخل مصر وكان ما نذكره من استنقاذ

واما الامراض المتناهيه • بالمصاحبه • ووجدوا على عوار السرا في استعمال الحيل • واعمال التصبط • والاستمرار • انكارا لا نهايه هذه المساوي • السو في بعض مدبري على تعارف الزمان وحربه • وأكل طعمي احواله • وسربه • ولم يعلم ان الله تعالى اذا احدث حصا عن نامي عباده لم يبق منه الاحاميه او واقيه • وحادا على اختلاط الفساد مطويا • وعلى سالف امره السالك من واضحه السبيل • بالافصاح عما ألمهم • والاصلاح على ما ألم • تصدر العفو الاثام • وسر الساكبه الاستعمال • ومبنيا على عرفه الاعتزاز • تطاولها التمه • والاخداع

دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو أكبر
أمير بالعراق ومعه غيره من الامراء فى نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هنالك ليتصل بهم باقى
عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر
(وحكى مظفر الدين) قال لما ارسل الى الخليفة فى معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوى وليس لى
من العسكر ما القاه به فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فأمرنى
بالمسير وواعدنى بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندى غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشى
فلقت وما رأيت المخاطرة بنفسى وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى
ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا أحدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامى عند دقوقا
فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

(ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها)

لما تفرق العسكر الاسلامى عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها
فارسلوا اليه يأمرونه ليطلب من أهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفدوا أموالهم فى طول المدة
وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى فى
أمور أهل البلد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم
يجد أهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام فى اجتماع
الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد افنوا أموالنا ولم يبق لنا
ما نعطيهم وقد هلكنا من أخذهم أموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا
بهمذان شحنة لهم يحكم فى أهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة
فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له أنت أشد علينا من الكفار واغلظوا له فى القول وقال
أنا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فأشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه
ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا فى البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم
وكانت الاقوات متعذرة فى تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل أهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر
احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم ولا تأكل
دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا
همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه فى أوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة
جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد من القتال الاول وقتل أيضا من التتر أكثر
من اليوم الاول وجرح الفقيه أيضا عدة جراحات وهو صابر وأرادوا أيضا الخروج فى اليوم
الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب فى سرب
صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا
حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فاقاموا فى البلد
ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا خرج
اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم فى رجب من سنة ثمان
عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب فبطل السلاح للزحمة

الزواهر الاحاطى والقسم* فكم من صنيع يروق العيون نوره * ويروع النفوس مشهوره * قد قطف عنا قيد رؤس وأراق أباريق عروق * وفر المنايا عن عسل من الانياب روق * ومن شهاب كالخط بالابريز كاتب* أوحل عن معقود اللواء راكب* يستوقف الابصار ضياء ممدودا * وبهاء بأفق السماء معقودا* قد رمد من طار بطواره* وهمد من رام التحيز فى جواره* وكذلك الدفلى يغر الناظر مجرده* ويفتر عن عقيق الورد زبرجده* ثم هو الداء المجلوب لمن خبر *والسم المشوب لمن فكر واعتبر *ولولا ان قصد الشريعة أن تسمح بخيرها على العموم * وتكافئ بين الكافة فى فضلها المعلوم* اباحة للكتابة التى هى قيد العلوم * وصيد الحكم المبثوثة فى الرقوم* لقلت لله درساسة

فاقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصيه الا الله تعالى وقوي التتر على المسلمين
فافنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل له نفقا يختفي فيه وبقي القتل في المسلمين عدة أيام ثم
ألقوا النار في البلد فأحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردبيل وقيل كان السبب في ملكها
ان أهل البلد اشتكوا الى الرئيس الشريف ما فعل بهم الكفار أيامهم فكاتبه الخليفة
ليعد اليهم عسكرا مع أمير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة يشكو اليه ما هم
عليه من الخوف والقلق وما ركبهم به العدو من الصغار والخزي وطلب نجدة ولو ألف فارس
مع أمير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم الحال الى
التتر يعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فأخذوهم وأخذوا الكتب منهم وأرسلوا الى الرئيس
يذكرون علمهم بالحال فحقق ارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في أيديهم وقدم اليهم التتر
حصروهم وقاتلوهم وجرى في القتال ما ذكرنا

● (ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردبيل وغيرها) ●

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان ووصلوا الى اردبيل فملكوها وقتلوا من بها الا من اختفى
وخربوا أكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائي وجمع كلمة
أهلها وقد تركها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان أمره مضطربا الا انه مكان الشرب ليلا
ونهارا يفيق من السكر والشرب لا يفيق واذا سمع هيعة طار عقلا لها وله جمع اذربيجان واران
وهو أعجز خلق الله عن الدفاع عن بلده فلما سمع بمسير التتر نحوه فارق
تبريز وقصد نخجوان وسير أهله الى خوي ليبعدهم عن التتر فقام هذا الطغرائي بأمر البلد
وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصن
البلد بجهده وطاقته فلما قاربه التتر ورأوا اهل البلد عليه من اجماع الكلمة على
قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخندقها ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا
فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم أخذوه ورحلوا الى مدينة سراو
فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من
البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى
أهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا من أكابرهم ومقدميهم فقتله
أهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة
ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى
ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه
الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم اليه يدا فلما فرغوا
منها أسروا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي أم بلاد اران
فعلموا كثرة أهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانة سورها فلم يقدموا عليها فأرسلوا
الى أهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

● (ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج) ●

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد

الهم • وربعة أقدار
الدوا والعلم • حيث
صفوها دون ذوي
الاحسان • وحقدوها
الامي الكرام الغان •
قصد أوسروا من رحل
ما كان أمره بالدون والسهل
مباهم أن يعسوا الله قبلا
وأن تبدل سر الاسرار بالعمل
فما كل طرة لها كتامل
ما يكه الآداب • وملاءه
في مساحرة الكتاب • ولا كل
مسك نطح المسك وما •
ولا كل درو ريطح العين
حلا • وأصبح في عقد
في خرجرير • وحد نكف
صرير • وخطر عسف
قتره وبعس على سان ماجر
مرير • قال المذكور
مصدي الاسرار عراسان
دناه همه • ورقاه فهمه •
وحسامه مفصول •
وحصامه معقول • فنا
في بيت الفضل والنعمة •
وعاش على فرش الانس
والنعمة • ارق عليه نسيم
النسب • وعلى نسيم
الادب • فأصبح محلا لضرب

الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد اعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كثيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد ولقد بلغنى انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا اخرى وسيرهم الى التتر ايضا ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا واسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فالقى نفسه من الدابة وضرب راسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

(ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه)

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وقاتلوا أهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم ومن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها فصبروا واشتد القتال ثلاثة أيام فاشرفوا على ان يؤخذوا فقالوا السيف لا بد منه فالصبر أولى بنا نموت كراما فصبروا وتلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا يسعى بينهم فى الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان أصحابه فأخذوا أحدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو أسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوه وراء ظهورهم

(ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق)

لما عبر التتر دربند شروان ساروا فى تلك الاعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم أمم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نعترض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر

الصواب فى افعاله * جديرا بحكم الانتجاب فى أمثاله * يظن به وبعض الظن إثم ان الفرع الى الاصل نازع * والغيث الغيم مضارع * ولا علم يقضى بأن النار تخفو على رماد ماثل * والخمر تطفو على عكر سافل * حتى اذا أيفع وأينع حلته ندالة الطباع * وخانة النسخ تحت يد الطباع * على عقوق أبيه * سعاية به الى السلطان فيما يحويه * وابتداعاته بأملاكه واملاك ذويه * فامتلأت عليه قبل الاستحقاق ماله * وتصمم محاله وأحال حاله * وفجع به أمه وكانت عياله * واهجره دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف أساسه * واشتعال المشيب براسه * ورسوب قذى العمر آخر كاسه * فطفق يرى الشؤن دموعا * ويقتضى أجل الكتاب مخمصة وجوعا * ويزجى مطايا الامصار بين برد الياس * وحر الانفاس * بدعوات لم يجع مجانبة بها

بالان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر
بينهم من الصلح فلم يشعروا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الاول فالاول
واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير
قتال وابعدوا فبعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس وأقام
التتر ببلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف وفيها أماكن باردة في الصيف
كثيرة المرعى وأماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى
مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر الخزر والمراكب تصل اليها
وفيها الثياب فتشترى منهم ويبيع عليهم الجواري والمماليك والبرطاسي والقندر والسنجاب
وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر الخزر هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر
الى سوداق ملكوها وتفرق أهلها فبعضهم صعد الجبال بأهله وماله وبعضهم ركب البحر
وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من أولاد قلج أرسلان

•(ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس)•

لما استولى التتر على أرض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرناه سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد
الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاور بلادهم وأهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم
اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم وأقام التتر بأرض قفجاق مدة ثم
انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا
مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها
فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على أعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم
عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ولم يزل التتر راجعين وأولئك يقفون أثرهم
اثنى عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم
لانهم كانوا قد أمنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد تقدم التتر بجمعهم
فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة أيام ثم ان التتر ظفروا
واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ما أثخن فيهم التتر وكثر القتل في
المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على أقبح صورة
لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم التتر يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرها
فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يعبرون البحر الى
بلاد الاسلام في عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر مركب من مراكبهم
وغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذي ينكسر فأخذ من
ذلك شيئا كثيرا وسلمت باقي المراكب وأخبروا بهذه الحال

•(ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم)•

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار أواخر سنة عشرين
وستمائة فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم
واستجروهم الى أن جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم فبقوا في الوسط

الا ما يميه الظهوره
وبالقية الذي لا مانعة
السعود • وعطف بعد على
من طلب عليه ممن
والاه ووثب عليه اعيان
دولته • فمحاهم محو
السلم • وقرعهم بقرص
الظلم • وحركهم حرك الادم •
ونشرهم نشر القلم • فعادوا
امرى من الصبر معصورا •
والسمت مسهورا •
والعصر محوطا •
والنساح على السعود
مربوطا • كل ذلك بين يديه •
ونصب عينيه • حتى أصبحت
الارض خالية بالزوار •
كلما المسرات • عربها
في العراق • سرقاها
المياه • وعقد على مال سلطنته
بكف رسمان عقد اسرى
به أهلها وأحد بطنهم ما
يريهم من سداد السرقة
وبناء حق الطيوره • ودرعه
الى استكمالهم واستئصالهم •
دون حرامهم وأموالهم •
وساع صدمن سبوح
تناهم • فبعض مارمهم
اصاله لهم على توماه
معرورين

وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل قيل كانوا نحو أربعة آلاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت أرض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاسي والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل من تلك البلاد فلما فارقوها عادوا الى بلادهم واتصلت الطريق وحملت الامتعة كما كانت هذا أخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

(ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه وأما جنكزخان فانه بعد أن سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه وبعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم أصحابه عدة أقسام فسير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر منها الى ترمذ وسير قسما منها الى كلانة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من أحصن القلاع وأمنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التى أمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وأنواع الفساد مثل ما فعل أصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا عظيما مع أحد أولاده وسيره الى خوارزم وسير جيشا آخر فعبروا جيحون الى خراسان

(ذكر ملك التتر خراسان)

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الامان فأمنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى أهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهى ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لا ترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشئ فأرسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليها وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه وأقام عليها اربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازى القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب وأما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع اهل البلاد التى أعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض أولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتى ألف رجل وهم معسكرون بظاهره وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة

وضعفاء مضرورين وسامهم بعد الاحتكام عليهم فى التراضى بزعامته *والتواصى بطاعته* عقد الوثائق عليهم بتصحيح مال من ضمانه ينكسر وجبران حق من عقده ينجبر* حتى اذا استتب له ما أراد *واستوفى عليهم الحق وزاد* وضع عليهم يد الاستقصاء بعلة حاصل وباق وحائر وناو وأخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق * حتى اذا أرب كل من ذى يديه * وباد غير أطلال الضياع والرباع عليه * رام استنزالهم عنها كراهية أو طواعية* فمن اهتبل منهم فرصة الخلاص على التطلم عما دهاه *فأوهاه وعراه فعراه* سبقه بمحضر العصبة القائمة بالافك فى خفارة التوفير * وكتارة التزوير * فارتد على عقبيه

لهم واقتتلوا عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون وأما التتر فلا يعرفون
الهزيمة حتى ان بعضهم أسر فقال وهو في يد المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل
انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم
وأسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت أموالهم وسلاحهم ودوابهم وأرسل التتر الى
ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصارها فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا الى مرو
وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال وكان أهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر
وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتر الى الامير الذي بها
متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك وأهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك أمير هذه
البلدة ونرحل عنك فأرسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فأمنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن
جنكزخان واحترمه وقال له أريد أن تعرض على أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا
استخدمناه وأعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما حضروا عنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى
أميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال لهم اكتبوا الي تجار البلد ورؤساءه وأرباب الاموال
في جريدة واكتبوا الي أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا
ما أمرهم فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهليهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه
أحد فجلس على كرسي من ذهب وأمر أن يحضر أولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا
وضربت رقابهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون وأما العامة فانهم قسموا الرجال
والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا لكثرة الصراخ والبكاء والعويل وأخذوا
أرباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الاموال فربما مات أحدهم
من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه ثم انهم أحرقوا البلد وأحرقوا تربة السلطان
سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فعملوا كذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل
البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وأمر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة
ألف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم ثم ساروا الى نيسابور
فحصروها خمسة أيام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة
وأخرجوا أهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو
وأقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا أهل مرو قيل
لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد الاسلام فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم
لئلا يسلم من القتل أحد فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك
أيضا وخربوها وخربوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضى والرشيد حتى جعلوا الجميع خرابا
ثم ساروا الى هراة وهي من أحصن البلاد فحصروها عشرة أيام فملكوها وأمنوا أهلها
وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين
ابن خوارزم شاه فقاتلهم وهزمهم على ما نذكره ان شاء الله فوثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه
فلما عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا
الحريم ونهبوا السواد وخربوا البلد جميعها وأحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو

حزنا • فكم ساله السيل
وأسوان • طال عليه الويل
وباح عليه النهار والليل
فاما أن يزول على كرب وقلق
واما أن يزول على غيظ
وحنق • حتى استخلص
الصامتة والناطقة
واستصفى البادية والكامنة
وغادر الصباح ...
ويرد عنها الزماع ...
وأحرس ... والرجا
وأطلق الهوام والاصدا
وطم المنابع والمشارع
ومحى المراعي والمرابع • فلو
... الهوا • ...
الندا • لا ...
... المرائس • ...
اللاحي والمناحس • قد
... للاطماع ولا ...
الكهوف • ومهالك
الولاج المخوف
كالموت لا ...
... في الصرفه
ومآبه التعريب لولا ...

بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة

(ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها)

وأما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت أكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير وأهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة أشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين كان يحميهم السور فارسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليها فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ثم انهم فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء ولم يسلم من أهله أحد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فأصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام وأهله فكم من قتيل من أهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرا مضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

(ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور)

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من سلم من عسكر أبيه قيل كانوا ستين ألفا فلما وصلوا الى أعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزمشاه الى موضع يقال له بلق فالتقوا هنالك واقتتلوا قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة أيام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فملكوا البلد وخربوه كما ذكرناه فلما انهزم التتر أرسل جلال الدين رسولا الى جنكزخان يقول له في أي موضع تريد يكون الحرب حتى نأتي اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا أكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامي اليهم وتصافوا هنالك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفار ثانيا فقتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب

المالك بجوعه * واستحلال حرام الملك بربوعه * كأنما عقد على الدهر حلفا لا يخونه * واتخذ عنده عهدا يصونه * ويحاماه من دونه منونه * وهيهات انها مظالم حديدات الشفائر ومغارم ثقيلات العرائر ومصايد طالما اختنقت نفاخها وضربت عليها الشاه مات رخاخها * ومطاعم ظاهرها الارى وباطنها السم وان من الربيع ما يقتل حبطا أو يلم * نعم وأقام سوق الفسوق خاصة وعامه وأباح حمى الفجور بطانة وحامه * ملتزما سمة الشطاره ومستمطرا بقية الجباره ومضاهيا تيوس المجوس في خبث الالحاد * وصلة الاخوات والاولاد * بلاغا عمه ثقات خدمه * وأدته على وجه الاكار جيران حرمه * وربما أرادوا له

ذلك أن أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاتراك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأي
في الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا أنتم فقد
ملئتم منهم رعبا وهو الذي كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين أيضا أمير كبير يقال له ملك
خان بينه وبين جلال الدين نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا
فقتل منهم أخ لبغراق فقال بغراق أنا أهزم الكفار ويقتل أخي لأجل هذا السحت فغضب
وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون ألفا كلهم يريدونه فاستعطفه جلال
الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع
وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبيناهم كذلك إذ ورد الخبر أن جنكزخان قد
وصل في جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لأجل من فارقهم من العسكر
ولم يقدر على المقام سار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن
ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص أثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه
جنكزخان في التتر فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا في ذلك
كالاشقر إن تأخر نحر وإن تقدم عقر فتصافوا واقتتلوا أشد قتال اعترفوا كلهم أن كل
ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة أيام فقتل الامير ملك
خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل في الكفار أكثر والجراح أعظم فرجع الكفار عنهم
فأبعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون أنهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح
ولم يعلموا ما أصاب الكفار من ذلك أرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضي الله
أمرا كان مفعولا فلما كان الغد عاد الكفار الى غزنة وقد قوي طمعهم بعبور المسلمين الماء
الى جهة الهند وبعدهم فلما وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر والحامي فقتلوا
أهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق أحد وخربوها وأحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك
ونهبوا وقتلوا وأحرقوا فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها
كأن لم تغن بالامس

● (ذكر تسليم الاشرف خلاط الى أخيه شهاب الدين غازي) ●

أوائل هذه السنة أقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال
ارمينية ومدينة ميافارقين من ديار بكر ومدينة حاني أخاه شهاب الدين غازي بن العادل
وأخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيره الى خلاط أول سنة عشرين
وستمائة وسبب ذلك أن الكرج لما قصدت التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرا من أهلها
أرسلوا الى أوزبك صاحب اذربيجان وأران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر
وأرسلوا الى الملك الاشرف في هذا المعنى وقالوا الجميع إن لم توافقونا على قتال هؤلاء القوم
ودفعهم عن بلادنا ونعبر ونأتيكم ونصافكم لهذا المهم والا فما هم عليكم فوصلت
رسلهم الى الاشرف وهو يسير الى الديار المصرية لأجل الفرنج وكانوا عندهم أهم الوجوه
لأسباب أولها أن الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد أشرفت الديار المصرية على أن تملك
فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيرها ملك لأحد وثانيها أن الفرنج أشد شكيمة وطالبو ملك

في السر ملاما وراموا من
هذا ارتحلوا ذلك وصبروه
بما أفاده مرتاها لمن يديهم
على طاهر بين حاضرين
كفى الحر آداما لها أسباب
ولا سهام ولا أهداب حيا
تماما بركوب الآثام
وتكلفا لخطور الحرام
وإنما أسب لفظ التكلف
قطعا على ما سمعته من بعض
مشايخ الادب حكى عمن
سأل الامام الصغاني عن
قول رسول الله عليه السلام
أبغض الناس الى الله شيخ
زان وعائل مستكبر وفقير
فخور وزعم ان الناس
تقتضي كون الشاب البليد
الجاهل القوي المنه أبغض
الى من الشيخ المعروف
والمعسر المترف ● فقال
هو بناء على قوله عليه
السلام أبغض الاشياء الى
الله التكلف فأبغض الشيخ
لان فعله تكلف ● وكذلك

فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الا بعد أن يعجزوا عن حفظها يوما واحدا وثالثها ان الفرنج قد طمعوا في كرسي مملكة البيت العادلي وهي مصر والتتر لم يصلوا اليها ولم يجاوزوا واشباه من بلادهم وليسوا أيضا ممن يريد المنازعة في الملك وما غرضهم الا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى آخر فلما أتاه رسل الكرج بما ذكرناه أجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم انني قد أقطعت ولاية خلاط لاخي وسيرته اليها ليكون بالقرب منكم وتركت عنده العساكر فان احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك بدر الدين قلعة تل اعفر وفيها في جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار وفيها أيضا وصل الموصل وأقام بظاهرها ثم سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم في الصلح فاصطلحوا في شعبان وقد تقدم هذا جميعه مفصلا سنة خمس عشرة وستمائة وفيها وصل التتر الى الري فملكوها وقتلوا كل من فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على أهلها وساروا الى اذربيجان فخربوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يسمع بمثله وقد تقدم أيضا مفصلا وفيها توفي نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الذي كان وزير الخليفة وصلى عليه بجامع القصر وحضره أرباب الدولة ودفن بالمشهد وفيها توفي صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجويني شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل ورد اليها رسولا وكان فقيها فاضلا وصوفيا صالحا من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل وفيها عاد جمع بني معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاحساء والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة أعدائهم فقصدوا شحنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بارجاعهم فكتب معهم بذلك وسيرهم مع أصحابه الى بغداد فلما قاربوا واسطا لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقتلوا

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة قتادة أمير مكة وملك ابنه الحسن وقتل أمير الحاج)

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي قتادة بن ادريس العلوي ثم الحسني أمير مكة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وله قلعة ينبع بنواحي المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكان في أول ملكه لما ملك مكة حرسها الله حسن السيرة أزال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد وأحسن الى الحجاج وأكرمهم وبقي كذلك مدة ثم انه بعد ذلك أساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل أفعالا شنيعة ونهب الحاج في بعض السنين كما ذكرناه ولما مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن آخر اسمه راجح مقيم في العرب بظاهر مكة يفسد وينازع أخاه في ملكه فلما سار حاج العراق كان الامير عليهم مملوكا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش وكان حسن السيرة مع الحاج في الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالا ليساعده على ملك مكة فأجابه الى ذلك ووصلوا الى مكة ونزلوا بالزاهر وتقدم الى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان حسن قد جمع جموعا كثيرة من العرب

استكراه للطبع وهو يخالف كذلك هذا الطرف المتكلف والشره المتورد قد قضى شبيبته على اقتراف المحارم واختراف المآثم * حتى اذا وضح القتير * ورزح المسير وانحل المرير * وأفرغ ماءه الصبير * أبت عليه عادة السوء أن ترخيه من عقالها وتعريه عن سربالها * وتصحيه عن وبالها * وتريه الاعلى شعب الاران يوم فصالها

لا تنهد دنيا الحي عادة
تحوي بها ضربا من الشين
فعادة السوء اذا استحكمت
شر على المرء من الدين

هذا ولم يرض بالعقوق الذي وسمه * ووشمه وسخم وجهه * ورداه بالخزي وعممه حتى قطع على رؤس الاشهاد رحمه * وقتل في الشائع المستفيض والده وكان لحمه

وعمرها فخرج اليه من مكة من قاتله وتقدم امير الحاج من منى بعسكره منفردا وصعد الجبل
ادلالا بنفسه وانه لا يقدم احد عليه فاحاط به أصحاب حسن وقاتلوه وقتلوه ورفعوا رأسه فانهزم عسكر
أمير المؤمنين وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فارسل اليهم حسن عمامته أمانا للحاج
فعاد أصحابه ولم ينهبوا منهم شيأ وسكن الناس وأذن لهم حسن في دخول مكة وفعل ما يريدونه
من الحج والبيع وغير ذلك وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين وعظم
الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلبون العفو فأجيب الى ذلك وقيل
في موت قتادة ان ابنه حسنا خنقه فمات وسبب ذلك ان قتادة جمع جموعا كثيرة وسار عن مكة يريد
المدينة فنزل بوادي الفرع وهو مريض وسير أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما
ابعدوا بلغ الحسن ان عمه قال لبعض الجند أخي مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم ان
يحلفوا له ليكون هو الامير بعد أخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير من الاجناد
والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمه قد فعلت كذا وكذا فقال لم أفعل فأمر حسن
الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا أنت أمير وهذا أمير ولا نمد أيدينا الى أحدكما فقال له غلامان
لقتادة نحن عبيدك فمرنا بما شئت فأمرهما ان يجعلا عمامة عمه في عنقه ففعلا ثم قتله فسمع قتادة
الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه وكان على ما ذكرنا من المرض فكتب بعض
أصحابه الى الحسن يعرفه الحال ويقول له ابدأ به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكة فلما وصلها
قصد دار أبيه في نفر يسير فوجد على باب الدار جمعا كثيرا فأمرهم بالانصراف الى منازلهم
ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن الى أبيه فلما رآه أبوه شتمه وبالغ في ذمه
وتهديده فوثب اليه الحسن فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف وأحضر الاشراف وقال
ان أبي قد اشتد مرضه وقد أمركم ان تحلفوا لي ان أكون أنا أميركم فحلفوا له ثم اظهر تابوتا
ودفنه ليظن الناس انه مات وكان قد دفنه سرا فلما استقرت الامارة بمكة له ارسل الى اخيه الذي
بقلعة ينبع على لسان أبيه يستدعيه وكتم موت أبيه فلما حضر أخوه قتله أيضا واستقر
أمره وثبت قدمه وفعل بأمير الحاج ما تقدم ذكره فارتكب عظيما قتل اباه وعمه وأخاه في أيام
يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى وزال ملكه وجعله طريدا شريدا خائفا يترقب وقيل ان
قتادة كان يقول شعرا فمن ذلك انه طلب ليحضر عند أمير الحاج كما جرت عادة أمراء مكة
فامتنع فعوتب من بغداد فأجاب بأبيات شعر منها

ولي كف ضرغام أذل ببطشها • وأشري بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها • وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم أبتغي • خلاصا لها اني اذا لرقيع
وما أنا الا المسك في كل بلدة • يضوع وأما عندكم فيضيع

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصرية من الفرنج وقد تقدم ذكرها
مشروحا مفصلا وفيها في صفر ملك التتر مراغة وخربوها وأحرقوها وقتلوا أكثر أهلها ونهبوا
أموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم أهلها فظفر بهم التتر

وقتلوا

ودمنة • فلو كان كأحمد
أولاد السوقة • في أخلاق
لهم من الملك والملوكة
لكنه الجري على العهد
والرهون السهد • والم
رسف الرصاف • والملك
سرح السبات • والا من
نظم الوصال • والحلو يطيب
الحلال • والعو ... الزلال
والنفس عوت العذال
ونفس المسوب روح
الجمال • عن الادب
قبل أن يعقد فيه عليه
ورتبه دون الاصحاب
رواته • فيا كالصرح هذى
أوله الرمل الطاهر • وحدا
أسفله الرأس الطهار
وباهر عسر ن من سببه
رى الملل في مسعله
حللا • وستريه كللا
وعند الحمد ريدا • وان
العهد عهدا • ان حط

وقتلوا منهم مالا يحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فأعادوا النهب ونهبوا ما بقى من البلاد ولم ينهبوه أولا ووصلوا الى بيلقان من بلاد اران فحصروها وملكوا وقتلوا أهلها حتى كادوا يفنونهم وقتل منهم كثير ونهبت أموالهم واكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وملكوها وقتلوا كثيرا من اهلها وساروا الى بلد اللان واللكز ومن عندهم من الامم فأوقعوا ورحلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا فى تلك الارض حتى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدم ذكر جميعه مستقصى وانما اوردناه ههنا جملة ليعلم الذى كان فى هذه السنة من حوادثهم وفيها توفى صديقنا أمين الدين ياقوت الكاتب الموصلى ولم يكن فى زمانه من يكتب ما يقاربه ولا من يؤدى طريقة ابن البواب مثله وكان ذا فضائل جمة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورا فى الدنيا والناس متفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظما ونثرا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسين بن على الواسطى من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا * ه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسـد وتعنو له الكتائب ذلا
واذا افتر ثغره عن سواد * فى بياض فالبيض والسمر تخلى
انت بدر والكاتب بن هلال * كابيه لا فخر فيمن تولى

ومنها

ان يكن أولا فانك بالتفـ * ـضيل اولى انه سبقت وصلى

وهى طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البواب الذى هو أشهر من ان يعرف وفيها توفى جلال الدين الحسن وهو من أولاد الحسن بن الصباح الذى تقدم ذكره صاحب ألموت وكردكوه وهو مقدم الاسماعيلية وقد ذكرنا انه كان قد أظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولى بعده ابنه علاء الدين محمد

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج طائفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم)

لما استولى التتر على أرض قفجاق تفرق قفجاق فطائفة قصدت بلاد الروس وطائفة تفرقت فى جبالهم واجتمع طائفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له ان التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا أموالنا وقد قصدناك لنقيم فى بلادك ونحن مماليك لك ونفتح البلاد لك وأنت سلطاننا فمنعهم من ذلك وخافهم فأعادوا الرسالة اليه اننا نحن نرهن عندك أولادنا ونساءنا على الطاعة والخدمة لك والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسألوه ان يمكنهم ان يتزودوا من بلده تدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجون اليه فارقوا بلاده فأجابهم الى ذلك فصاروا يدخلون متفرقين ويشترون ما يريدون ويخرجون ثم ان بعض كبرائهم والمقدمين منهم جاء الى رشيد وقال انى كنت فى خدمة السلطان خوارزمشاه وأنا مسلم والدين يحملنى على نصحك اعلم ان قفجاق أعداؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكنهم من المقام ببلادك فأعطنى عسكرا حتى أقاتلهم وأخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلم اليه طائفة

فنقش العبد * على ايدى الكواعب العيد * وان لفظ نعقود الدر منظومه واقاحى البطاح مرقومه ولولا أن اباه اعتبطه دون مداه لطلت من آثار بنانه وخلد من أنوار ابداعه واحسانه * ما يفضح ماء الورد فى تصعيده * وعصير الخمر عن عناقيده * لكنه لم يغن الا قدر ما لحته العيون حتى اختطفته المنون * فقامت نواعى المجد يندبنه جميعا ويبكينه نجيعا * فطالت من بينهم صريعا * أنشدهم والله القلب وجيعا قد كان لى فى رأيه ود كانه أشراط صدق أن يموت سريعا واقد ضمنى واياه مجلس لبعض أركان الدولة اليمينية فاتفقنا ثانى اثنين من بين الحضور فى تنافث الهموم

من عسكره وأعطاهم ما يحتاجون إليه من سلاح وغيره فساروا ومعهم طائفة من قفجاق
فقتل منهم جماعة ونهبوا منهم ولم يصبر قفجاق للقتال بل ولوا منهزمين فتبعهم عسكر الملك شروان شاه
رشيد ولولا ذلك لما تلافاه عسكر فلما عاد ذلك المقدم القفجاقي ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم
ثم إن قفجاق ساروا وأمروا مقدمهم فسار وأتلاه ألم تقاتل ذلك القفجاقي فلم يسد أرسل عسكرا معهم
فأمر قفجاق العسكر بما أراد فسار ينقر أمر القفجاق فأوقع بأمرهم وعم منهم والسبع
كثير من قفجاق من الرجال والنساء يكونون قد سروا أشعروهم ومنهم مأوت وهم مخاطرته
يكون حوله وقالوا له إن صدقنا ملانا الدمار وقد أوصى أن تحمل إليك نفسه في أي موضع
شئت ويكون في عند لك فلما سمعه والذين يكونون عليه أشار وعاد إلى شروان شاه رشيد وأعلمه
أن المقصد نبي له وقدمهم معه وقد طلب أهله أن يكونوا في حدمته فأمر أن يدخلوا
البلد وأن أهم فيه مكان أولئك الجماعة يسيرون مع ذلك المقدم ويركبون بركوبه ويقعدون
معه إلى القلعة التي لرشيد ويقعدون عنده ويسيرون معه ثم رشا وهم فأمر رشيد أمراء
ذلك الرجل الذي قيل له إنه مسير ولم يكن ملك ولما فعلوا هكذا مكيدة حتى دخلوا البلد والذي
أظهروا أمرهم في الخلق ولا معرفة رشيد هو من أكبر مقدمي قفجاق تمروا كذلك مدة
أيام فكل يوم يجيء جماعة من قفجاق حتى اجتمع بالقلعة منهم جماعة وأرادوا الغدر برشيد
وملك بلاده فتفطن لذلك فخرج من القلعة من باب السر وهرب ومضى إلى شروان وملك قفجاق
القلعة وقالوا لأهل البلد نحن خير لكم من رشيد وأعادوا إليهم أصحابهم وأخذوا السلاح
الذي في البلد جميعه واستولوا على الأموال التي كانت لرشيد في القلعة ورحلوا من القلعة
وقصدوا قبله وهي للكرج فنزلوا عليها وحصروها فلما سمع رشيد بعودهم عن القلعة رجع إليها
وملكها وقتل من بها من قفجاق ولم يسلم القفجاق والذين عندهم بقلعة فأرسلوا طائفة منهم
إلى القلعة فقتلهم رشيد أيضا فلم يسلم إلا القليل فعادوا إلى الحدر ببند فلم يكن لهم في القلعة
طمع وكان صاحب قبله لما كانوا حصروه قد أرسل إليهم وقال لهم أنا أرسل إلى ملك الكرج
حتى يرسل لكم الخلع والأموال وتحسم لكم وأمر بتلك البلاد فكفوا عنه وبقي
أياما ثم إنهم مدوا أيديهم بالنهب والقتل ونهبوا بلاد قبله جميعها وساروا إلى مدينة كنجة من
بلاد أران وهي للمسلمين فنزلوا عليها فأرسل إليهم الأمير بكنجة وهو مملوك لأوزبك صاحب
أذربيجان اسمه كوشخره عسكرا منعهم من الوصول إلى بلاده وسير رسولا إليهم يقول لهم
غدرتم بصاحب شروان وأخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبله ونهبتم بلاده فما يثق بكم أحد
فأجابوا إنا ما جئنا إلا قصدا لخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده
وأخذنا قلعته ثم تركناها من غير خوف وأما صاحب قبله فهو عدو لكم ولو أردنا أن نكون
عند الكرج لما كان خاطر يشتغل عليه في شروان فإنه أقرب وأشد واحد وكان خالي
بلدهم على عادتنا وفي يده الرهائن الكثير فلما سمع هذا أسار إليهم يجمع به قفجاق فركب
أمراؤهم وقالوا له إنا نتحدث معهم في مثل هذا وقالوا له قد أتيناك في جريدة
رسل من العدد لكم وإنما قصدنا إلا الوفاء والخدمة لسلطانكم فأمرهم كوشخره بالرحيل
والنزول عند كنجة وتزوج امرأة منهم وأرسل إلى صاحبه أوزبك يعرفه حالهم فأمر لهم

وبذا كر العلوم • وتشاهد
آيات الكرم والقوم • فلما
كثر الأذى على الخلق سار
وعمر السرب فمات • حتى
احتمل مشقة الأسفار
واستصعب أثقال أمرائه
بأن نزل في مصر المرجع عنه
وآل إلى ما دار من أبيه
ونشه • فتوفرنا للمسلمين من
خدمته الآداب • والاستشعار
بمقام التصرف من مقام
النسب • على طاعة من ولاه
في عمر • والتدرج على حكم
أمر ورجوه • وأنه حسن
ملك أمره • وعرف من حاله
جرمه • واعتز به بمعاشه
ربوبية ومراسه • فانحصر
مآله معرفة أبيه يحصى
ما سمعه من الإساءة على
الآباء فلم يرده على أن رأى منه
في إرثه من أمه

بالمطمع والنزول بجبل كيلكون ففعلوا ذلك وخافهم الكرج فجمعوا لهم ليكبسوهم فوصل
الخبر بذلك الى كوشخرة أمير كنجة فأخبر قفجاق وأمرهم بالعود والنزول عند كنجة فعادوا
ونزلوا عندها وسار أمير من أمراء قفجاق في جمع منهم الى الكرج فكبسهم وقتل كثيرا منهم
وهزمهم وغنم ما معهم وأكثر القتل فيهم والاسر منهم ووقعت الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى
جبل كيلكون فنزلوا فيه كما كانوا فلما نزلوا أراد الامير الآخر من أمراء قفجاق ان يؤثر
في الكرج مثل ما فعل صاحبه فسمع كوشخرة فارسل اليه ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر
الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم في طائفته ونهب وخرب وأخذ الغنائم فسار الكرج من
طريق يعرفونها وسبقوه فلما وصل اليهم قاتلوه وحملوا عليه وعلى من معه على غرة وغفلة
فوضعوا السيف فيهم وأكثروا القتل فيهم واستنقذوا الغنائم منه فعاد هو ومن معه على أقبح
حالة وقصدوا بردعة وارسلوا الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره
لقصدوا الكرج فيأخذوا بثارهم منهم فلم يفعل وأخافهم وقال انتم خالفتموني وعملتم برأيكم فلا
أنجدكم بفارس واحد فارسلوا يطلبون الرهائن الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا وأخذوا كثيرا
من المسلمين عوضا من الرهائن فثار بهم المسلمون من أهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة
كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون والكرج
واللكز وغيرهم فأفنوهم قتلا ونهبا وأسرا وسبيا بحيث ان المملوك منهم كان يباع في دربند
شروان بالثمن البخس

(ذكر نهب الكرج بيلقان)

في هذه السنة في شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد اران وقصدوا مدينة بيلقان
وكان التتر قد خربوها ونهبوها كما ذكرناه قبل فلما سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم من اهلها
اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ أتاهم الكرج ودخلوا البلد
وملكوه وكان المسلمون في تلك البلاد أنفوا من الكرج لانهم اذا طرقوا بلدا صانعوهم بشيء من
المال فيعودون عنهم فكانوا أحسن الاعداء مقدرة فلما كان هذه الدفعة ظن المسلمون انهم
يفعلون مثل ما تقدم فلم يبالغوا في الامتناع منهم ولا هربوا من بين أيديهم فلما ملك الكرج
المدينة وضعوا السيف في أهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعل بهم التتر هذا جميعه يجري
وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرك في صلاح ولا ينهض لخير بل
قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد قبحه الله ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم ويحفظ
بلادهم بمحمد وآله

(ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش)

في هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من أعمال الحميدية وبينها وبين
الموصل اثنا عشر فرسخا وسبب ذلك انها كانت هي وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكي
ابن ارسلانشاه وكان بينهما من الخلاف ما تقدم ذكره فلما كان هذه السنة سار زنكي الى
اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتصل به وصار معه واقطعه اقطاعات وأقام
عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحصرها وضيق عليها وهي على رأس جبل عال فطال

وحال بينه وبين ما كتب الله
له من حقه مطاوعة لرقيق
اعتقاده * فذاق عسيلته *
وأذاقه ذبيلته * فخلاه
منها تريب دانيته وقاصيته
وولاه تدبير حاشيته
وغاشيته * وحكمه في
عرض ولده * وسائر ما تحت
يده * فاجتر ذلك الفاضل
دون انعمته * وأقعده عن
الاستقلال بلمته * وجعل
كل من يعتزي اليه منقوما
ومقدوعا * ومن يعتريه
ملطوما ومصفوعا * حتى
اضطره صراخ البائس
والحاح الافلاس * الى قصد
شمس الكفاة لاستماحته *
واتباع ندى راحته * فحين
علم أبوه العتو فخيمه على
شاطئ الاقبال * واستقلاله
على مواطئ الآمال * ندب
الفكر لاغتياله * أو سمر
الليل لاقتناصه باحدى
حبائله وحباله * ودس اليه
على ما شاع وذاع * وشحن

مقاتله عليها لمناعتها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصرا لها فطال الامر على من بها ولم يروا من يرحلهم عنهم ولا من يصدهم سلموها على قاعدة استقرت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلمها نوابه فى التاريخ ورتبوا امورها وعادوا الى الموصل

•(ذكر عدة حوادث)•

فى هذه السنة فى العشرين من شعبان ظهر كوكب فى السماء فى الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر بقى كذلك عشرة أيام ثم انه ظهر أول الليل فى الغرب مما يلى الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة أذرع فى رأى العين ولم يزل يرتفع الى الجنوب حتى صار غربا بعد ان صار غربا مائلا الى الجنوب بعد ان كان غربا مما يلى الشمال فبقى كذلك الى آخر شهر رمضان من السنة ثم غاب وفيها توفى ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالما قبيح السيرة فى رعيته قيل انه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة فى ان الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولما مات ملك ابنه الملك المسعود

(ثم دخلت سنة عشرين وستمائة)

•(ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى)•

فى هذه السنة سار الملك المسعود اتسز بن الملك الكامل محمد صاحب مصر الى مكة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوى الحسنى قد ملكها بعد أبيه كما ذكرناه وكان حسن قد أساء الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرقوا عنه ولم يبق عنده غير اخواله من عنزة فوصل صاحب اليمن الى مكة ونهبها عسكره الى العصر فحدثنى بعض المجاورين المتأهلين انهم نهبوها حتى أخذوا الثياب عن الناس وأفقروهم وأمر صاحب اليمن أن ينبش قبر قتادة ويحرق فنبشوا فظهر التابوت الذى دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيأ فعلموا حينئذ ان الحسن دفن اباه سرا وانه لم يجعل فى التابوت شيأ وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وأزال عنه ما قتل أباه وأخاه وعمه لاجله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

•(ذكر حرب بين المسلمين والكرج بارمينية)•

فى هذه السنة فى شعبان سار صاحب قلعة سرمارى وهى من اعمال ارمينية الى خلاط لانه كان فى طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب ليحضر عنده واستخلف ببلده أميرا من أمرائه فجمع هذا الامير جمعا وسار الى بلاد الكرج فنهب عدة قرى وعاد فسمع الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوة وهو من أكابر امراء الكرج عسكره وسار الى سرمارى فحصرها أياما ونهب بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرمارى الخبر فعاد الى سرمارى فوصل اليها فى اليوم الذى رحل الكرج ثم انه اخذ عسكره وتبعهم فأوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما أخذوا من غنائم بلاده ثم ان صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرمارى ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فجمعها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فأتاه من أخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرمارى وهو واد ضيق فسار بعسكره مجدا السير لكبس الكرج فوصل الى الوادى الذى هم فيه وقت السحر

المسلع والطباع • من دعته نفسه • عادره على مراس المتون صريعا • وانتقل عن بعد الى جوار ربه ودار كرامته • فسكنا مدة فوق هامته • ويسيرها فى العدل وملك الملوك على طلاعته • وجمعتهما حول العرش الى يوم قيامته • وحدث من قهرمان بيته وقد عاد الى أبيه السلطنة ما كان استقر له من دوام تمامه • واقتطعه دون مرامه حاجاته • استظهارا على حوادث النوب • أو استمتاعا على معالى الرتب • أو آخر من ربعها ما أنفقا من جهة المال قدر ما قطعا به المسافة اليه • ووضعاه فى اكياسه فختوما من مدته • فكان سرا أوهما منه انه موضع الدهن عليهما • حتى استغرق ملكهما • وانترف ملبس العظام ثم

فتفرق عسكره فرقتين فرقة من أعلى الوادى وفرقة من أسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا وأسروا فكان فى جملة الاسرى شلوة أمير دوين فى جماعة كثيرة من مقدميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حال سيئة ثم ان ملك الكرج أرسل الى الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذى أعطى خلاط وأعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنا نظن انا على صلح والآن فقد عمل صاحب سرمارى هذا العمل فان كنا على الصلح فنريد اطلاق أصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر أمرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرمارى يأمره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرت قاعدة الصلح وأطلق الاسرى

(ذكر الحرب بين غياث الدين و بين خاله)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة انهزم ايغان طائسى وهو خال غياث الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والرى واصبهان وغير ذلك وله أيضا بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان خاله ايغان طائسى كان معه وفى خدمته وهو أكبر أمير معه لا يصدر غياث الدين الا عن رأيه والحكم اليه فى جميع المملكة فلما عظم شأنه حدث نفسه بالاستيلاء على الملك وحسن له ذلك غيره وأطمعه فيه قيل ان الخليفة الناصر لدين الله أقطعه البلاد سرا وأمره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلما تم له أمره أظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعته أوزبك وصار فى البلاد يفسد و يقطع الطريق وينهب ما أمكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من أهل العنف والفساد ومعه مملوك آخر اسمه ايبك الشامى كانا متفقين على العصيان فقوى بهما وساروا بجمعهم الى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده و يخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى (٣) واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره وأسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على أقبح حال وأقام غياث الدين فى بلاده وثبت قدمه

(حادثة غريبة لم يوجد مثلها)

كان أهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة وقد انتهى الملك اليها فوليته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها و يقوم بالملك نيابة عنها و يكون من أهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من أكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا الا انا لا يمكننا أن يملك أمرنا مسلم فقال لهم ان ابنى يتنصر ويتزوجها فأجابوه الى ذلك فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل اليها وأقام عندها الكرج حاكما فى بلادهم واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونسأله أن يجعل خير أعمالنا آخرها وخير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا لها فكان زوجها يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثم انه يوما دخل عليها فرآها نائمة مع مملوكها فى فراش فأنكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيت بهذا والا

قصدهما فى روحهما اشفاقا على صورة الحال * ومستورة المآل * من هتكة الاذاعه * وفضيحة الكشف والاشاعه * ولولا انه اعتصم بالاستتار دون صاحبه من عدا بتحاماه * ومبرقا باستبرازما واراه * ولم يرض بالارث وندحازه دون مستحقيه * من قرابته وذويه * حتى قطع سماط المطالبة على وكلائه ومواليه * وهلم جرا الى ثقيقة له معجرة فى الحجاب * معنسة دون الخطاب * خلافا على الله فى حكمه * واجتراء عليه فى فرض الاسلام وحتمه * واستحقاقا لولغ الالسن فى دينه المجروح * وعرضه المفضوح * وعقده الحلول * وسره المجرون بالغلول * فمراهم ذكرانا وانا ثا عما البسوه من بال وجديد * وطارف وتلد * اعتلالا عليهم

(٣) بياض بأصله

فأبت أخذه وقالت إني لا أرضى بهذا فنقلته الى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من الحركة وهرب
عنه وأرسلت الى بلد اللان وأحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت أحدهما
فبقي معها يسيرا ثم فارقته وأحضرت الشاه آخر من كنجه وهو مسلم فطلبت منه أن يتنصر
ليتزوجها فلم يفعل فأرادت أن تتزوجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومنعوها وهو
مقيم العساكر الكرجية فقالوا انها قد افتضحت بين الملوك بفعلها ثم تريد أن تتزوج مسلما
وهذا لا نمكن منه أبدا والامر بينهم متردد والرجل الكنجي عندهم لم يجبهم الى الدخول
في النصرانية وهي تهواه

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة كان الجراد في أكثر البلاد وأهلك كثيرا من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة
وديار بكر وكثير من الشام وغيرها وفيها في رمضان توفي عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه
الشافعي الدمشقي بها وكان غزير العلم عالما بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله وفيها
جمع العرب في خلق كثير على حجاج الشام وأرادوا قطع الطريق عليهم وأخذهم وكان الامير
على الحاج شرف الدين يعقوب بن محمد وهو من أهل الموصل أقام بالشام وتقدم فيه فخوفهم
بالرعب ولم يرهم ضعفا وصانعهم بمال وثياب وغير ذلك فأعطى الجميع من ماله ولم يأخذ من الحاج
الدرهم الفرد وفعل فعلا جميلا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة)

(ذكر عود طائفة من التتر الى الري وهمذان وغيرهما)

أول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية
التي ذكرنا أخبارها قبل ووصل هؤلاء الري وكان من سلم من أهلها قد عادوا اليها وعمروها
فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا منهم فوضعوا في أهلها السيف وقتلوهم كيف
شاؤا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوه ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من
التتر أولا فانهم لم يقربوهما ولا أصاب أهلهما أذى فأتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا أهلهما
وخربوهما وألحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا في البلاد يخربون ويقتلون
وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها فأبادوهم قتلا وأسرا
ونهبا وخربوا البلد وكانوا لما وصلوا الى الري رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية
فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا بأطرافها فلم يشعروا الا والتتر
أيضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وأرسلوا الى
صاحبها أوزبك بن البهلوان يقولون ان كنت موافقنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية
والا فعرفنا أنك غير موافق لنا ولا في طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم
وأسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وأنفذ معها من الاموال والثياب والدواب
شيئا كثيرا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا ولم يكونوا في كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف
فارس وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر أوزبك أكثر من
الجميع ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم نسأل الله أن ييسر للاسلام

والمسلمين

بما أخرجه للمتوكل على
ساعة وهي نصف استقلاله
وفي زمان من أربعة
وعالمه ولم يسم أحدا
من جملة الداخلين كانوا
عليه رحمه الله لتسليمه
موسوم بعربية ومكدوم
بمنعه ومنقوص من
دهر ذكره ومالوا على
ماخوذ من سنة وجهه
فراية القصور المعمورة
لشكر الله بلا ملها صرعا
ويجري عليهم كاملها دموعا
مما ملأها من أماله
وأمدها على من الشيب
من فاته وتساءل زوال
المسطر أن ملك عليها
ما ملكته من أحبها أرباه
ويجري ما جرى به عيسى
وجد ما يمنعه لمدوث
ما أطلقه عليها من أذى
المرود وأصناف الترك
والهنود فهو قد جرها
مصر أهل التبرق بمن تطر
وبقي الملك متبعه عليها من

والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى أمر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

(ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس)

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالري وله معها اصفهان وهمذان وما بينهما من البلاد وله أيضا بلاد كرمان فلما هلك أبوه كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلما فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمر ما أمكنه منها وأقام بها الى أواخر سنة عشرين وستمائة وجرى له ما ذكرناه في آخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو أتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى أطراف بلاده فلم يتمكن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهي كرسي مملكة فارس وأكبرها وأعظمها فملكها بغير تعب أول سنة احدى وعشرين وستمائة وبقي غياث الدين بها واستولى على أكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الا الحصون المنيعة فلما طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على أن يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ولغياث الدين الباقي وأقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامة وعزما على ذلك لما سمع ان التتر قد عادوا الى الري والبلاد التي له وخربوها

(ذكر عصيان شهاب الدين غازي على أخيه الملك الاشرف وأخذ خلاط منه)

كان الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب قد أقطع أخاه شهاب الدين غازي مدينة خلاط وجميع أعمال ارمينية وأضاف اليها ميافارقين وحاني وجبل جور ولم يقنع بذلك حتى جعله ولي عهده في البلاد التي له جميعها وحلف له جميع النواب والعساكر في البلاد فلما سلم اليه ارمينية سار اليها كما ذكرناه وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة وأظهر مغاضبة أخيه الملك الاشرف والتجني عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرعو ولا ترك ما هو عليه بل أصر على ذلك واتفق هو وأخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته وأظهروا ذلك وعلم الاشرف فأرسل الى أخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك وكانا متفقين وطلب منه نجدة فجهز العساكر وأرسل الى أخيه صاحب دمشق يقول له ان تحركت من بلدك سرت اليه وأخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذي بينهم فلما وصلت اليه رسالة أخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق وأما صاحب اربل فانه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شاء الله وأما الاشرف فانه لما اتفق عصيان أخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها خافه أخوه غازي ولم يكن له قوة على أن يلقاه محاربا ففرق عسكره في البلاد ليحفظها وانتظر أن يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وأن يسير أخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان أهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازي فلما حصرها سلمها أهلها اليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وبقي غازي في القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل

ورق الصيانة عن شجره * وجعل يرميها في جواب التلطف والتألف بأحد من مؤللة القراع * وأشد من ململة القلاع * فعل من لا تكففه حرمه * ولا تكنفه رحمه * ولا ترق عليه رافه * ولا تخف اليه في ذات الله مخافه * ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء في درة تذال * وعورة تنالها الايدي الطوال * فلما آيسها الاعراض * أدركها الامتعاض * وآلت حلفة مصبورة لئن لم يثنه عما لم يقصد بمثله والذات خدر * وكريمة وراء ستر * لتهتكن الحجاب * ولتطرحن الجلباب * ولتحثين على قرونها التراب * منطلقة الى حضرة السلطان في ايضاح ما وارته الجدر منه * وطرحته الجاملة عنه * وكتمته ضمائر الاشفاق فيه وطمسته ذيول الهوادة دونه فقال المجنون لاخيه

الى أخيه مصدرا و سهلا فعاتبه الاشرف وأبقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن أخذ البلاد
منه وأبقى عليه ميافارقين

•(ذكر حصار صاحب اربل الموصل)•

قد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازي
صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فأما صاحب
دمشق فانه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لان أخاه صاحب مصر أرسل اليه يهدده ان سار
عن دمشق انه يقصدها ويحصرها فعاد وأما غازي فانه استعصى بخلاط وأخذت منه كما
ذكرناه وأما صاحب اربل فانه جمع عسكره وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء
ثالث عشر جمادى الآخرة ظنا منه ان الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط
ويفرج عن غازي في حلقه فتنبسط أحواله ويقوى نفس صاحب دمشق على المجيء اليهم فلما نازل
الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد أحكم امورها من استخدام الجند على الاسوار
واظهار آلة الحصار والحوائج الشاتر وانما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لان
أكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قل العسكر بها وكان الغلاء شديدا
في البلاد جميعها والسعر في الموصل كل ثلاث مكاكيك بدينار ولهذا السبب أقدم على حصرها
فلما نزل عليها أقام عشرة أيام ثم رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب
رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير
ووصل اليه خبر الملك الاشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن
دمشق وبقي وحده متلبسا بالامر فلما وصلت الاخبار الصحيحة سقط في يده ورأى انه قد أخطأ
الصواب فرحل عائدا الى بلده وأقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها انما كان
في بعض الاوقات يجيء بعض الجند اليه بما يلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض
الرجالة فيجري بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون وترجع كل طائفة الى صاحبها

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة أول آب جاء بغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه في باب البصرة والحربية وكذلك
بالموصل حتى ان الناس كانوا يعبرون في الماء والوحل بالموصل وفيها سار صاحب اليمن الى
مكة في ذي القعدة فهرب أهلها فنقل اليه عن انسان من أهلها انه سبه فأحضره وأمر بقطع يده
وقال له لم تسبني فقال له لم تسبون أبا بكر وعمر لاجل أخذهما فدك وهي غصب خلاف لفاطمة
عليها السلام وأنتم تأخذون منا فيه فدك ولا أتكلم فعفا عنه وفيها وقعت فتنة بواسط بين
السنة والشيعة على عادتهم وفيها قلت الامطار في البلاد فلم يجيء منها شيء الى شباط ثم انها
كانت تجيء في الاوقات المتفرقة مجيئا قريبا لا يحصل منه الري فلم يزرع شيء فغلت الاسعار قليلا ثم
خرج عليها الجراد ولم يكن في الارض من النبات ما يشتغل به عنها فأكلها الا القليل وكان كثيرا
خارجا عن الحد فغلت الاسعار في العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت
الاقوات الا ان أكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

وهو معه في بلاده ، اعلى
على هذه القصة الورها
بعد أطرتها الفصول ،
وأنطقها دالة الاحوال لها
تدري ما تقول ، هذه وافقه
حميه الابطال في حماه
الدمار ، وزعا بصفوف
المرم الامكانه ورحم الله
أما الفتى الذي حب قول
لي ساوقه حرير
عرسه ملمى أمر
حلى الله الى السه
لى الفير مصر
ولما فرغ هذا الفاضل من
هذا الموالد ، ووداته ما كان
بعد بلده واعتصار المظالم ،
من بلاده حالها ، وصلاته
مالها ، عند أخلفاه وصغير
أولاده ، ومن رجوه مطه
لمعاشه ومعاده ، فتفصل
عما ملاب باحسه احسالا
عليه في الحاقه باحسه ،
وقطاعه دون كماف
دصرف فيه ، فتلطف
واصلحه وأمر به بالعار

(ذكر حصر الكرج مدينة كنجة)

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى مدينة كنجة من بلاد اران قصدا لحصرها واعتدوا اليها بما أمكنهم من القوة لان أهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كبيرة من طول ممارستهم للحرب مع الكرج فلما وصلوا اليها وقاربوها قاتلوا أهلها عدة أيام من وراء السور ولم يظهر من اهلها أحد ثم في بعض الايام خرج أهل كنجة ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد أشد قتال وأعظمه فلما رأى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان أثخن أهل كنجة فيهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

(ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى خوزستان والعراق)

في أول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهي بيد أخيه غياث الدين وقد تقدمت أخباره فملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان أخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فأعاد ما كان أخوه أخذه منها الى أتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظا لها وأميرا عليها فحصره جلال الدين وضيق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا وغيرهما وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين فأوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه وسار الى أن وصل الى بعقوبا وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلما وصل الخبر الى بغداد تجهزوا للحصار وأصلحوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة الى بغداد وأما عساكر جلال الدين فنهب البلاد وأهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خوزستان في ضر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب والذي معهم فهو من الضعف الى حد لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا وا كثروا من أخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها وسار من بعقوبا الى دقوقا فحصرها فصعد أهلها الى السور وقاتلوه وسبوه وأ كثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشق عليه وجد في قتالهم ففتحها عنوة وقهرا ونهبها عساكره وقتلوا كثيرا من أهلها فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا في البلاد ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم الى البت والراذان فهرب أهلها الى تكريت فتبعهم الخوارزمية فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة فعادوا الى العسكر ولقد رأيت بعض أعيان أهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم أغنياء فنهبوا وسلم أحدهم ومعه ولدان له وشيء يسير من المال فسير ما سلم معه الى الشام مع الولدين ليتجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم فمات أحد الولدين بدمشق واحتاط الحاكم على

ما قدر * حتى اذا أعياه التلطف * ولم يقنعه الا التصرف * مد رقبته لربقة التقليد * وكبر سبعا على طارف المال والتليد فازال يجبي كل ولود ونزور * ويجري كل بكي ومثرور * حتى نضب المال الا قليلا * وعصب ريقه الا بليلا * فطفق يعيره بالعجز وتضييعه * ويبكته على خرقه وتضييعه * فأمر المحاسبين بحسابه لجمع عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر * ولا ينبته نجم ولا شجر * ولم يطلع عليه شمس ولا قمر * وسبب عليه لا علاج الهنود * وغلاظ كفارهم السود * ما لا أوهى متن طاقته * وأتى من وراء فاقته * وحرشهم على ابنه بتطميع في عاجل موزون * وترغيب في آجل مضمون * حتى أوهنوه شدا وايثاقا وأثخنوه ضربا وارهاقا ووضعوا عليه في بعض

فلم يمهلهم ملكهم بل سار أمامهم على حالة شديدة لا يعلمها الا الله عز وجل أحدث الاملاك وقتل بعض
الاهل وصار قتال من طمع منهم والوطن بهذا القدر الحقير أردى ما تكفيه وخرج هاربا من السواك
ونصبوا أيضا بعد ذهاب الوالي المال ثم سار الى دمشق ليأخذ مالهم مع ابنه الآخر وأخذه
وعاد الى الموصل فلم يبق عندهم حق ولي ● ان الذي يكل حمل يعني ● وأما جلال الدين فانه
لما عمل بأهل دقوقا ما عمل خافه أهل البوازيج وهي لصاحب الموصل فأرسلوا اليه يطلبون
منه ارسال شحنة اليهم يحميهم ويحملوا اليه شيئا من المال فأجابهم الى ذلك وسير اليهم من يحميهم
قيل كان بعض أولاد عسكر جلال الدين ملك التتر أسر جلال الدين بعض خزانته مع التتر أكرمه
فحماهم وأقام بمكانه الى أواخر ربيع الآخر والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين صاحب
اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى أذربيجان وقد مضى مسلم جلال الدين بخوزستان
والعراق ثار العرب في البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل وقتل
الخلق منهم أذى شديدا وأخذوا في طريق العراق حلبيين تجارا كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم
منهم الا اليسير

●(ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك)●

في هذه السنة في صفر توفي الملك الافضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب فجأة بسميساط
وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا ما ملك من البلاد وما أخذه وجملته بعد وفاة والده رحمه
الله ملك مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا أخذ ذلك منه وبعض أخذ
الجميع منه ثم ذكرنا ملكه صرخد وبعده ملكه ديار مصر وذكرنا أخذها منه وبعض أخذها منه
واتصل الى سميساط وأقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفي بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان
لم يكن في الملوك مثله كان خيرا عادلا فاضلا حليما كريما قال ابن عاتب على دمشق ولم يجمع ظلما وكان
يكتب خطا حسنا وكتابته جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير من
الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله
ورضي عنه ورأيت من كتابته أشياء حسنة فمما بقي على خاطري منها أنه كتب الى أصحابه
لما أخذت دمشق منه كتابا من جملته وأما أصحابنا بدمشق فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك الى
أي صديق سألت عنه في الملك ونصب الحول والوطن وأي عدو سألت عن حالته سمعت ما لا اشتهيه
أذى فتركت السؤال عنهم وهذه غاية الجودة في الاعتذار عن ترك السؤال عنهم وللملك
الافضل أولاد وعمهم قطب الدين موسى ولم يعرف أحد منهم على الناس لسعد الامر ومات
في هذه السنة صاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغرل بن قلج أرسلان وهو الذي سير ولده
الى الكرج وتنصر وتزوج ملكة الكرج وللملكات طلب بعد ما نسبه وملك بعده ابنه ملك أرزنكان
وتوفي معز الدين المحسن بن ابراهيم بن أبي بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب
حرت برت وملك بعده ابنه نور الدين ارتق شاه وكان المدبر لدولته ودولة أبيه معين الدين
عبد الرحمن

●(ذكر خلع شروانشاه وظفر المسلمين بالكرج)●

في هذه السنة ثار على شروانشاه ولده فأخرجه من الملك وأخرجه من البلاد وملك بعده وسبب

فاله دهما اسمه الى
الصباح الثائرة حتى اذا
لم يبق منه غير آثار الطائرة
علوا أنه مظلوم وأن الامة
قاسية قد قهرهم المدحول
وشركهم المدلول ●
قوم ولوا فمضوا آمنهم
عند لا نقض الله ● ومن
ارضه ورثا ● وأطعمه
بعد الله ومقاله ● وباطن
الافاضل الكرام من يوسف
وجه الكافر القاهر على
قلوبه ● وطبع قلبه
وساويه ● ومن زعم
انه والبصرة وصلى وآله ●
وبعده فلده من كنده ●
وبعضهم روحه وجسده ●
كل ذلك طمعا في استرداد
مال ● واستمداده حال ●
فصارا ها الى غير وزوال ●
فلا رحم الله ذلك حال
المفسد ● حال المكيدة ●
فاني القواده حلي

ذلك ان شروان شاه كان سيئ السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض الى أموال الرعايا وأملاكهم وقيل أيضا انه كان يتعرض الى النساء والولدان فاشتدت وطأته على الناس فاتفق بعض العسكر مع ولده وأخرجوا أباه من البلاد وملك الابن وأحسن السيرة فأحبه العساكر والرعية وأرسل الولد الى أبيه يقول له انى أردت أن أترك فى بعض القلاع وأجرى لك الجرايات الكثيرة ولكل من تحب ان يكون عندك والذى حملنى على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلما رأى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرر معهم ان يرسلوا معه عسكرا يعيدونه الى ملكه ويعطيهم نصف البلاد فسيروا معه عسكرا كثيرا فسار حتى قارب مدينة شروان فجمع ولده العسكر وأعلمهم الحال وقال ان الكرج متى حصرونا ربما ظفروا بنا وحينئذ لا يبقى أبى على أحد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما أخذوا الجميع وهذا أمر عظيم اننا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا فالحصر بين أيدينا فأجابوه الى ذلك فخرج فى عسكره وهم قليل نحو ألف فارس ولقوا الكرج وهم فى ثلاثة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر أهل شروان فانهزم الكرج فقتل كثير منهم وأسر كثير ومن سلم عاد بأسوإ حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له مقدمو الكرج انا لم نلق بسببك خيرا ولا نؤاخذك بما كان منك فلا تقم ببلادنا وفارقهم وبقى مترددا لا يأوى الى أحد واستقر ولده فى الملك وأحسن الى الجند والرعية وأعاد الى الناس أملاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته

(ذكر ظفر المسلمين بالكرج أيضا)

وفى هذه السنة أيضا سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد التى بيد أوزبك فنزلوا وراء مضيق فى الجبال لا يسلك الا للفارس معه الفرس فنزلوا آمنين من المسلمين استضعافا لهم واغترارا بحصانة موضعهم وانه لا طريق اليهم وركب طائفة من العساكر الاسلامية وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه مخاطرين فلم يشعر الكرج الا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا وولى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا أخ على أخيه وأسر منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجد فى قصد اذربيجان واستئصال المسلمين منه وأخذوا يتجهزون على قدر عزمهم فبينماهم فى ذلك اذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى مراغة على ما نذكره ان شاء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى أوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على رد جلال الدين وخوفوه منه ان لم تتفق نحن وأنت والا أخذك ثم أخذنا فعاجلهم جلال الدين قبل اتفاقهم واجتماعهم فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك جلال الدين اذربيجان)

فى هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انه لما سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها وأقام بها وشرع فى عمارة البلد فاستحسنه فلما وصل اليها أتاه الخبر ان الامير ايغان طائيسى وهو خال أخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول جلال الدين بيومين وكان ايغان طائيسى هذا قد جمع عسكرا يتجاوز خمسين ألف فارس ونهب كثيرا من

دماء الاولاد * ان للآباء فروضا على الابناء * وللابناء حقوقا على الآباء * فان يكن من فرض الوالد أن لا يقتص منه ان قتل ولده * وقطع بيده يده * فمن حق الولد أن يطاع الله فى صلة رحمه * وتقوى الاقدام على روحه ودمه * نعم ولما أن خف عن الناس كربه * وانجلى عنه وصبه * أسرى الى جانب الامير أرسلان الجاذب فتى السلطان يمين الدولة * وأمين الملة فى زحمة السهو المارق * والرجم المقذوف على المارد المارق * متقيا به عارض البأس * ومستقيا به روحا معلقة بخيط اليأس * فآواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى أركان الدولة فى بابه بما أطل عليه سعاية أبيه * وغل دونه نكاية قصده وتجنبه * وحاذر الفاسق المارق اقتضاحه

ادربيجان وسار الى الكرج بلاد اران فسمى هلك الملك اوزبك ولما عاد الى همدان من
ادربيجان أيام مرتانه وكان مسيره الى همدان ان الخليفة الناصر لدين الله ارسل
وامره بقصد همدان والقبض اياها ومن هنا سار لسوله عليها كما امر فلما سمع جلال الدين ذلك
سار جريدة اليه ووصل الى ايغان طايسي ليلا وكان اذا نزل جعل حول عسكر جميع ما غنموا
من ادربيجان واران من جمل وبغال وحمير وبقر وغنم فلما وصل جلال الدين أسطا الجميع فلما
اصبح عسكر ايغان طايسي ورأى العسكر والجتر الذي يكون على رأس السلطان علموا انه
جلال الدين فسقط في أيديهم لانهم كانوا يظنونه بعيدا عنهم فأرسل ايغان طايسي زوجته وهي
أخت جلال الدين تطلب له الامان فأمنه وأحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال الدين
وبقي ايغان طايسي وحده الى أن اضاف اليه جلال الدين عسكرا غير عسكره وتوجها الى مراغه
واقصد المقام بها وكان أوزبك بن البهلوان صاحب ادربيجان واران قد سار من تبريز الى كنجه
خوفا من جلال الدين وأرسل جلال الدين الى تبريز من والى وأمير ورئيس يطلب منهم
أن يتردد عسكره اليهم يمتارون فأجابوا الى ذلك وأطاعوه فتردد العسكر اليها وباعوا واشتروا
الاقوات والكسوات وغيرها ومدّوا ايديهم الى اموال الناس فكان أحدهم يأخذ الشيء
ويعطي الثمن ما يريده فشكا أهل تبريز الى جلال الدين منهم فأرسل اليهم شحنة يكون عندهم
وأمره بالمقام بتبريز ويكف أيدي الجند عن اهلها ومن تعدى على احدهم صلبه فأقام الشحنة
ومنع الجند التعدي على أحد من الناس وكانت زوجة اوزبك وهي ابنة السلطان طغرل
ابن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهي كانت الحاكمة في بلاد زوجها
وهو مشغول بلذاته من اكل وشرب ولعب ثم ان اهل تبريز شكوا من الشحنة وقالوا انه
يكلفنا أكثر من طاقتنا فأمر جلال الدين انه لا يعطى الا ما يأمر به الامير ففعلوا ذلك وسار جلال
الدين الى تبريز وحصرها خمسة ايام وقاتل اهلها قتالا شديدا وزحف اليها فوصل العسكر
الى السور فدعى أهلها بالطاعة وأرسلوا يطلبون الامان مستملينه كان بيدهم رسول قتلوا
أصحابنا المسلمين وأرسلوا رؤوسهم الى التتر الكفار وقد تقدمت الحادثة سنة احدى وعشر من
وستمائة فخافوا من الملك فلما طلبوا الامان ذكرهم فعلهم بأصحابه أيام قتلهم فاعتذروا بأنهم
لم يفعلوا شيئا من ذلك وانما فعله صاحبهم ولم يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وأمنهم
وطلبوا منه ان يؤمن زوجة اوزبك ولا يعارضها في الذي لها بادربيجان وهو مدينة سلماس وغيرها
من مال وغيره فأجابهم الى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسيّر زوجة
أوزبك الى خوي ومعها طائفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وأمرهم بخدمتها
فاذا وصلت الى خوي عادوا عنها ولما دخل جلال الدين الى تبريز أمر ان لا يمنع أحد
من أهلها ما الناس سائر عليه فلم يضيعوا واحسن اليهم وبسط فيهم العدل ووعدهم
الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رأيتم ما فعلت بمراغة من الاحسان والعمارة بعد ان كانت
خرابا وسترون كيف أصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم وأقام الى يوم الجمعة فحضر
الجامع فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة قام فأتما ولم يزل كذلك حتى فرغ من الدعاء فجلس
ودخل الى كشك كان أوزبك قد عمره وأخرج عليه من الاموال كثيرا وهو في غاية الحسن

ما سر وليه كما فصح عن
قوله أورق انه صداه • ولم
أما • وارتل بلقاه سعودة
المبارين • وبرقة
التراوين • حتى أقرضه
مالسنه مصر بلمه • وورد
معه عدوى امتعاضه
وعمله • كان المتمع من
الفرس الصهال • واستوجب
الامن والامان • فلو تقصب
عن مائس قتوله • ومائع
حله وعروقه • لا تتعب
جلاله كل صاع وصواع •
وبطلت الوجوس رواع •
ومازال هذا الملك كورة
تتلقفه البروج والكوره
الى ان عدم شمس الكفاة •
وزر السلطان عين الدولة
وامسى الملك من والورود
مسوما على المال • مليا
الارتفاعات والاموال به مدة
ثلاث عشر سنوات مما علم
اليه لا اباكلته • وعائدا
بواقبه الكرام ووراقه
الانام من سربه • ومعترنا

مشرف على البساتين فلما طاف فيه خرج منه وقال هذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا وأقام أياما استولى فيها على غيرها من البلاد وسير الجيوش الى بلاد الكرج

(ذكر انهزام الكرج من جلال الدين)

قد ذكرنا فيما تقدم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام خلاط وأعمالها واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاور بلادهم وما كانوا يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من أموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون معهم في هذه البلاد تحت الذل والخزي كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على ما شاؤا من الاموال فكنا كلما سمعنا بشئ من ذلك سألنا الله تعالى نحن والمسلمون في ان ييسر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم ويأخذ بثارهم فان أوزبك صاحب اذربيجان منعكف على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان أفاق فهو مشغول بالقمار بالبيض وهذا ما لم يسمع ان أحدا من الملوك فعله لا يهتدى لمصلحة ولا يغضب لنفسه بحيث ان بلاده مأخوذة وعساكره طامعة ورعيته قد قهرها وقد كان كل من أراد ان يجمع جمعا ويتغلب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بغدى وايبك الشامى وايغان طائيسى فنظر الله تعالى الى أهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة فرحمهم ويسر لهم جلال الدين هذا ففعل بالكرج ما تراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم فنقول في هذه السنة كان المصاف بين جلال الدين وبين الكرج في شهر شعبان فان جلال الدين من حين قصد الى هذه النواحى لا يزال يقول انى أريد أقصد بلاد الكرج وأقاتلهم وأملك بلادهم فلما ملك اذربيجان ارسل اليهم يؤذنهم فاجابوه باننا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو أعظم منك ملكا وأكثر عسكرا وأقوى نفسا ما تعلمه وأخذوا بلادكم فلم نبال بهم وكان قصاراهم السلامة منا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين الف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دوين وهى للكرج كانوا قد أخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه اشد قتال وأعظمه وصبر كل منهم لصاحبه فانهزم الكرج وأمر ان يقتلوا بكل طريق ولا يبقوا على أحد منهم فالذى تحققناه انه قتل منهم عشرون ألفا وقيل أكثر من ذلك فقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا وأسر كثير من اعيانهم من جملتهم شلوة فتمت الهزيمة عليهم ومضى ايوانى منهزما وهو المقدم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انما الملك امراة ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة فلما انهزم ايوانى أدركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى فيها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول وفرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد فلولا ما اتاه من تبريز مما اوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة لان اهلها كانوا قد هلكوا وهم بين قتيل واسير وطريد

(ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة اوزبك)

لما فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبث العساكر فيها امرهم بالمقام بها مع اخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انه كان قد خلف وزيره شرف الملك في تبريز ليحفظ البلد وينظر في مصالح الرعية فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائى وهو المقدم على كل

حاله في الظلم الذى ضرسه بجريره * ومعسه معس المماح غارب بعيره * وموطئا لسانه فراش التقية طاعة لله تعالى في لزوم الاحترام * وصيانة للعرض من وشوم المذام * الى ان حشرت مطالبة العمال أباه الى مثواه * من باب ولى نعمته ومولاه * فكم ضرع اليه فاتقح * وخشع فانجبح * وتلطف فما أقصر * واستعطف فما سمع ولا أبصر * حتى اذا عارضه الرذ بحجابه * وكلمه البأس من وراء نقابه * باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق * وصب عليه جرعا من أكواب تلك الاباريق * وأشعره ان صنيعته لم تجم منه الا جاحدا لاياديه * مخافتا بمساويه * مواليا لاعاديه * مخالما لكريه الحفاظ في مواليه * ببراهين كما سطع الصباح السافر * أو متع

من أهل البلد من عرفها من المقدمين أنهم قد اجتمعوا واتفقوا على الامتناع على جلال الدين
وإعادة البلد إلى أوزبك وقالوا إن جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام
وعجز أوزبك والكرج ويقصدونه فيحصل لكم أمره ويتم عليه الهزيمة فتعود أمورهم على أن
جلال الدين سير الهوستيا إلى بلاد الكرج ومن سبق الطريق احتياطا لهم فلما اجتمعوا على
ذلك أتى الخبر إلى الوزير فأرسل إلى جلال الدين يعرفه الحال فأتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج
فلم يظهر من ذلك شيئا وسار نحو الكرج وعند المقيم وهزمهم فلما فرغ منهم قال للأمراء العسكر
إني قد بلغني من الخبر كذا وكذا يفعلون أنتم في البلاد على ما أنتم عليه من قتال من تقربونه
ونصر بما أمكنكم من بلادهم فإني حيث أن أمركم فصل هزيمة الكرج لئلا يطمعكم
وهن وخوف فأقاموا إلى حالهم وعاد هو إلى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما فأما
الرئيس فأمر أن يطاف به على أهل البلد وكل من له عليه مظلمة فليأخذ حقه منه وكان ظالما يظلم
الناس فلما فعل به ذلك قتله وأما الباقون فحبسوا فلما فرغ منهم واستقام له أمر البلد تزوج زوجة
أوزبك ابنة السلطان طغرل وأفتى بصحة نكاحها لأنه سمع أن أوزبك حلف بطلاقها أنه
لا يقتل غلاما اسمه   ثم قتله فلما وقع الطلاق قبض ذا اليمين فتزوجها جلال الدين وأقام
بتبريز مدة وسير منها جيشا إلى مدينة كنجة فملكوها وفارقها أوزبك إلى قلعة كنجة فتحصن
فيها فبلغه أن عسكر جلال الدين تعرضوا إلى أعمال هذه القلعة التي هو فيها والأجناد فأرسل
أوزبك إلى جلال الدين يشكو ويقول كتب لا أرضى بذلك الحال لبعض أصحابي فأنا أسأل أن
يكف الأيدي المتطرقة إلى هذه الأعمال عنها فأرسل جلال الدين إليها من يمنع من التعرض
لها من أصحابه وغيرهم

• (ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله) •

في هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن
المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي
العباس محمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي
جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن
المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن الموفق
خليفة وإنما كان ولي عهد أخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد ولي
عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هرون الرشيد بن
محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنهم

نسب كأن عليه من شمس الضحى • نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكان في آبائه أربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان فيهم من ولي
العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل وأما باقي الخلفاء من بني العباس فلم يكونوا من آبائه
فكان السفاح أبو العباس عبد الله أخا المنصور ولي قبله وكان موسى أخا الرشيد ولي قبله وكان
محمد الأمين وعبد الله المأمون ابنا الرشيد أخوي المعتصم وليا قبله وكان محمد المنتصر بن المتوكل

ولي

التيار الطامي • مفترطه
نسائم الأقوال • مسمه
مصانع الأفعال • فلولا كرم
عفى ملائه • وهي على
سكوناته • فارجعه رجم
العفريت • ونصر ما التعط
والكوكب • لكن رأى
أن يهم عليه طرفي ساطه •
ويستبق محتوم سره بين
حرمه ورباطه • تقدما
لسابقه المسبب • وقربه
إلى ما وراءه من الأجل
القريب • وإنا تأنى جمع
أو تطوى وروى واحرع
تناهى الأ ما ذكر
سبق معاليه احداثه ولومه
مكتسب وصلة ميراث •
والمتسامع أهل مله ماركد
من زمنه • وظهر من زعزعة
مرجعه • بادروا إلى
معقل التلافي فارجعين
كانفس في المتوسات
الإعداد وجهور فيه السعب
جميع البلاد • واحلقوا إلى
القائم من قائل هيكت

ولى بعدثم ولى بعـد المنتصر بالله المستعين بالله أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم وولى بعـد
المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل وولى بعد المعتز المهتدى بالله محمد بن الواثق
ثم ولى بعده المعتمد على الله أحمد بن المتوكل فالمنتصر والمعتز والمعتمد اخوة الموفق والمهتدى ابن
عمه والموفق من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى المعتضد بعـد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه أبو
محمـد على المكتفى بالله وهو أخو المقتدر بالله وولى بعـد المقتدر أخوه القاهر بالله أبو منصور
محمد بن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله أبو العباس محمد بن المقتدر ثم ولى بعـده المتقى لله
أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر ثم ولى بعده المكتفى بالله أبو القاسم عبـد الله بن المكتفى بالله على
ابن المعتضد ثم ولى بعده المطيع لله أبو بكر عبد الكريم فالقاهر أخو المقتدر والراضى والمتقى
والمطيع بنوه والمستكفى ابن أخيه المكتفى ثم ولى الطائع لله بن المقتدر ثم ولى بعد الطائع
القادر بالله وهو من اجـداد الناصر لدين الله ثم ولى بعـده المستظهر بالله ثم ولى بعـده ابنه
المسترشد بالله أبو منصور وولى بعد المسترشد بالله ابنه الراشد أبو جعفر فالمسترشد أخو المقتفى
والراشد ابن أخيه فجميع من ولى الخلافة ممن ليس فى سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة
وكانت أم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد وكانت خـلافته ستا وأربعين سـنة وعشرة أشهر
وثمانية وعشرين يوما وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبا فلم يل الخلافة أطول مدة منه الا ما قيل
عن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر فانه ولى ستين سنة ولا اعتبار به فانه ولى وله سبع سنين
فلا تصح ولايته وبقى الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى
عينيه والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا وفى آخر الامر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات
ووزر له عدة وزراء وقد تقدم ذكرهم ولم يطلق فى طول مرضه شيأ كان أحدثه من الرسوم
الجائرة وكان قبيح السيرة فى رعيته ظالما فخرب فى ايامه العراق وتفرق أهله فى البلاد وأخـذ
أملاكهم وأموالهـم وكان يفعل الشئ وضده فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر
الناس عليها فى رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عـمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مـدة ثم
أبطلها وأطلق بعض المكوس التى جـددها ببغداد خاصة ثم أعادها وجعل جل هـمه فى رمى
البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة فى البلاد جميعها الا من يلبس
منه سراويل يدعى اليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك أيضا منع الطيور
المناسيب لغيره الا ما يؤخـذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق الا من ينتمى اليـه فاجابه الناس
بالعراق وغـيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت من بغـداد فانه هرب من العراق
ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه فى المال الجزيل ليرمى عنه وينسب فى الرمى اليه فلم يفعل فبلغنى
ان بعض أصدقائه أنكر عليه الامتناع من أخذ المال فقال يكفينى فخرا انه ليس فى الدنيا أحد
الا يرمى للخليفة الا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من أعجب الامور وكان سبب ما ينسبه
العجم اليـه صحيحا من أنه هو الذى أطمع التتر فى البلاد وراسلهـم فى ذلك فهو الطامة الكبرى
التى يصغر عندها كل ذنب عظيم

(ذكر خلافة الظاهر بامر الله)

قد ذكرنا سـنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير أبى نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله

حرمته * وآخر انتهكت
نعمته * وثالث انتهبت ثلته *
ورابع طالت عليه طلته *
وخامس قتيل على التعصب
اخوه وابوه * وسادس
خدشت على المعروف بشرته
وفض فوه * فنهم من وصل
قصده بالانصاف * ومنهـم
من حـدر فشق على يأس
الانصراف * فرأى شمس
الكفاة ان يسلك به شعب
الجاملة فطم بصرفه على
نبائث مساويه * وصد عن
مسامع السلطان خبائث
أفعاله ودواهيه * وأصم
صدى المتظلم عن شريف
ناديه * فعاد المذكور ورامه
مخذولا مفلولا * وأراد الله
أن يقضى فيه أمرا كان
مفعولا * ولما رأى أن قد
ضحت عليه أفعاله *
وضحكت منه حيله وادغاله *
وان الالسن قد مضغته
حين أطاع عبدا مملوكا له فى
معصية خالقه * ووصل شهوة

بولاية العهد في العراق وغيره من البلاد فهو مثبت في خطبة المغرب والشام ووالده والعهد بولاية العهد الى البلاد في قطع الخطبة وانما فعل ذلك لانه كان يميل الى ولده الصغير علي فاتفق ان توفي الولد الصغير في سنة اثنتي عشرة وستمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولي العهد فاضطر الى اعادته الا انه بقي في الاحتياط والحجر لا يتصرف في شيء فلما توفي ابوه ولي الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وله ستة لقب الظاهر بامر الله وعمى ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فقلده وولي الخلافة بامر الله لا بشيء من احد ولما ولي الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه اعاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه وقبله شيئا كثيرا واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم في جميع العراق وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار فلما ولي الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا ان املاكهم اخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يؤخذ الخراج الاول وهو عشرة آلاف دينار فقيل له ان هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين يكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما ظنك بباقي البلاد ومن افعاله الجميلة انه امر بان يؤخذ الخراج الاول من باقي البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا ان الاملاك التي كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاول لا يفي دخل الباقي بالخراج فامر ان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة واما الخاربة فلا يؤخذ منها شيء وهذا اعظم جدا ومن ذلك ايضا ان المخزن كانت صنجته الذهب راجحة على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطه الى الوزير واوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم فقد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النواب اليه يقول ان هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انه ثلاثمائة الف وخمسون الف دينار يطلق وكذلك ايضا فعل في اطلاق زيادة الصنجة التي للديوان وهي في كل دينار حبة وتقدم الى القاضي ان كل من عرض عليه كتابا صحيحا بملك يعيده اليه من غير اذن واقام رجلا صالحا في ولاية الحشري وبيت المال وكان الرجل حنبليا فقال انني من مذهبي ان اورث ذوي الارحام فان اذن امير المؤمنين ان افعل ذلك وليت والا فلا فقال له اعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ومنها ان العادة كانت ببغداد ان الحارس بكل درب يبكر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما تجدد في دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على نزهة او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا في حجر عظيم فلما ولي هذا الخليفة جزاه الله خيرا اتته المطالعات على العادة فامر بقطعها وقال اي غرض لنا في معرفة احوال الناس في بيوتهم فلا يكتب احد الينا الا ما يتعلق بمصالح دولتنا فقيل له ان العامة تفسد بذلك

العرور في كتبه وله وجمر الطلال منه • صراب آخره • ونبه ونوب النائر المرتبه والناس للمعونه رجع منه ماحلا على القوق • وبعاس من الاستقلال دسلمه الى السوق ويرى ان ملمه بذلك صعبه منه الالامه • وعيه مال الالسنة الناسه بماسر بماطله من مداه • وبرجع عليه منه ما اسره من عاحه امنات • ورزاحما اصطاه • بعدان عرامو اصطاه • ويطيمه للسماط • ممات بلطوط الواط • مستدلا منه رده طال ما امتنعها بعمره • وكتبها مارسه • ودلها بعيه وابوبه • ومن عليها احد والديه • ... والله هو الجود الاماني ... حاتم العرب • وروى من ... سادات بني عبد المطلب • ... القمس نعى بالتعسه ... سيره • وحمايا من تابع

ويعظم شرها فقال نحن ندعو الله في أن يصلحهم ومنها انه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها أيام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة ألف دينار وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ويستخرج الامر في حمله فاعاد الجواب بأن يعاد الى أربابه فلا حاجة لنا اليه فاعيد عليهم ومنها انه أخرج كل من كان في السجون وأمر باعادة ما اخذ منهم وارسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال ومن حسن نيته للناس ان الاسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كل من اراد البيع الغلة لتحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر قد غلا شيأ والمصلحة منع حمله فقال أولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون وكما يجب علينا النظر في امر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر لاولئك وامر ان يباع من الاهراء التي له طعام ارخص مما يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضا اكثر مما كانت اولا وكان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار وثلثي قيراط فصار كل اربعة مكاكيك بدينار في ايام قليلة وكذلك باقي الاشياء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه فانه غريب في هذا الزمان الفاسد ولقد سمعت عنه كلمة اعجبتني جدا وهي انه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الاموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال انا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل الخير فكم اعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرق في العلماء واهل الدين مائة ألف دينار

(ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور)

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من اعمال الموصل وقد تقدم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلما عادوا الى بدر الدين أحسن اليهم وأعطاهم الاقطاع الكثير وملكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية فبقوا كذلك مدة يسيرة ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ومظفر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازي بن العادل لما كان بخلاط ويعدون كلا منهم بالانحياز اليه والطاعة له وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكنون ان يقيم عندهم من أصحاب بدر الدين الا من يريدونه ويمنعون من كرهوه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الا طمعا وخروجا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوي بعضهم وهم أولاد خواجه ابراهيم وأخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم عن القلعة وغلبوا عليها وأصروا على ما كانوا عليه من النفاق فلما كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم في عساكره فاتاهم بغتة فحصرهم وضيق عليهم وقطع الميرة عنهم وأقام بنفسه عليهم وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهي من أمنع الحصون وأحصنها لا يوجد مثلها وكان أهلها أيضا قد سلكوا طريق أهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم في قلة من الذخيرة فحصروها أياما ففني ما في القلعة فاضطر أهلها الى التسليم فسلموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العمادية فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد أخذ هرور يسيرا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع

الاحقاب كنزا وذخيرة * انه وذات الاستار يطن مكة لارذل من والغ في جيفة مقلوب * وأنذل من طامع في شريطة مصلوب * ان كان ما أتاه انتقاما فهلا ذلك والولدي * وفي الدمن ملك الخمار شئ * آلآن وقد سبق السيف العذل * وقد فعل القضاء ما فعل * أوردا وقد نضب الماء * وشيما وقد أصحت السماء * وغيرة وقد سقط الجدار * وسترة وقد ظهر الشوار * هيهات هيهات لظن حائل * ورأي فائل * وطل زائل * وورد سائل * أيتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا * واحتمال مقترض لذنه * ومقتصر شهوته * للانقطاع

ما نسبه امين الدين لولو بين الحصار الى اول ذى القعدة فاهملوا يحصرون الطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلموها فاستقرت القواعد على العوض من قلعة يعوض عنها او اقطاع ومال ووعر ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوابهم ليتسلموا بدر الدين فيتسلمون بدر الدين فحفظهم وقد احصر من يشهد اليمين اذ قد وصل طائر من العمادية وعلى جناحه رقعة من امين الدين لولو يخبره فيها بملك العمادية وكيف كان ذلك وامر من حواجبه الذين كانوا العلموا عليه فاسمع بدر الدين من الخبر ما لبس عليه امين الدين عليها امانه كل قد ولا مدر الدين عليها الماعدا ما لها الى الطاعة من فيها فقد ملكه فاحسن اليهم واحسن السيد فيهم واستمال جماعة منهم لسعى من هم على الحرب الذين حضروا الولاية الحر اليهم فاستوا اعتاريه واستمالوا من ولاه عليهم معارفهم الى الموصل وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلما حصرهم كانوا ايضا يكاتبونه فى الباب يعرفونه بكل ما يفعله اولاد خواجه من اعاد رسول وغير ذلك وعاهدهم من العساكر الا انهم لم يكونوا فى الكثرة الى انهم يعرفون اولئك فلما كان الآن وقد استقرت القواعد من التسليم لم يذكروا اولاد خواجه احدا ممن حمد العلعه فى نسخة اليمين بمال ولا غيره من امان واقطاع فخطروا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لا تمسكنا بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربنا بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا ما هاونوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه ان يرسل اليهم من يصعد ومعهم الى القلعة ويسلمون ما اولئك ويأخذونهم فاسمع وقال اخاف ان لا يتم هذا الامر ويفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نصعد عليهم غدا بكرة ويكون ابتداء العسكر على ظهر فاذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاطعمهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة واما اولئك فانهم اجتمعوا وقصدوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فسمعها العسكر فقاموا اذا العوض من القلعة فاسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وسلم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة فصاروا يعطون عوض وكان يريد ان يعوض ما لا جليلا واقطاعا كثيرة وحصل ما اسفر من الجميع عليه واخذهم كل ما احضروه وادعوه واذا اراد امرا هيأ اسبابه

الى بعض كبرا الامراء سله وآراه ٭ واتترعه من قسم مولاه ٭ مراغه كونه سار اصحابه ٭ وسونه على سوار بخومه واصحابه ٭ ولا حمم ولا كريب ٭ ولا ولى ولا حبيب ٭ ولا والد ولا مولود ٭ ولا عاد ولا معود ٭ واما السرح وطريقه ٭ والدين وتصفه ٭ فليلائمه ٭ ان فى وضوح هذه الدلائل على سوء احكامها ٭ وبقه احلامها لمعهدون شرح الحال وتفسيرها ٭ وتبلغ لسان المقال وتصيبها ٭ صيران التعرف الى الرسول المصطفى ٭ الانبى المتقى ٭ صلى الله عليه وعلى آله ٭ من اذكرها القابس عاقبه ٭ بتقوى التنبه على شارية ٭ فلتصلحها نكره وحساباه ٭ ولسكلا الاصلاح سرورا له

٭(ذكر عدة حوادث)٭

فى هذه السنة ليلة الاحد والعشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة وفيها اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير وغيرها من الكلاب والسنانير بعد ان كانوا كثيرا ولقد دخلت يوما الى دارى فرأيت الجوارى يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانير استكثرتها فعددتها فكانت اثنى عشر سنورا ورأيت اللحم فى هذا الغلاء فى الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس من المرتين كثير وعلا مع الطعام كل شئ فبيع الرطل السرج بمصر اطنش بعد ان كان نصف قيراط قبل الغلاء واما قبل ذلك فكان كل سبعين رطلا بدينار ومن الصناف السلق والمرد والسلجم يبيع كل خمسة ارطال بدرهم ويبيع البنفسج كل ستة ارطال بدرهم ويبيع فى بعض الاوقات كل سبعة ارطال بدرهم وهذا اما لم يسمع بمثله ولعدنا ما بالحر ولا سمعنا عنه فان الغنا

مارات قديما وحديثا اذاغات الاسعار حتى جاء المطر رخصت الاسعار وفي هذه السنة كانت الامطار مارات متتابعة من اول الشتاء الى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا ما لم يسمع بمثله فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة واربعين رطلا دقيقا بالبغدادي وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك باثني عشر درهما فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة ارطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط ومن عجيب ما يحكى ان السكر النادر الاسمر كان كل رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين فصار السكر الاسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربع وسببه ان الامراض لما كثرت واشتد الوباء قال النساء هذه الامراض باردة والسكر الاسمر حار فينفع منها والابلوج بارد يقويها وتبعهن الاطباء استمالة القلوب لهن وبلهلهن فعلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط ومارات الاشياء هكذا الى اول الصيف واشتد الوباء وكثر الموت والمرض في الناس وكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى فممن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي خطيب الموصل وكان من صالحي المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاج العراق وهو حسام الدين ابو فراس الحلي الكردي الوراي وهو ابن اخي الشيخ ورام كان عمه من صالحي المسلمين وخيارهم من اهل الحلة السيفية فارق الحاج بين مكة والمدينة وسار الى مصر حكى لي بعض اصدقائه انه انما حمله على الهرب كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من الخليفة ولما فارق الحاج خافوا خوفا شديدا من العرب فامن الله خوفهم ولم يرعهم ذاعر في جميع الطريق ووصلوا آمنين الا ان كثيرا من الجمال هلك أصابها غدة عظيمة لم يسلم الا القليل وفيها في آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتى جرت الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر انه كان عندهم مثله ولم يصل الينا أحد الا وأخبران المطر كان عندهم في ذلك التاريخ وفيها كان في الشتاء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعت أنه نزل في جميع العراق حتى في البصرة اما الى واسط فلا شك فيه وأما البصرة فان الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها وفيها خربت قلعة الزعفران من أعمال الموصل وهي حصن مشهور يعرف قديما بدير الزعفران وهو على جبل عال قريب من فرشابور وفيها أيضا خربت القلعة الجديدة من بلد الهكارية من أعمال الموصل أيضا وأضيف عملها وقراها الى العمادية وفيها في ذي الحجة سار جلال الدين بن خوارزمشاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدا الاخذ بلادهم واستئصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انه فعل بهم شيأ ونحن نذكر ما فعل بهم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ان شاء الله وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد الماء بردا شديدا وقوي البرد حتى مات به جماعة من الفقراء وفيها في ربيع الاول زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الاولة ثم نقص الماء واستبشر الناس

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة)

(ذكر ملك جلال الدين تفليس)

لبعض الافاضل أبي جاورته على البرد قريبا من سنتين ولا والله ان تضيقت الاحداق به في المسجد الجامع الا يوما واحدا كبيضة العقر * أو كقضة البكر * فما أدري أخطأت به خطاه * أم الجاه عذر تخوف عقباه * وتجاذبنا حديث الصلاة فقال عمار سا وما صدقت الا مازح أو سكران فقام بعضهم وهو يسعى يوم جمعة للفرض وقد نودي للصلاة فقال له صاحبه مكانك ان أربعة من خير

في هذه السنة في ربيع الأول فتح جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة تفليس من الكرج
وسبب ذلك أنا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه
وعوده إلى تبريز بسبب الخلف الواقع فلما استقر الأمر في أذربيجان عاد إلى بلد الكرج في
ذي القعدة من السنة وهي سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودخل هذه السنة فقصد بلادهم
وقد عادوا وحشدوا وجمعوا من الأمم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا في
جمع كثير لا يحصى فطمعوا بذلك ومنتهم أنفسهم الأباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم
الشيطان إلا غرورا فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا فولى الكرج
منهزمين لا يلوي الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده وكل منهم قد أهمته نفسه وأخذتهم سيوف
المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم إلا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به وأمر جلال الدين عسكره أن
لا يبقوا على أحد وأن يقتلوا من وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم وأشار عليه أصحابه بقصد
تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا إلى أن نقتل رجالنا تحت الأسوار إنما إذا أفنيت الكرج
أخذت البلاد صفوا عفوا ولم يزل العساكر تتبعهم وتستقصي في طلبهم إلى أن كادوا يفنونهم
فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار في بعض الأيام في طائفة من العسكر وأخفى الباقي
إليها ليبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلما قاربها كمن أكثر العسكر الذي معه في
عدة مواضع ثم تقدم إليها في نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه
لقلة من معه ولم يعلموا أن معه غيره فظهروا إليه فقاتلوه فتأخر عنهم فقوي طمعهم وظنوه منهزما
فتبعوه فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل أكثرهم وانهزم الباقون
إلى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا إليها نادى المسلمون من أهلها بشعار الإسلام
وباسم جلال الدين فألقى الكرج بأيديهم واستسلموا لأنهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات
التي ذكرناها فقل عددهم وملئت قلوبهم خوفا ورعبا فملك المسلمون البلد عنوة وقهرا بغير أمان
وقتل كل من فيه من الكرج ولم يبق على كبير ولا صغير إلا من أذعن بالإسلام وأقر بكلمتي
الشهادة فإنهم أبقى عليهم وأمرهم فختنوا وتركهم ونهب المسلمون الأموال وسبوا النساء
واسترقوا الأولاد ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره وهذه تفليس من
أحصن البلاد وأمنعها وهي على جانبي نهر الكر وهو نهر كبير ولقد جل هذا الفتح وعظم موقعه
في بلاد الإسلام وعند المسلمين فإن الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما أرادوا فكانوا
يقصدون أي بلاد أذربيجان أرادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا
أرزن الروم حتى إن صاحبها السر حلف تقلبا للكرج ووضع على رأسه علامة في أعلاه صليب
وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج وخوفا منهم ليدفع الشر عنه وقد تقدمت القصة
وهكذا دربند شروان وعظم أمرهم إلى حد أن ركن الدين بن قلج أرسلان صاحب قونية وأقصرا
وملطية وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكر وحشد فيها فأكثر وقصد
أرزن الروم وهي لأخيه طغرلشاه بن قلج أرسلان فأتاه الكرج وهزموه وفعلوا به وبعسكره
كل عظيم وكان أهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة وأما أرمينية فإن الكرج دخلوا
دبيل وأرجيش وملكوا قرس وغيرها وحصروا خلاط فلولا أن الله سبحانه وتعالى منّ على المسلمين بأسر

السيف طمعا من النصر من
جمل السور وقد كان من
طريق التنور مسالح
فسار بل على وجه السطح
ولكن من هذا البلد وترك
الصلاة سبيله فلا بعد
بعاده ولا قرب كما نفسه
العادة فعاله عبر النفس
بالإبعاد وتلقى أوامر
الشرع بالعناد وأقل
قول العلام الواصف
مولاه لم يعرف الستم
وطلس في الإعراب ويصلي
من قعود ويلتمس قيام
يمشي إلى صورة ساله

ابوابي مقدم عساكر الكرج الملكوها فاشطر أهلها الى ان بنوا لهم بيعة في القلعة يضرب فيها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من أعظم الثغور ضررا على المجاورين من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من أول الاسلام الى الآن ولم يقدم أحد عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فان الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهو من أعظم السلاطين منزلة وأوسعهم مملكة وأكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها مع سعة بلاده فانه كان له الري وأعمالها وبلد الجبل وأصفهان وفارس وخوزستان والعراق وأذربيجان واران وارمينية وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان وما وراء النهر فكان أكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار اليهم بعد أن ملكوها فلم يقدر عليهم ثم ملك بعده أخوه السلطان مسعود كذلك وملك الدكز بلد الجبل والري وأذربيجان واران وأطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه أن يتخلص منهم ثم ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد في أيام أولئك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدثوا أنفسهم بالظفر بهم ولا حتى جاء هذا السلطان والبلاد خراب قد أضعفها الكرج أولا ثم استأصلها التتر لعنهم الله على ما ذكرناه فعل بهم هذه الافاعيل فسبحان من اذا أراد أمرا قال له كن فيكون

(ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل قاصدا اليها وكان السبب في ذلك انه استقرت القاعدة بينه وبين جلال الدين بن خوارزمشاه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التي بيد الاشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم نصيب ذكره واستقرت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفر الدين الى الموصل وأما جلال الدين فانه سار من تفليس يريد خلاط فأتاه الخبر ان نائبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على ما نذكره فلما أتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها الا ان عسكره نهب بعض بلدها وخربوا كثيرا منه وسار مجدا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الا ان مظفر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد أرسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقة يستنجده ويطلب منه ان يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين فسار منها الى حران ومن حران الى دنيسر فخرب بلد ماردين وأهلكه تخريبا ونهبا وأما المعظم صاحب دمشق فانه قصد بلد حمص وحماة وأرسل الى اخيه الاشرف يقول ان رحلت عن ماردين وحلب وأنا عن حمص وحماة وارسلت الى مظفر الدين ليرجع عن بلد الموصل فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كل منهم الى بلده وخربت اعمال الموصل واعمال ماردين بهذه الحركة فانها كانت قد اجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته وجلاء اكثر أهلها فأتتها هذه الحادثة فازدادت خرابا

(ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها)

ويأوي الى مقصورة خبثه
وضلاله * بخل أحواله
عيوب * ومعظم أفعاله
ذنوب
يصلي فيخفض أركانه
ويشي فينصب سيقانه
يخاطب بالكاف اخوانه
ويشتم بالزاي غلمانه
ويكفت للشر أكمامه
ويسحب للاثم أردانه
ومن نادرة البلد* اعتقاده
الاعتزال على وعيد الابد*
ثم لا يبقى محظورا ومحجورا
ولا يستبقي عملا موزورا
*ومنكرا من القول وزورا

في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الخبر إلى جلال الدين أن نائبه بكرمان وهو أمير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلاد أن يملكها ويستبد بها عن جلال الدين بها واستمال جماعة كثيرة من الكرج وغيرهم وأنه أرسل إلى التتر يعرفهم قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وإن أخذ الباقي ضعفت مملكته وكثر عساكره وسار إليكم وأخذ ما بأيديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار يريد خلاط فتركها وسار إلى كرمان يطوي المراحل وأرسل بين يديه رسولا إلى صاحب كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأمنه وهو فيه يحتاط ولا يستعد للامتناع عليه فلما وصل الرسول علم أنه مكيدة لعلمه بما تقدم من عادته فأخذ ما يعز عليه وصعد إلى قلعة منيعة فتحصن بها وجعل من يثق به من أصحابه في الحصون يحفظها وأرسل إلى جلال الدين يقول إنني أنا العبد المملوك ولما سمعت بمسيرك إلى هذه البلاد أخليتها لك لأنها بلادك ولو علمت أنك تبقي علي ما صبرت نائبك ولكني أخاف هذا جميعه والرسول يحلف له أن جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت إلى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين أنه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لأنه يحتاج أن يحصرها مدة طويلة فوقف بالقرب من أصفهان وأرسل إليه الخلع وأقره على ولايته فبينما الرسل تتردد إذ وصل رسول من وزير جلال الدين إليه من تفليس يعرفه أن عسكر الملك الأشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره وأوقعوا بهم وحثه على العود إلى تفليس فعاد إليها مسرعا

•(ذكر الحرب بين عسكر الأشرف وعسكر جلال الدين)•

لما سار جلال الدين إلى كرمان ترك عند سيره بتفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك فطال عليهم المقام وساروا إلى أعمال أرزن الروم ووصلوا إليها ونهبوها وسبوا النساء وأخذوا من الغنائم شيئا كثيرا لا يحصر وعادوا فكان طريقهم في أطراف ولاية خلاط فسمع النائب عن الأشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين علي الموصلي فجمع العسكر وسار إليهم فأوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيرا مما معهم وعادوا ومن كان سلم فلما اتصل ذلك بوزير جلال الدين بهم فأرسل إلى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ويحثه على الوصول إليه ويعرفه عاقبة التواني والإهمال فرجع فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى

•(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله)•

في هذه السنة في الرابع عشر من رجب توفي الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله وقد تقدم نسبه عند وفاة أبيه رضي الله عنهما فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والإحسان إلى رعيته وقد تقدم عند ذكر ولايته الخلافة من أفعاله ما فيه كفاية ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والإحسان إلى الرعية فرضي الله عنه وأرضاه وأحسن منقلبه ومثواه فلقد جدد من العدل ما كان دارسا وأذكر من الإحسان ما كان منسيا وكان قبل وفاته أخرج توقيعا إلى الوزير بخطه على أرباب الدولة وقال الرسول أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ مثال ثم لا يتبين له أثر بل أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال فعبر وعاد إلى أوله بعد التسمية اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالا

هاهو طمع ... في مال
وحمل كان انقطع إليه
بكرمان بأمان بأمره
ورسالة كتبه بعض الأعيان
مثلي فلله تمكن كان
بأمله ووسع ورفع
حاله الفرصة ولعله
أسعد الأمير الأجل أبي
... مسعود بن ... الدولة
وأمد الله عليه ونصر
الأمر في معنى الاتصاف
إليه فتمسك بالأمر
الأعلى والسند الوردي
على ما مضى كتبه وما كان
عليه في مدونة أمر الكاتب

ولا

ولا أغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكا لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب أسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في ارضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفي وجدوا في بيت في داره الوف رقاع كلها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ولم ازل علم الله سبحانه مدولي الخلافة اخاف عليه قصر المدة لخبث الزمان وفساد اهله واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفني ان تقصر مدة خلافته لان زماننا واهله لا يستحقون خلافته فكان كذلك

(ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله)

لما توفي الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وسلك في الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضي الله عنه وامر فنودي ببغداد بافاضة العدل وان من كان له حاجة أو مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف مظلمته فلما كان اول جمعة اتت على خلافته أراد ان يصلي الجمعة في المقصورة التي كان يصلي فيها الخلفاء فقيل له ان المطبق الذي يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه فركب فرسا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ولم يترك أحدا يمشي معه من اصحابه بالصلاة الى الموضع الذي كان يصلي فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلى وعاد وكذلك الجمعة الثانية حتى اصلح له المطبق وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضي الله عنه فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا فامر أن تباع الغلات التي له كل كارة بثلاثة عشر قيراطا فرخصت الاسعار واستقامت الامور

(ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد)

في هذه السنة في شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وغيرهما على خلاف الاشرف فلما راى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهي له ونزل عندها وسير العساكر الى ولاية صاحب آمد ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد وغيرها فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الاشرف وعاد الى موافقته فأرسل الاشرف الى كيقباذ يعرفه ذلك ويقول له ليعيد الى صاحب آمد ما اخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نائبا للاشرف

الى في تعرف الحال * وتجنب جانب الاحتيال * والانتداب لاعداء الشاكي على خصمه * وايفائه حكم الله في أمره * فلما أحس أخو دولة الخيانة ان حبله قد قال * وظنه استحال * وسعيه الى الثبور قد مال منع شهود الزور أن يصدعوا بالحق فيما بدلوا من خطوطهم ترغيبا * وترهيبا * فرضوا القول * وادعوا على مسئلتهم العول * ومال المزور والمزور الى التوسط عن ارش المستباح دمها على مائتي

بأمر في ويهالي فاتفق ان الاشرف سار الى دمشق ليصلح أخاه الملك المعظم وأمر العساكر التي له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان أصر ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ورسل اليه ملك الروم يطلب الصلح فلم يجب وسار الى عسكر ملك الروم وهم محاصرون قلعة الكختا فالتقوا هناك في شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه من العساكر هزيمة قبيحة وجرح كثير وأسر كثير وعاد العسكر يحاصر قلعة الكختا بعد الهزيمة وهي من أمنع الحصون والمعاقل فملكوها وعادوا الى صاحبهم

(ذكر حصر جلال الدين مدينتي آني وقرس)

في هذه السنة في رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آني وهي للكرج وبها ايواني مقدم عساكر الكرج فيمن بقي معه من أعيان الكرج فحصرهم وسير طائفة من العسكر الى مدينة قرس وهي للكرج أيضاً وكلاهما من أحصن البلاد وأمنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجد في القتال عليهما وحفظهما الكرج وبالغوا في الحفظ والاحتياط لخوفهم منه أن يفعل بهم ما فعل بأصحابهم من أهل مدينة تفليس وأقام عليهما الى أن مضى بعض شوال ثم رحل العسكر عنهما يحصرونهم وسار وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجداً الى بلاد أبخاز وهي بلاد الكرج فأوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرب البلاد وأحرقها وغنم عساكره فيها وعاد منها الى تفليس

(ذكر حصر جلال الدين خلاط)

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة آني الى تفليس ودخل بلاد أبخاز وكان رحيله مكيدة لانه بلغه ان النائب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حسام الدين علي بمدينة خلاط قد احتاط واهتم بالامر وحفظ البلد فعزم ان يعود الى تفليس ليطمئن أهل خلاط ويتركوا الاحتياط والاستظهار ثم يقصدهم بغتة فكانت غيبته ببلاد أبخاز عشرة أيام وعاد وسار مجداً على عادته فلولم يكن عسكره من بلاد نواب الاشرف الاخبار لقصدهم على حين غفلة منهم وانما كان عنده بعض ثقاته فعرفهم أخباره وكتب اليهم يحذرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة ثم رحل منها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين رابع عشره فلم ينزل حتى زحف اليها وقاتل أهلها قتالاً شديداً فوصل عسكره سور البلد وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم زحف اليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالاً عظيماً فعظمت نكاية العسكر في أهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذي له ومدوا أيديهم في النهب وسبي الحريم فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا وحرض بعضهم بعضاً فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فأخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير وأسر العسكر الخوارزمي من أمراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير وترجل الحاجب علي ووقف في نحر العدو وأبلى بلاء عظيماً ثم ان جلال الدين استراح عدة أيام وعاود الزحف مثل أول يوم فقاتلوه حتى أبعدوا عسكره عن البلد وكان أهل خلاط مجدين في القتال حريصين على المنع من أخذهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد وما بهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثم أقام عليها الى أن اشتد البرد ونزل شيء من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثاء

درهم قيمتها ... مائة
فإذا رأيته حياً وقفت أن
ديات الأمهات على هذه
المقادير • فما في الإسلام
له ذكر معلوم • ولا في
القدماء من كريم • ولا عند
أهل الكتاب أمر معلوم
ولا في ديار أهل الشرك
رسم مرسوم • ولا في فطر
النفوس أن يعدل عن
أمهاتها مقتوله بهذا
الوكس • والمن الصبي
ولا الماضي أو المورد لو
طلب ترمي عن واحد منها
عمله وكم قد قلت وأقول

السبع بقين من ذى الحجة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج مابلغه عن التركمان الايوانية من الفساد ببلاد

(ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوانية)

كان التركمان الايوانية قد تعدوا على مدينة اشتروأرمية من نواحى اذربيجان وأخذوا الخراج من أهل خوى ليكفوا عنهم واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعده بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تأتى الى خوارزمشاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بماهو أهم عنده وبلغ من طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز وأخذوا من تجار أهلها شيأ كثيرا ومن جملة ذلك انهم اشتروا غنما من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوانية قبل وصولهم الى تبريز فأخذوا جميع مامعهم ومن جملته عشرون ألف رأس غنم فلما اشتد ذلك على الناس وعظم الشر أرسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوابه فى البلاد اليه يستغيثون ويعرفونه ان البلاد قد خربها الايوانية وان لم يلحقها والا هلكت بالمرة فاتفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجد السير الى الايوانية وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلاط وظنوا انه لايفارقها ولولا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لايرتقى اليها الابمشقة وعناء فانهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الا والعساكر الجلالية قد أحاطت بهم وأخذهم السيف من كل جانب فأكثروا القتل فيهم والنهب والسبى واسترقوا الحريم والاولاد وأخذوا من عندهم مالا يدخل تحت الحصر فرأوا كثيرا من الامتعة التى أخذوها من التجار بحالها فى الشذوات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلوه وفصلوه فلما فرغ عاد الى تبريز

(ذكر الصلح بين المعظم والاشرف)

نبتدئ بذكر سبب الاختلاف فنقول لما توفى الملك العادل أبو بكر بن أيوب اتفق أولاده الملوك بعده اتفاقا حسنا وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر والملك المعظم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس وما يجاورهما من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج يحصرونها صادفه أخوه المعظم من الغد وقويت نفسه وثبت قدمه ولولا ذلك لكان الامر عظيما وقد ذكرنا ذلك مفصلا ثم انه عاد من مصر وسار الى أخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج ويحثه على مساعدة أخيه الكامل ولم يزل به حتى أخذه وسار الى مصر وأزالوا الفرنج عن الديار المصرية كما ذكرناه قبل فكان اتفاقهم سببا لحفظ بلاد الاسلام وسر الناس أجمعون بذلك فلما فارق الفرنج مصر وعاد كل من الملوك أولاد العادل الى بلده بقوا كذلك يسيرا ثم سار الاشرف الى أخيه الكامل بمصر فاجتاز بأخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه معه وأطال المقام بمصر فلاشك ان المعظم سار الى مدينة حماة وحصرها فأرسل اليه أخواه من مصر ورحلاه عنها كارها فازداد نفورا وقيل انه نقل اليه عنهما انهما اتفقا عليه والله أعلم بذلك ثم انضاف الى ذلك ان الخليفة الناصر لدين الله رضى الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكة من الاستهانة بأمير الحاج العراقى فأعرض

انها ليست دية تودية أو ذمه * بل هى دية نسمة مسلمه * قد حقن الله دمها الا باحدى ثلاث نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يستجيز الترخص فى هذه الاحكام الا المستخف بدين الاسلام * اما ان المحكوم عليه لم يلتزمها الا بقره قومت مائة وعشره * فقال المفجوع * المخدوع * تالله لارضيت بهذا الغبن ولاشربت الدم الحرام باللبن * وهم بالرحيل * فى أمر القتيل فاغتيل * فلم يدر

عنه ومن أخيه الاشرف لاتفاقهما وقطعه بهما وراسل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين
على مثل ما سار مثل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واجمعوا واتفقوا على من اسلك المعظم ولعظم
الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخويه ثم اتفق ظهور جلال الدين وكثر ملكه فاشتد
الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزمشاه ولايته خلاط وولاية المعظم ... وعم
عنه عسكر مصر ان تصل اليه وكذلك عسكر حلب وغيرها من الشام فرأى الاشرف ان
يسير الى اخيه المعظم ... فسار اليه ... وأطاعه فلما سمع الكامل بذلك ... عظم
عليه وقيل انه اتفق ما عليه ثم انه سار ... ولما سمع جلال الدين على خلاط ... الامر
عليه وقال ان هذه الحال تقتضي الاتفاق لعمار البيت العادلي واقتصر ... والاشرف
عنده والناس على مواضعهم ينتظرون ... ما يكون من الخوارزميين وسنذكر
ما يكون سنة اربع وعشرين وستمائة ان شاء الله تعالى

﴿ذكر اتفاق الفرنج والارمن﴾

في هذه السنة جمع الرجل الفرنجي صاحب انطاكية جموعا كثيرة وقصد الارمن الذين في
الدروب في بلاد ابن ليون فكان بينهم حروب ... ابن ليون الارمني صاحب
الدروب ... ولم يخلف ولدا ذكرا انما خلف بنتا فملكها الارمن عليهم ثم علموا ان الملك
لا يقوم بامرأة فتزوجها من ولد البرنس فتزوجها وانتقل الى بلادهم واستقر في الملك ... ثم
ندموا على ذلك وخافوا أن يستولي الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فسجنوه
وبصره فارسل ابوه ... فلم يطلقوه ... فارسل الى بابا الفرنج برومية
الكبرى يستأذنه في قصد بلادهم وهذا البابا برومية امره عند الفرنج لا يخالف فمنعهم وقال
انهم اهل ملتنا ... ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل الى علاء الدين كيقباد ملك قونية وملطية
وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدهم
فاتفقا على ذلك وجمع البرنس عسكره الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار
وقالوا ان البابا ... ومنعه ... الا انه اطاعهم ... فدخل اطراف
بلاد الارمن وهي ... فلم يمكنه من فعل ما يريد واما كيقباد فانه قصد بلاد
الارمن من جهته وهي ... فدخلها من جهة الشام ... اثنين وعشرين وستمائة
منها واحرقها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون ... فادعم الملك
الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية
وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية
وطرابلس اذا جاءهم عيد ... من عندهم فاذا ... عندهم دخل البلد ثم انه ارسل الى
ملك رومية يشكو الارمن ... فارسل الى الارمن يامرهم باطلاق ابنه
واعادته الى الملك فان فعلوا والا فقد اذن له في قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة ... ارسلوا
لجمع البرنس ولم يقصد بلاد الارمن فارسل الارمن الى الاتابك ... صاحب حلب يستنجدونه
ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانها صارت أعمال حلب فامدهم بعسكر ...
... البرنس ذلك ... على قصد بلادهم ... اليهم ... على ...

الا كتب السادات ... الملك
او التقطته الارض او
استطاعه السماء ... هما
من ... دهما ...
و ... عداه
و ... هدا ... الدين
السلم او العدل الحكيم
والامر القويم والسبب
المستقيم والمال ...
وراء الظلم ...
أدام الله عمر الناسخ ...
وبعد من هذه المقدمات
... كتاب الاخبار
تلك ... من ...
عبد الاسماء ...

فعادعنهم حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسألت غيره فعرف البعض وانكر البعض

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة انخسف القمر مرتين أولاهما ليلة رابع عشر صفر وفيها كانت أعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسمي الماء عين ميمون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف لانها تنفع من الامراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما وكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتلت كثيرا فلقد بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها (وحدثني) صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة بجميع الصيف ستين وقتل هذه السنة الى أول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل وأكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجئ شئ يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى فجاءت الغلات قليلة ثم خرج الجراد الكثير فازدادت الناس اذى وكانت الاسعار قد صلحت شيأ فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل أيضا في كثير من القرى برد كبير أهلك زروع أهلها وأفسدها واختلفت أقاويل الناس في كبره كان وزن بردة مائتي درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الا انه أهلك كثيرا من الحيوان وانقضت هذه السنة والغلاء باق واشتد بالموصل وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج أنثى فلما شقوا بطنها رأوا فيها امرين يقين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع ان الارنب يكون سنة ذكرا وسنة أنثى ولا نصدق بذلك فلما رأينا هذا علمنا انه قد حمل وهو أنثى وانقضت السنة وصار ذكرا فان كان كذلك فيكون في الارانب كالخنثى من بني آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فاني كنت بالجزيرة ولنا جارة لها بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيتها فكان لها فرج امرأة وذكر رجل وفيها ذبح انسان عندنا رأس غنم فوجد لحمه مرا شديد المرارة حتى رأسه وأكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا مالم يسمع بمثله وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان أكثرها بشهرزور فانها خرب أكثرها لاسيما القلعة فانها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ثم كشفها الله عنهم واما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها وفيها في رجب توفي القاضي حجة الدين ابو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة أشهر

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة﴾

﴿ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها﴾

حنايانه على سلطان زمانه * ورعاياه أهله وسكانه * حبس مانسب اليه من ضياع * وعقار وربا ع * وداريلتهاب ذكره الاسماع * ويتقاصر دونه الاطماع * حتى اذا ماخلا بجوه * واستقام على ايقاع ارادشدوه * ندم على مافعل * ورجع فيمابذل * وفصل بالفسخ كل ما اجمل * فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الامكان * ويبعد أخرى حتى أغنى شخص العيان * عن الخبر * ونابت شمس البيان * عن القمر *

في هذه السنة في ربيع الاول وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن من بها من العسكر الاسلامي من يقوم بحمايتها وسببه ان جلال الدين لما عاد من خلاط كما ذكرناه اوقع بالايوائية فرق عساكره الى المواضع الحارة الكثيرة المرعى لشتوا بها وكان عسكره قد اساؤا السيرة في رعية تفليس وهم مسلمون وصادروهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لاشتغال أهل البلد اليهم وخلوه من العسكر فاجتمعوا وكانوا قد علموا أن عسكر جلال الدين قد تفرقوا وأتوا على غرة من أهل البلد فهجموا على المدينة وساروا الى تفليس وكانت حاله كما ذكرناه ولا في جلال الدين استعمله الكرج لكثرة من قتل منهم ولم يطمع فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقي من أهله وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فأحرقوها جميعها وأما جلال الدين فانه لما بلغه الخبر سار في عسكره من العساكر ليدركهم فلم يدرك منهم أحدا كانوا قد فارقوا تفليس لما أحرقوها

﴿ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيلية﴾

في هذه السنة قتل الاسماعيلية أميرا كبيرا من امراء جلال الدين وكان قد أقطعه جلال الدين مدينة كنجة وأعمالها وكان هذا الامير كثير الخير حسن السيرة سكر على جلال الدين ماضيه عن كرمن التي يمر عنها من السمر فلما قتل ذلك الا مر عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار في عساكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود ألموت الى كرد كوه بخراسان فخرب الجميع وقتل أهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعم بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعوا مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين

﴿ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر﴾

لما فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر أن طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينهم فهزمهم وأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين عدة أيام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد أقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ أتاه الخبر بأن ——— سيرا منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة

﴿ذكر دخول العساكر الاشرفية الى اذربيجان وملك بعضها﴾

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي وهي التي كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع اوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيرها معها حكم فلما تزوجها جلال الدين أهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما خسرته من الحكم والامر والنهي فأرسلت هي وأهل خوي الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد اليه فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوي وما جاورها من الحصون التي بيد امرأة جلال الدين وملك مرند

وذلك حين نصب السلطان عين الدولة وأمين الله طاهر قصايا أيا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى دار خراسان لتدارك الامور والاوقاف• وانتزاع ما التمسه أهل التسلط والاختطاف • فوضع السمعانية وأما عامر • والى معاني ما رد و بعد وناظر • ما تقرر عنده من احصائه ما دار ما بها القصد بازعين أوقاف ووضع عليها من العدل ووسمه التعلق والتمس كاهما فيها أموالا أربابها

وكان أهل مدينة نقجوان قد عصى اليهم فسلموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا
لملكوها جميعها الا انهم عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل
الى خلاط وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده)

في هذه السنة توفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق يوم
الجمعة سلخ ذي القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه المدينة دمشق من حين وفاة والده
الملك العادل عشر سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها
الفقه على مذهب أبي حنيفة فانه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو
فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد أمر أن يجمع
له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهري ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب
للازهري والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك أيضا أمر بان يرتب مسند أحمد بن حنبل على
الابواب ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه مثاله أن يجمع أحاديث الطهارة
وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد
سمع المسند من بعض أصحاب ابن الحصين ونفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق
فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم
وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع أحد من يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن
الاعتقاد يقول كثيرا ان اعتقادي في الاصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي ووصى عند
موته بان يكفن في البياض ولا يجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب وأن يدفن في لحد ولا يبنى
عليه بناء بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء ويقول في مرضه لي عند الله تعالى في أمر
دمياط ما أرجو أن يرحمني به ولما توفي ولي بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره
قد قارب عشرين سنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة دام الغلاء في ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر
جميع شباط وعشرة أيام من أذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصلي بدينار
وقيراطين بالموصل والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلي بدينار وقيراطين أيضا وكل شيء بهذه
النسبة في الغلاء وفيها في الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم
بالبغدادي بحبتين بالصنجة وربما زاد في بعض الايام على هذا الثمن وحكي لي من يتولى بيع
الغنم بالموصل انهم باعوا ثورا وقالوا هذا لا غير وفي بعضها خمسة أرؤس وفي بعضها ستة وأقل
وأكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأيناه في جميع أعمارنا ولا حكى لنا مثله لان الربيع مظنة رخص
اللحم لان التركمان والاكراد والمكاسكان ينتقلون من الامكنة التي شتوا بها الى الزوزان
فيبيعون الغنم رخيصا وكان اللحم كل سنة في هذا الفصل يكون سعره كل ستة ارطال وسبعة
بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبتين وفيها عاشر أذار وهو العشرون من ربيع الاول سقط
الثلج مرتين وهذا غريب جدا لم يسمع بمثله فأهلك الازهار التي خرجت كزهر اللوز والمشمش

دون التظلم بوعد دونه
وفراق السراب * ووعيد
عنده فراق الرقاب * حتى
درج عليها قرن بعد قرن
آيسين عن الانتصاف *
وخلف من بعدهم خلف
قانعين من دونه بالكفاف *
وأوحى القاضي اليه بانعام
الاستقصاء على حكم أمانة
القضاء * فقام فيه وقعد *
وأبرق وأرعد * وانتزع مالا
عظيما من تحت أضراسه *
وحذره الافتضاح أن
تعرض لراسه * وكان
قصاراه ان سكن وسكت *

والاماس والسمر سل وغيرها ووصل الاخبار من العراق جميعه مثل ذلك مملكته اربعار الى رابسا وهذا اقصر حال دنار الحرير والشام فانه استحرام جميعها ومع الطمع من التركمان كانوا بأطراف أعمال خلاط فارس منه وبين القريح الداوية فأنطا كمه فقتلوا منهم الداوية بعد ذلك مصار واو كسر التركمان فقتلوا منهم وأسروا وغنموا من أموالهم فطلع الى اتابك شهاب الدين المتولي لامور خلاط ارسل القريح وتهددهم فقصد بلادهم واتى ان عسكر خلاط قتلوا فارسا كبيرا من الداوية فأساؤا فدعوا الى الصلح وردوا الى التركمان كثيرا من أموالهم وعن غنمهم وأسراهم وبين الذهب احتمع طائفة عسكر من بلاد بكر وارادوا الغارة على سرر ماس عمر وكان صاحب الجزيرة قد قتل المقصد والبلد الجزيرة اجتمع أهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة اسمها سلكون ولقوهم من غدوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثم حمل أهل القرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا منهم ونهبوا اموالهم وعادوا سالمين

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة)

(ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه)

في هذه السنة فارق غياث الدين بن خوارزم شاه وهو أخو جلال الدين من أبيه أخاه وسار معه جماعة من الامرا واستوزروا له وأرادوا الخلاص منه فلم يمكنوا من ذلك الى أن خرج التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا خوزستان وهي من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النائب بها من الدخول الى البلاد خوفا أن يكون هذه مكيدة فلما طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيلية فوصل اليهم واحتمى بهم وكان جلال الدين قد فرغ من أمر التتر وعاد الى تبريز فأتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة ان أخاه قد قصد اصفهان فألقى الجوكان من يده وسار عجلا فسمع ان أخاه قد قصد الاسماعيلية ملتجئا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيلية لينهب بلادهم ان لم يسلموا اليه أخاه وأرسل يطلبه من مقدم الاسماعيلية فعاد الجواب يقول ان أخاك قد قصدنا وهو سلطان ابن سلطان ولا يجوز لنا أن نسلمه لكن نتركه عندنا ولا نمكنه أن يقصد شيأ من بلادك ونسأل أن تشفعنا فيه والضمان علينا بما قلناه ومتى كان منه ما تنكره في بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل بها ما تختار فأجابهم الى ذلك وأخذ خطوطهم على الاسماعيلية بذلك وعاد عنهم وقصد خلاط على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

في هذه السنة عاود التتر الخروج الى الري وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس فيها في عددها كان أكثرها عليه وفي الاخير كان الظفر له وكانت في أول حرب بينهم عجائب غريبة وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدمهم وأبعده عنه وعن بلاده فقصد خراسان فرآها خرابا فقصد الري ليتغلب على تلك النواحي والبلاد فلقيهما جلال الدين فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم جلال الدين وعاود فانهزم وقصد اصفهان وأقام بينها وبين الري وجمع عساكره ومن في طاعته فكان فيمن أتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد بعد وفاة أبيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفون كل

وحصون أسواء ماله العصبة •
واحصر الرسل طواعيت
السهود • ومبارب
الشرود والمرود • وعقد
عهدهم على سواد اتهم
وباتي وقته كل مالك •
والاقامة على وجه الله
جميع ما أسلف • برى عما
نقل ان التسمع عليه
نعمس قليل أو كثير
• ورهنوعمر • برا من
الطمع في مال لعمر موقوف
• وعرض الى وجه القربات
مصروف • لم يتراح الامد
على هذا العقد الوثيق •

طائفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين أخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء على مفارقة
جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم
يريدون أن يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم
صاحب بلاد فارس وأما جلال الدين فانه لما رأى مفارقة أخيه اياه ومن معه من الامراء ظن ان
التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزما ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى
الى سميرم وأما صاحب فارس فلما أبعد فى أثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر
فعاد عنهم وأما التتر فلما لم يروا فى آثارهم أحدا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى
طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها وأهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم
فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ويقول
انى متعوق أو يجتمع الى من سلم من العسكر واقصدكم ونتفق أنا وأنتم على ازعاج التتر وترحيلهم
عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويعدونه النصرة والخروج معه الى عدوه وفيهم شجاعة
عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج أهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر أقبح هزيمة
وتبعهم جلال الدين الى الرى يقتل ويأسر فلما أبعدوا عن الرى أقام بها وأرسل اليه ابن
جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من أصحابنا انما نحن ابعدناهم عنا فلما أمن جانب جنكزخان
امن وعاد الى اذربيجان

(ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا)

وفى هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقلية وماوراءها من
البلاد الى بلادهم التى بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج
قبل هؤلاء جمع آخر أيضا الا انهم لم يمكنهم الحركة والشروع فى امر الحرب لاجل ان ملكهم
الذى هو المقدم عليهم هو ملك الالمان ولقبه انبرور قيل معناه ملك الامراء ولان المعظم كان
حيا وكان شهما شجاعا مقداما فلما توفى المعظم كما ذكرناه وولى بعده ابنه ملك دمشق طمع
الفرنج وظهروا من عكا وصور وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين
وسورها خراب فعمروها واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين وانما تم لهم ذلك بسبب
تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى
فعظمت شوكة الفرنج وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها
الى عكا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمد وآله ثم ان ملكهم
انبرور وصل الى الشام

(ذكر ملك كيقباذ ارزنكان)

وفى هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونية واقصرا
وملطية وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب ملكه اياها ان صاحبها بهرام شاه وكان قد طال
ملكه لها وجاوز ستين سنة توفى ولم يزل فى طاعة قلج ارسلان واولاده بعده فلما توفى ملك بعده ولده
علاء الدين داود شاه فأرسل اليه كيقباذ يطلب منه عسكرا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم
ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل ذلك وسار فى عسكره اليه فلما وصل قبض عليه واخذ

والخذلان المشبه بالتوفيق*
حتى قال لى وهو يشكو
الوزير شمس الكفاة *
وسماءه اباطيل السعاة
*ماهو الا أن احل عقود
املاكى هذه على طفرة
الى العراق سالبا عن
خراسان واهلها وقالبا
قرارة البلاد* ومباءة
الطارف والتلاد* منها
فقلت انا لله وانا اليه
راجعون من شيخ هذه
تقيته* ومالفظ به على وجه

مدينة ارزنكان منه واستمر من اصبع المصون اسمه كماح وبه صعط له وساه فارسل الصاحب الروم بحصره فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوه وارتفاعه وامتناعه فلم يقدر ارد... ما اشار به كماح فاوصل الى ان اتفق التسليم فسلم القلعة الى كيقباد واراد كيقباد المسير الى ارزن الروم لياخذها وبها صاحبها ابن عمه طغرلشاه بن قلج ارسلان فلما سمع صاحبها ذلك ارسل الى الامير حسام الدين على النائب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام وديار الجزيرة خوفا من ملك الروم فانه اذا ملك ارزن الروم ربما تعدى الى بعض خلاط فسار الحاجب حسام الدين الى ارزن الروم وسمع بها ملك الروم فعاد ووصل العساكر اليها بعدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبر ان الروم الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنا يسمى صونوب وهو من احسن القلاع مطلة على البحر فسار اليه وقد وصل الى بلاده سير العسكر اليه وحصره براوبحرا واستعاده من الروم وسار الى انطاكيه ليشتي بها على عادته

﴿ذكر خروج الملك الكامل﴾

في هذه السنة في شوال سار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل صاحب مصر الى الشام ووصل الى البيت المقدس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام ابدا ثم سار عنه وولي مدينة نابلس وحصر على ملك البلاد جميعها وكانت من اعمال دمشق وهو الى الملك المعظم فخاف ان يقصد ويأخذ دمشق منه فارسل الى اخيه الملك الاشرف يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه مجدا فدخل دمشق فلما سمع الكامل ذلك لم يعدم اليه لان البلد منيع وقد صار من يمنعه ويحميه وارسل اليه الملك الاشرف يستعطفه ويعرفه انه ما جاء الى دمشق الا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتفاق معه على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب بقوله انى ما جئت الى هذه البلاد الا لاجل الفرنج فانهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض قيساريه ولم يمنعوا وانتم تعلمون ان عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي الاعصار وممر الايام فان اخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الاحدوثه ما ناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا واي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثم انهم ما يقنعون بما عندهم ويتعدون الى غيره وحيث قد حضرت انا فانا اعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولست بالذي يقال عنى انى قاتلت اخي او حصرته حاشى لله تعالى وتاخر عن نابلس نحو الديار المصرية ونزل تل العجول فخاف الاشرف والناس قاطبة بالشام وعلموا انه ان عاد استولى الفرنج على البيت المقدس وغيره مما يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه الى الكامل اخيه فاقام عنده وكان ما نذكره ان شاء الله عند الاخبار ويمنعه من العود الى مصر فاقاما كلاهما

﴿ذكر جلال الدين بلاد ارمينية﴾

في هذه السنة وصل جلال الدين خوارزم شاه الى بلاد خلاط وتعدى خلاط الى صحراء موش وجبل جور ونهب الجميع وسبي الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرب القرى وعاد الى

الاستقلال ويقظة النفس عن امثال الرجال شيمه هذا ومن فصل مماسبه واساعة لبعض راحته ان كل من ساكنه في حلته على خيل ليلته او مال نفسه كانما اسراها وورده ندبا واسراها احسنها سجاداتهم له بورده وصرفه ملو الكرام عن جوده ومن اداة الوطر منهم وملك بسطه الاصطناعا عمهم ثم تقدم عليهم صار

بلاده ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط الى جرور
وانه قد قرب منهم خاف أهل البلاد أن يجيء اليهم لان الزمان كان شتاء وظنوا انه يقصد
الجزيرة ليشتي بها لان البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل
بعض أهل سروج الى منبج من أرض الشام فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فاقاموا وكان
سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرا لم يعهد مثله فاسرع العود

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلات التي اهم من الحنطة
والشعير جيدا الا ان الرخص لم يبلغ الاول الذي كان قبل الغلاء انما صارت الحنطة كل خمس
مكاكيك بدينار والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة﴾

﴿ذكر تسليم البيت المقدس الى الفرنج﴾

في هذه السنة اول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله البيت المقدس صلحا أعاده الله الى
الاسلام سريعا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الانبرور ملك
الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا بالساحل
وأفسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون
الجبال المجاورة لمدينة صور وأطاعوهم وصاروا معهم وقوي طمع الفرنج بموت الملك المعظم
عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ولما وصل الانبرور الى الساحل نزل
مدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة
اخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد أن يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو
صاحبها يومئذ وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل الى عمه الملك الاشرف
صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار الى دمشق
وترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الاشرف الى
الملك الكامل واجتمع به فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الانبرور ملك الفرنج دفعات
كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلموا اليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده
ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى
الفرنج الا البيت المقدس والمواضع التي استقرت معه وكان سور البيت المقدس خرابا قد
خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك
واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه وعوده الى المسلمين
بمنه وكرمه آمين

﴿ذكر ملك الملك الاشرف مدينة دمشق﴾

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثاني شعبان ملك الملك الاشرف بن الملك العادل مدينة دمشق من
ابن أخيه صلاح الدين داود بن المعظم وسبب ذلك ما ذكرناه ان صاحب دمشق لما خاف من عمه
الملك الكامل أرسل الى عمه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من

القدور * وخلالات
الثغور * وقامات
الاطراف * وصواحات
الاصواف * وجعل المطعوم
في زنة الذهب المصون *
والمشروب في قيمة الجوهر
المخزون * والدرهم الواحد
قنطارا * وحديثا في دواوين
الشرق مطارا * سحابة من
خبث أرومته * وربت
على دمنة اللؤم جرثومته *
فمصدر عنه العامل *
والمجاور والآمل * مغبونا *
مدة مقامه موضوعا *
وشرابه في طعامه مفجوعا *

البلاد الشرقية ودخل دمشق وخرج صاحبها وأهل البلد وكانوا قد اصطلحوا وهم مجهورون
لسار عامر مارالله دالشور لما امر واطلبه من الاسباب وحلف لصاحبها على المساعدة
والمعاضدة والنصرة له وراسل الملك الكامل واستعطفه وطلب صاحب دمشق منهما الصلح
وسار الاشرف الى أخيه الكامل واجتمعا به في اواخر سنة خمس وعشرين يوم العيد
وسار صاحب دمشق الى بيسان وأقام بها وعاد الملك الاشرف من عند أخيه واجتمع هو
وصاحب دمشق ولم تكن الاشرف قد كان من العسكر فيما فعلاه ما لي في حقهما واتفق
دخل عز الدين ايبك مملوك المعظم الذي كان صاحب دمشق وهو اكبر أمير مع ولده فقال
لصاحبه داود قم اخرج والا صعب الساعة ما تريده ولم يمكن الاشرف منعه لان ايبك كان
قد اركب العسكر الذي لصاحبه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو
وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك ان ايبك قيل له ان الاشرف يريد القبض على صاحبه
واستدعيه فعمل ذلك فلما عادوا وصل العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنزل
دمشق وحصرها وأقام محاصرا لها الى أن وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتد الحصار
وعظم الخطب على أهل البلد وطلب الملوك الحاضر وكان من أشد الامور على صاحبها ان
الملك عمه الناصر لان أمراءها الكرك ولو قدم به الاشرف لم يغير منها شيئا فاحتاج الى ان
بايع على تسليمه وطلب منهم وصاف الامور وعلم فخرج الى عمه الكامل وبذل له تسليم دمشق
على أن يبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وبقية الاعمال وان يبقى على ايبك
قلعة صرخد واعمالها وتسلم الكامل دمشق وحمل ما فيها من العطلة الى أن تسلم اليه أخوه الملك الاشرف
حران والرها والرقة وسروج ورأس العين من الجزيرة فلما تسلم دمشق تسلم الملك دمشق الى أخيه
الاشرف فدخلها وأقام بها وسار الكامل الى البلاد الجزرية فاقام بها الى أن استدعى أخاه
الاشرف فسير عسكر جلال الدين حران وساء مدينة خلاط فلما حصر عسكره بالرقة عاد
الكامل الى الديار المصرية وأما الاشرف فكان منه ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ذكر القبض على الحاجب علي وقتله}

وفي هذه السنة أرسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين ايبك وهو أمير كبير في دولته الى مدينة
خلاط وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حماد وهو المتولي لبلاد خلاط والحاكم
فيها من قبل الاشرف ولم يعلم شيئا يوجب القبض عليه لانه كان مشفقا عليه ناصحا له قائما
لبلاده حسن السيرة مع الرعية ولقد وقف هذه المدة الطويلة في وجه خوارزم شاه جلال
الدين وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه وكل منهما قاصد بلاد مرداما منها وقد تقدم من ذكر
حصره بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها ما دل على همة عالية وشجاعة تامة وصار
لصاحبه منزلة عظيمة ثار الناس به ولو تمكن سلطان الملك الاشرف بمفارقه خوارزم شاه
وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لا يمكن أحدا من ظلم وعمل كثيرا من أعمال البر من
الخانات في الطرق والمساجد في البلاد وبنى بخلاط مارستانا وجامعا وعمل كثيرا من الطرق
وأصلحها كل ذلك من ملوكه فلما وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثم قتله غيلة لانه كان عدوه
ولما قتل ظهر أثر كفايته فان جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره ان شاء

فلما قتل عادت أيامه وعدوها ... من شهادة ... آ يامه ... كمائده ... ويادي في عدوه ... السلطان ... ونادى لسلطه ... القوم ... وليس هذه ... آثاره ما هي كون ... أسراره ... ويدول الاسرار ... دون اسرار ... وتصويبه ... الاقتام من معتداً ... فان ... سواء لكل من أسدى ... ويأبى الله أن يصلح الظالم

الله ولم يهمل الله ايبك بل انتقم منه سريعا فان جلال الدين أخذ ايبك أسيرا لما ملك خلاط مع غيره من الامراء فلما اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر ان ايبك قتل وكان سبب قتله ان مملوكا للحاجب علي كان قد هرب الى جلال الدين فلما أسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علي فسلمه اليه فقتله وبلغني ان الملك الاشرف رأى في المنام كأن الحاجب عليا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلا وجعله في رقبة ايبك وأخذه وخرج فأصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فاني رأيت في المنام كذا وكذا

﴿ذكر ملك الكامل مدينة حماة﴾

وفي هذه السنة أواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك ان الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر وهو صاحب حماة توفي على ما ذكره ولما حضرته الوفاة حلف الجند وأكابر البلد لولده الاكبر ويلقب بالملك المظفر وكان قد سيره أبوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانه كان قد تزوج بابنته وكان لمحمد ولد آخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسلمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك الكامل يأمره أن يسلم البلد الى أخيه الاكبر فان أباه اوصى له به فلم يفعل وترددت الرسل في ذلك الى الملك المعظم صاحب دمشق فلم تقع الاجابة فلما توفي المعظم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سير جيشا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأمير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمد تقي الدين الذي كان عند الكامل فبقي الحصار على البلد عدة أيام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلمية يريد العبور الى البلاد الجزرية حران وغيرها فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب الا أمر الله تعالى فان صلاح الدين قال لاصحابه أريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام أحصن من قلعتك وقد جمعت من الذخائر ما لا حد له ولأي شئ تنزل اليه ليس هذا برأي فأصر على النزول وأصروا على منعه فقال في آخر الامر اتركوني انزل والا ألقيت نفسي من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل في نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى أن سلم مدينة حماة وقلعتها الى أخيه الاكبر الملك المظفر وبقي بيده قلعة بارين حسب فانها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه

﴿ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها﴾

وفي هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط وهي للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها وأعانهم اهل البلد خوفا من جلال الدين وسوء سيرته واسرفوا في الشتم والسفه فاخذه اللجاج معهم وأقام عليهم جميع الشتاء محاصرا وفرق كثيرا من عساكره في القرى والبلاد القريبة من شدة البرد وكثرة الثلج فان خلاط من اشد البلاد بردا واكثرها ثلجا وأبان جلال الدين عن عزم قوي وصبر تحار العقول منه ونصب عليها عدة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها فاعاد أهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى أواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفا متتابعا وملكها عنوة وقهرا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلمها اليه بعض الامرا

ابدا * الا ان المال يفرز الماء * ويحقن الدماء * ويجمع الاهواء * ويدفع القضاء * ويستر العوار والعوراء * ولقد بالغ أبو الفتح البستي حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين
تسلم من العينة والدين
فقوة العين بانسانها
وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال * وأورث القيل والقال * فهو وبال * ولا الدين مطلوبا * والذنب مكتوبا * والانف مجدوعا * والبنان مقطوعا * فقبح الله الاعراض * متى تدنست الاعراض * والاموال * متى لطخت السربال * والاملاك * متى أعرت الاوراك * والمراتب * متى أبدت المعائب * فأما موائده ومطاعمه فخذ وها من الحكم بانها كما انفقت الاصابع * واتسقت الكعوب الفوارع * انه يغدو مع صفير العصافير

عدرا فلما ملك البلد صعد من سلم من الامراء الى القلعة التي بها واستعوا بها وهو سار ابهم ووضع السيف في اهل البلد وقتل من وجده منهم وكانوا قد تلوا ما تصهم فارقوا وسرد وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم مات من العلة وعدم القوت فان الناس في حلاط اكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انهم كانوا يصطادون الفار ويأكلونه وصبروا صبرا لم يطعهم فيه أحد ولم يبق من بلاد حلاط غيرها وطلبوا اهل البلاد لم يكونوا يملكوا وسيروا حلاط وا كثروا القتل فيها ومن سلم هرب في البلاد وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع فتفرقوا كل ممزق وتفرقوا في البلاد ونهبوا الاموال وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله لاحرم لم تمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة من المسلمين والتتر ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في أواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا البلاد وأعادوا واسروا وسبوا ومن جملة من قتل واسر طائفة من التركمان كانوا نازلين في ولاية بارين فاجتمعوا والجميع ولم يسلم منهم الا النادر الشاذ والله أعلم

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة﴾

﴿ذكر انهزام جلال الدين من كيقباد والاشرف﴾

في هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه من علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونيه واقصرا وسيواس وملطيه وغيرها ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وحلاط وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد أطاعه صاحب أرزن الروم وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم وبينه وبين علاء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على حلاط وأعانه على حصرها فخافهما علاء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحران يطلب منه أن يحضر أخاه الاشرف من دمشق فانه كان مقيما بها بعد ان ملكها وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين فاحضر الملك الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ورسل علاء الدين اليهما متتابعة يحث الاشرف على المجيء اليه والاجتماع به حتى قيل انه في يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علاء الدين خمسة رسل وتطلب منه الجمع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمعا بسيواس وسار نحو حلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدا في السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسي جار (؟) وهو من أعمال ارزنجان فالتقوا هناك وكان مع علاء الدين حلق كثير قيل كانوا عشرين الف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة آلاف الا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وكل منهم قد جرب الحرب وكان المقدم عليهم أمير من أمراء عساكر حلب يقال له عز الدين عمر بن علي وهو من الاكراد الهكارية ومن الشجاعة في الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلما التقوا ابهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر لاسيما لما رأى عسكر الشام فانه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ما ملأ

على أطعمه بنو عليها حاء
كاسبى الدقيق بر اماء
وانقل الرصاص كما هو لما
هو الآن يدروس السمس
على صلابات الجدران
حتى كان اولاد العمر طيس
مرادة وكأنما التظلم يدعى
فيه ميلاده وسعدى
بالقول منه وعاده وربما
عاينه من جهل السوق
سهو وارادة حتى اذا
طغى كالولى سبع كف
وقص الكف على قوم
لا يطيرداحبه ولا تبقى
دون الملك صاحبه فاذا
اتصف النهار أو كاد
والتف الحرباء الاعواد
فلا تطعام السوم وهو
المتكلف وما صم رجه
التملف فاحتشى من
كل حلو وحامض واملا
من كل بكر وفارض
حتى عنى عليه في
المعاد من الانسياق
وفي العروق من
السور ينقل ما في النهار

صدره دعا فانشب عز الدين بن علي القمال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوي الاخ على أخيه وتفرقت اصحابه وتمزقوا كل ممزق وعاد الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من أصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ولم يكونوا قد استولوا على شيء من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرآها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل

ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلما انهزم جلال الدين أخذ صاحب ارزن الروم أسيرا فاحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلمها صاحبها اليه هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين وهكذا هذا المسكين جاء الى جلال الدين يطلب الزيادة فوعده بشيء من بلاد علاء الدين فأخذ ماله وما بيده من البلاد وبقي أسيرا فسبحان من لا يزول ملكه

ذكر الصلح بين الاشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين

لما عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزما الى خوى ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا كل منهم على ما بيده واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان الى أن خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ملك شهاب الدين غازي مدينة ارزن

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الاشرف مناصحا له مشاهدا لجميع حروبه وحوادثه وينفق أمواله في طاعته ويبذل نفسه وعساكره في مساعدته فهو يعادي أعداءه ويوالي أولياءه ومن جملة موافقته انه كان في خلاط لما حصرها جلال الدين ولقي من الشدة والخوف ما لقيه بها وصبر الى أن ملكها جلال الدين فأسره جلال الدين وأراد ان يأخذ منه مدينة ارزن فقيل له ان هذا من بيت قديم عريق في الملك وانه ورث هذه ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من أيديهم فعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته وأخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله فعاد الى بلده وأقام به فلما جاء الملك الاشرف وعلاء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازي بن الملك العادل وهو أخو الاشرف وله مدينة ميافارقين ومدينة حاني وهو بمدينة ارزن فحصره بها ثم ملكها صلحا وعوضه عنها بمدينة حاني من ديار بكر وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد لا يخلو بابه من جماعة يردون اليه يستمنحونه وسيرته جميلة في ولايته ورعيته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم معها ارزن بدليس ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب وهذه البلاد بيدهم من أيام ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي فأخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس أخذها من عم حسام الدين هذا لانه كان موافقا لصلاح الدين يوسف بن أيوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيد هذا الى الآن فاخذت منه ولكل اول آخر فسبحان

يشكو من معاويه * وخلاء خاويه * حتى اذا جنحت الشمس للاصيل * وهم الطفل على الليل بالتطفيل * أعيد عليه الطباخ والغروف * وحشر اليه القراطف والقروف * ثم يؤتى لمبيته بلفائف الاضابير مطويه * والطوامير مختومة مسجية * وربما تعار بعض ساعات الليل فينادي بالجوع * ويلاقي الطهاة بالقنوع * فيجاش عليه بجفالة الوقت من مستودعات الباتيق * ومطعمات الطيور والغرانيق * فيتهجد عليها من غير قيام * ويتسحر منها بغير صيام * طعاما لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة * والكواكب من محاجر الظلماء ناظرة * فما الارض وهي الغاية في الالتقام والالتهام * ولا الدعص وهو النهاية في الاستفاف والارتشاف * بأبلغ منه

من لااول له ولا آخر لما به

(ذكر ملك صرغ قلعة الواقله درو سدر)

وفي هذه السنة ظهر أمير من امراء الترك كان اسمه صورغ ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قيالوا وجرى أمره وقطع الطريق و[illegible] جمعه وكان بين اربل وهمدان وهو ومن معه يقطعون الطريق ويفسدون في الارض ثم انه تعدى الى قلعة يسمة اسفهسار وهي لظفر الدين وقتل عندها أميرا كبيرا من أمراء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدي فطمع مظفر الدين واراد استعادتها منه فلم يمكنه لملازمته اوالكفه الخروج مع هذا الرجل واصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر جلال الدين يحاصرون قلعة درو سدر وهي من قلاع الاذربيجان من أحسن القلاع وامنعها الا وحصلها وقد طال الحصار على من بها فأذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خواص أصحابه وثقاته ليتسلمها وأرسل معه الخلع والمال ليعطيه لاهلها فلما وصل الى القلعة وتسلمها أعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما رأى من لم يأخذ شيئا من الخلع والمال ما فعل بهم أرسلوا الى صورغ يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم في أصحابه فسلموها اليه فسبحان من اذا أراد أمرا هيأ أسبابه هذه قلعة درو سدر لم يزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وطماعهم من قديم الزمان وحديثه ويصرف الاموال حصانتها لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يملكها هذا الرجل الضعيف سهل له الامر فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها أصحاب جلال الدين الذي كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما ملكها صورغ طمع في غيرها لاشتغال جلال الدين بما أصابه من الهزيمة وهي التي قرب من القلعة الى مراغة وهي قريب منها فحصرها فأتاه سهم غريب فقتله فلما قتل ملك درو سدر اخو ثم ان هذا الاخ الذي نزل من القلعة وقصد أعمال تبريز ونهب وعاد الى القلعة فعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة وكان من الترك والغدر جوا فصاد به طائفة من التتر فقتلوه وأخذوا ما معه من النهب ولما قتل ملك القلعة ابن أخيه وكان ما جمعه في مدة ما في القلعة الا زوال تلك فرحة نزحه وكل حسنة سيئة

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم)

في اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقر ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر فعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مدن خراسان خرابا لا يقدر أحد من المسلمين يسكنها واما التتر فكانوا يغيرون كل قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه منها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طائفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلما كان الآن تواتر من جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه

ولا امام راد ولا آمر ولا ثما تماد ودون نادر أمر في المعالي رمانه فكنت مما في التحمل من المعروف الى الصرف والتردد من الصبر والصوف فان بسطا لقسمر ستر امعاهد الاكتاف كانموذ معاهد الاستاف فيادي من التيه رمال سلسلشعات وحسبه في صور أصوات فلطم فيهما ما توح التحمل لرمله بل مسح الداحش بالعمال ورعما يلقى في القارص سنة أو اكثر سمعا من سكان الحدمة لولي النعمة وجسم المسير الحال الوزير ويرسوء في العلل مالا ويعلو وحوه الاطبا وأصحاب الاسما ورجاحما وبدا تقالا ولبس هذا الاحتيال بأعرب مما كتابه الزمانه على امتناع الطباع وعروص التعويض دون الاصغاء اليا وفصلا من العراعليا

م على قصده عقيب الضعف ويضمن لهم الظفر بالوهن الذي صاروا اليه وكان جلال
ي السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك أحدا من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك
مجاورته فمن ذلك انه اول ما ظهر في اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر
شتر وهي للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهي للخليفة ايضا ثم
ربيجان وهي لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثم عادى الملك الاشرف
ب خلاط ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل
كثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة وكذلك غيرهم فكل من الملوك تخلى عنه ولم
يده فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين
اتقدمهم فدخلوا بلاده واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا
بيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها وجلال الدين لا يقدم على أن يلقاهم
در على منعهم عن البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه
ج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب أمرا غريبا أظهره من قلة عقل
ل الدين مالم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج
ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه مالم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وأمر الجند
ء ان يمشوا في جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس
ومشى بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز أرسل
ل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقي تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم
او لم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم
ؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصي وانما كان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكي
ع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر أحد
انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل لذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام
دون يقولون انه يقبل الارض ويقول انني الآن أصلح مما كنت فلحق أمراءه من الغيظ
فة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقي حيران لا يدري
نع لاسيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصي وراسل الوزير واستماله وخدعه الى أن
ر عنده فلما وصل اليه بقي أياما وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها

(ذكر ملك التتر مراغة)

هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثم اذعن اهلها بالتسليم على امان
ه فبذلوا لهم الامان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا في البلد
ة وعظم حينئذ شأن التتر واشتد خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام
لمين نصرا من عنده فما نرى في ملوك الاسلام من له رغبة في الجهاد ولا في نصرة الدين بل
منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندي من العدو وقال الله تعالى
قوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

(ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه)

فسبحان من خلق النفوس أطوارا * وجعل من الهمم انجادا وأغوارا * هذه من اعيان مساوي هذا الفاضل * العاطل * ولو سردت أمثالها لطال الكلام * وعال الابرام * ووراءها من دقائق الظلم المذموم * والدغل المكتوم * وثقل الحيزوم * والذل المبلول بلعاب اللوم ما ربي على دقائق الابراج * وأجرام جواهر الامشاج * والصغائر على الاصرار كبائر * كما زغب الشعور على الايام غدائر * ولقد أحسن ابن المعتز حيث يقول

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى

ومما اقتضى التنبيه على معايب المذكور ومساويه * والغفلي عن نمط عذائمه وذوائبه * مقابلته صنائع

لما رأى جلال الدين ما صنعه التتر في بلاد اذربيجان وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون
ويخربون البلاد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده ورأى ما هو عليه من الوهن
والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وارسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له
ما سمعتم من امر التتر والذى اتانا من هذا العدو وجئنا على قصد بلاد كم لكانا على قصد
ديار بكر والجزيرة ومستاب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة
على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى بلاد خلاط ان التتر يطلبونه وهم مجدون
في اثره فسار الى آمد ونزل الرسل يستمع اخبار عنهم من الساعات فلما علمت طائفة من التتر
مسيره اليه وصلوا اليه على غير الطريق التى سلكها الرسل فازعجوه لما وصلوا الى مدينة
آمد فنزل مهزوما الى وجهه ومرضى معهم العسكر فى كل وجه فقصدت طائفة من عسكره
حران فاوقع بهم الامير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فاخذوا ما معهم من
مال وسلاح ودواب وقصدت طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغيرها من البلاد
فتخطفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل احد حتى الفلاح والكردى والبدوى وغيرهم وانتقموا
منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم فى خلاط وغيرها وما عملوا فى الارض فسادا
والله لا يحب المفسدين ولم يعلم جلال الدين مضى الى ... ووصل الى ... من عسكره
عسكره ويطهر ... والتتر ... ومن ... منهم ... ولم يذكر فى ذلك
لانهم لم يعلموا اين قصد ولا اى طريق سلك فكفى الله المسلمين شرهم ورميهم بلا وكدهم بذلك
ما ارادوا بعد من العالم التعاليم للعامة

ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وتتلهم فى البلاد من الفساد

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين وقصدوا
مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر
منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم
(حكى) لى بعض التجار وكان قد وصل آمد انهم حزروا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف
قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكانت امه معه
ولم يكن لها سواه فرجع الى امها السيف معه فقتلا جميعا وورثها الراجح لام ماله واما هذا
التاجر وذكر من كثرة القتلى امرا عظيما وان مدة الحصار كانت خمسة ايام وساروا منها الى
مدينة طنزة ففعلوا بها كذلك وساروا من طنزة الى الوادى بالقرب من طنزة يقال له وادى
القريشية فيه نفس الاكراد بالقريشية وغيرهم ما ذكره وبساتين كثيرة والطريق
اليه ضيق فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه واعتصموا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا
منهم غرضا وساروا فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا
ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم من جاور
القلعة احتموا بها ايضا ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها
وقتلوا من ظفروا به واغلقوا ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى بلد سنجار ووصلوا الى الجبال التى
من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى

في صفة امام آل ساسان • ونصدها الحق نفسه • ويهب ومهد رعيه • ويراحمه • طوسه • ويزاوله • وشمل كتبه • فان كان من لم يحسن • وولده المصنف اما الطبرى رحمه الله صنفا وتاريخا لم يحملها معا • ولا لهم لما انها • وكان من الكتاب مدى ان حسن • وتمسى في معرا فاوره • مكانا صلى معاصره • ملتمس دولة السلطان • يمين الدولة • وامين الملة • يلتمس لشرح احسانه • ومدح مقاماته في صنيعه واسفاره • لما زال يسرى اليه من سنته • كمطار ... ورتبه • كسراب سنة • مثل منتهى دون ما يحسبه في من سرك • ومن جهة من منزل • بحرها لمن يطلبه كاذبه • ومن مرض نفسه بادره • والى عمرو حسب الكتاب •

طائفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المؤنسة وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه (وحكى) لي عن رجل منهم انه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت أراهم من نافذة في البيت فكانوا اذا أرادوا قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم يقول لا بالله ومضى طائفة منهم الى نصيبين الروم وهي على الفرات وهي من أعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بدليس فتحصن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة (وحكى) انسان من أهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر أحد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من أعمال خلاط يقال لها باكرى وهي من أحصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة ارجيش من أعمال خلاط وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا في ذي الحجة ولقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي القاه الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر أحد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغني ان انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن مع التتري ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على الارض ومضى التتري فأحضر سيفا فقتله به (وحكى) لي رجل قال كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلا في طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك فأخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وأمثال هذا كثير

ذكر وصول طائفة من التتر الى اربل ودقوقا

في هذه السنة في ذي الحجة وصل طائفة من التتر من اذربيجان الى أعمال اربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان الايوائية والاكراد الجوزقان وغيرهم الى أن دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من أهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفر الدين صاحب اربل في عساكره واستمد عساكر الموصل فساروا اليه فلما بلغه عود التتر الى اذربيجان أقام في بلاده ولم يتبعهم فوصلوا الى بلد الكرخيني وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس وهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم وخرجت هذه السنة ولم نتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو اختفى لم يظهر نفسه خوفا من التتر أو فارق البلاد الى غيرها والله أعلم

ذكر طاعة أهل اذربيجان للتتر

في اول هذه السنة أطاع اهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائي والخوئي والعتابي وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم على آمد من

في استحقاق صدر الوزارة
ما أمل * وفي شعب الاختصاص
به والانقطاع اليه سائل *
أكذوبة لم يخلق الله
لها رأسا ولا ذنبا * ولم يضرب
لها وتدا ولا طنبا * ودمنة لم
يتبدد منه السور وحوافرها *
ومصفوف كلاها وأباهرها *
حتى هاجه على كالليث
موتورا والنمر محربا
ومضرورا * فكم كدحت
حتى استنزلته عن حران
وشماس * وجهدت حتى
نجوت منه رأسا برأس *
وطفقت انشد وقد فارقته سالما
اذا نحن أبنا سالمين بأنفس
كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة انها
تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
وأغرى بي بدر الملك بن شمسه
عين الدولة في عظيمة لولا ان
ألهمه الله الاناة * وأشعره
الحصاة * فسقر ونقب *
واستشف اعطاف البلاغ
فعل من جرب ودرب *
لثارت علي منه داهية لا تبقي

التتر وهزموا عساكر وفرقوا كل مفرق وقطعوا السابلة وفعل التتر ما ذكرناه من
رار بل وهلاك ما فعلوا ولم يمنعهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون
في الاسراب والعياذ بالله من هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالا فسقط
في أيديهم وأذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك
مدينة تبريز التي هي أصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل في
عساكره بالقرب منها وأرسل الى أهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فارسلوا
اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شيء حتى الخمر وبذلوا له
الطاعة فأعاد الجواب يشكرهم وطلب منهم أن يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضي البلد
ورئيسه وجماعة من أعيان أهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي وهو الذي يرجع الجميع
اليه الا انه لا يظهر شيأ من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائي فقالوا انه رجل
منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب أن يحضروا عنده من صناع الثياب
الخطائي وغيرها ليستعمل لملكهم الاعظم فان هذا هو من أتباع ذلك الملك فأحضروا الصناع
فاستعملهم في الذي أرادوا ووزن أهل تبريز الثمن وطلبوا منهم خركاة لملكهم أيضا فعملوا له
خركاة لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد الزركش وعملوا من داخلها السمور
والقندز فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيأ كثيرا ومن الثياب كذلك
وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم ما لم يحصرون
جوار وسأله وامد وتقسيه في كتف رجل من تاجر من أهل الري كان قد انتقل الى الموصل
وأقام بها هو وبعث له ثم سافر الى الري في العام الماضي قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى
الري وأطاعهم أهلها وساروا الى اذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى أصحابه
بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا نذكر جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين
فان الامر عظيم ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة
الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما أرادوا أن يعلموا هل في البلاد من
يردهم أم لا فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك
وعساكر فقوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب
فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه
راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأما جلال الدين فالى آخر سنة عشرين وست مائة
لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة قلت الامطار بديار الجزيرة والشام لا سيما حلب وأعمالها فانها كانت قليلة جدا
وقلت الاسعار بالبلاد وكان أشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشدة مثل ما تقدم في السنين
الماضية فأخرج أتابك شهاب الدين وهو والي الامر بحلب والمرجع اليه في أمورها وهو
المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربي له من المال والغلات كثيرا وتصدق
صدقات دارة وواسى الناس بنفسه وماله ثم أرسل الله الغيث فأرخص الله سعرا وفيها في أحد

ولا تطلب ولا استطالت
عاقبة يمشي عليها الدهر
والدهر فلي الله تعالى بان
فسح القاصم فمازوره
وكشف وجهه وكونه
وأهواء فاخمره وسمه
تورى ماضمره ومضمر
وجهه مور الاقتحال
وكيف مرور ه تحول
الرحال وجعله صبره
لمن يرى شرح هذه
الاحوال في وراء هذه
الفصول فليحمد الله
تعالى على السلامة من
سابها والراحم من لوادح
الاوزار وقوادح النار
بها وليعلم ان الاماني
تمضي على مرور الايام
عاجلا ومهاويلا
وخطبا جللا ولسانا
كالحسام مصقلا ووقع
الله من هم عمره على
زيادة الانعام وسامه
الانام وحمد اللائم
ورحم الله عبدا قال آمينا
•(هذا آخر الكتاب
المرسوم باليميني لابي نصر
العتبي رضي الله عنه
وأرضاه وجعل الجنة
منقلبه ومثواه)•

الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسماها شميمس وكان الملك الكامل لما خرج من مصر الى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له وله أثر عظيم فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلمية فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية وهى على تل عال وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة حماة وهى بين جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها وأخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع أمير كان أقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة وفيها توفى القاضى ابن غنائم بن العديم الحلبى الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمه فلو قال قائل انه لم يكن فى زمانه أعبد منه لكان صادقا فرضى الله عنه وأرضاه فانه من جلة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه وفيها أيضا فى الثانى عشر من ربيع الاول توفى صديقنا أبو القاسم عبد المجيد ابن العجمى الحلبى وهو وأهل بيته مقدمو السنة بحلب وكان رجلا ذا مروأة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحب اطعام الطعام وأحب الناس اليه من يأكل طعامه ويقبل بره وكان يلقى أضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة)

(خاتمة)

باسمك اللهم خير الاسماء وشكرك الجالب لمزيد النعماء والصلاة والسلام على خاتم الرسل الكرام وعلى آله أولى الفضل والاحتشام والسير المستقيمه والمناهج القويمه يقول المتوسل الى مولاه بالنبى المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم والفنون بدار الطباعة ذات الطبع السليم المصون

تم بعون مبدع الاواخر والاوائل طبع كتاب التاريخ المعروف بالكامل للعلم الشهير الماهر النحرير العلامة أبى الحسن على المعروف بابن الاثير الذى ابتدأه من اول الزمان الى انتهاء سنة ستمائة وعشرين وثمان ثم اخترمته المنيه فأدركت الناس فيه الرزيه محرر الجمل والاساليب مصونا عن التحريف والتصحيف فى الكلمات والتراكيب على بدعصابه تشهد لهم عباراته بالاصابه اذا قابله على أصله المطبوع الحرف أريب كشف الله عن بصيرته فأنصف وكان طبعه بالمطبعة الكبرى العامره ذات التحريرات الباهره المشهورة بكمال الضبط ودقة الانظار فى سائر المدن والنواحى والاقطار المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بطيب ذكره الانديه وتضوعت بعاطر مدائحه الاثنيه رب المآثر التى لاتحصى والمحاسن التى لاتستقصى حسنة الليالى والايام بدر الولاة والملوك والحكام سلالة السراة الصناديد وارث الملوك الاماجيد الراقى بهممه الى كل مقام معتلى عزيز مصر اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الايام منيرة بطلعة وجوده والانام متمتعة بكرمه وجوده ولابرح قرير العين منتعش الروح والعين بانجاله الكرام وأشباله الفخام لاسيما الوزير الشهير النبيل الاصيل رب المعارف المشهوره

والعوارف المشكوره والرأى والاصابه والدولة والفخامه من هو باشا بين التشاحقين
سعادة محمد باشا توفيق رئيس المجلس الخصوصى و ولى ولاية العهد أوسى ثم سعادة الوزير
صنو الكمال ومظهر الجلال والجمال أسعد العرب أسمى العرب صنو المعالى ذو الفضائل
وجوهرى الفطنه والرويه سعادة حسين باشا ناظر الجهاديه ثم حضرة ثالث الاشخاص من له
فى ميدان الفضل أسمى مثال المعدود فى حكمته من الرهان من فحول الرجال العلية
الاذهان حسن الصفات والاسم ومن له من حسن الصفات أوفر قسم من اتصف به النهاية
انصافا دولتلو حسن باشا وكان طبعه المرئى وعملها المروى مشمولا بادارة من
حاطته المعالى بالمآثر أعنى حضرة حسين بك حسنى وبنظارة وكيله السالف مساعدة
سليل من عليه أجلس اجلاء مجلة حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة
ذى الرأى السديد حضرة أبى العصر أفندى احمد وكان تمام عمله
وكمال تصويره وتشكيله فى أوائل ذى الحجة الحرام
من سنة ألف ومائتين وتسعين من هجرة خاتم
الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليه
وآله وصحبه وكل منتسب اليه
ما ناح حمام وصاح
مسل حمام
آمين

6459

